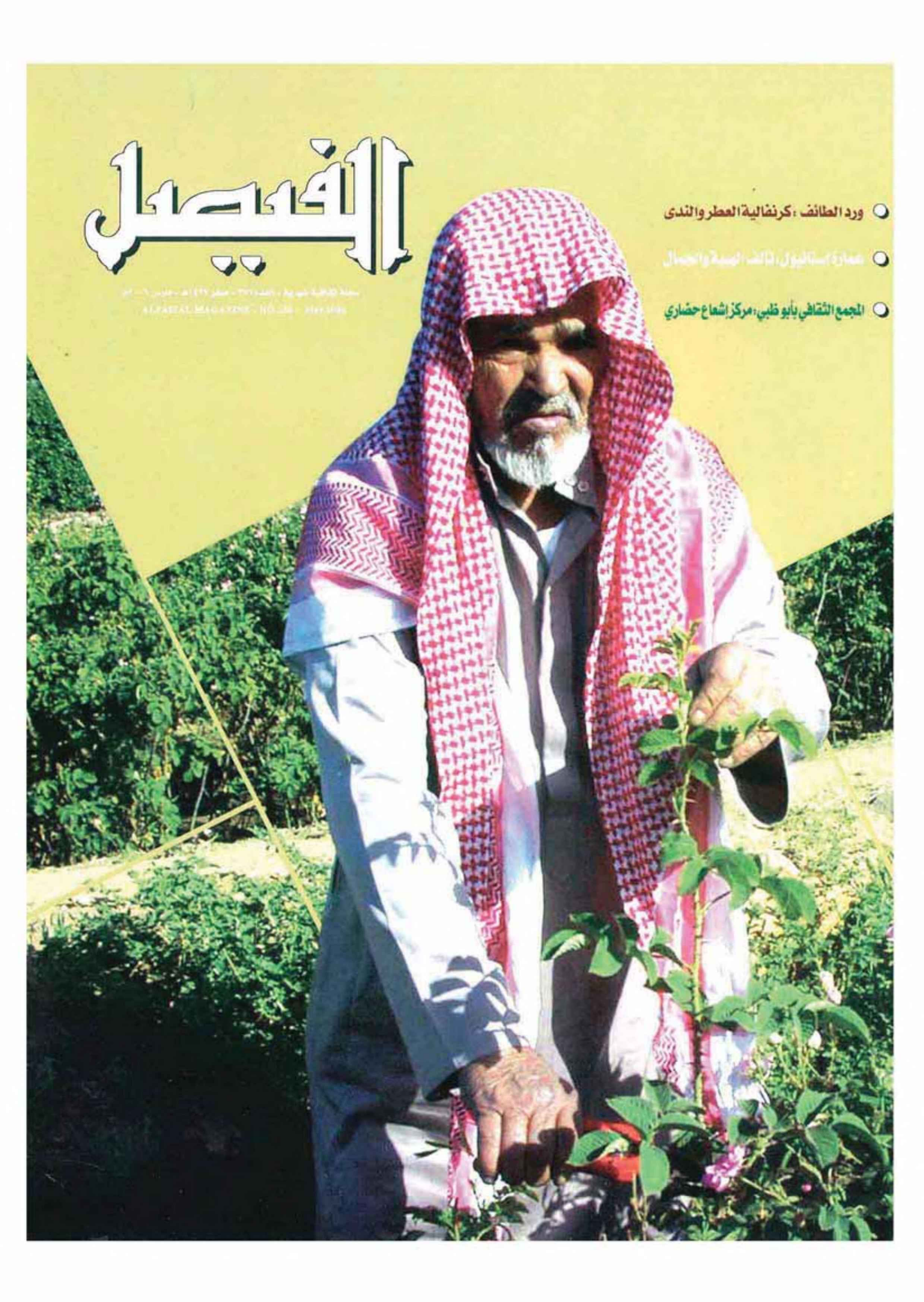

الفيصل
ورد الطائف: كرنفالية العطر والندى
عمارة إستانبول: تآلف الهيبة والجمال
المجمع الثقافي بأبو ظبي: مركز إشعاع حضاري



مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٥٦- صفر ١٤٢٧هـ . مارس ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No 356 -Mar 2006

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

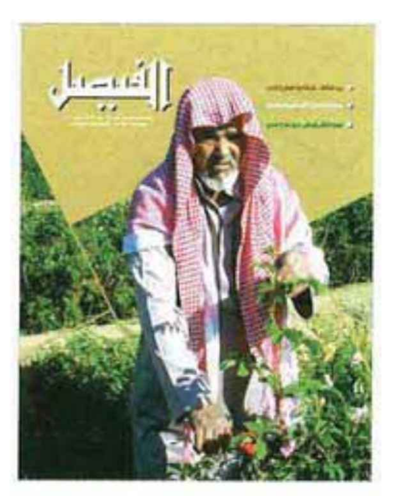
السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠، ادينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٢١٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







ورد الطائف . كرنفالية العطر والندى

أيام قلائل: ويسدل الستار في الطائف المأنوس، على أجمل وأحلى احتفالية موسمية كرنفالية، إنها «كرنفالية» الورد الطائفي الشهير: حيث تتوقف عمليات قطف الأزهار، وتخلد الأشجار: إلى سبات طويل مدة تزيد على ثمانية أشهر، بينما تبدأ مصانع التقطير في الخروج إلى الأسواق التجارية بأشهر وأغلى منتجين هما: عطر الورد، وماء الورد.

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات. أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



عدد خاص

أشكر لكم الاهتمام بتوضيح موقف المجلة العربية السعودية من الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى الرسول الكريم محمد ﷺ.

واقترح أن يكون هناك عدد خاص عن هذا الموضوع على أن يكون جزء من العدد باللغة الإنجليزية، مع الاهتمام بتوزيعه على السفارات والجهات الأجنبية حتى تعرف دول الغرب موقفنا، كما أتمنى أن تستمر حملة المقاطعة للمنتجات الدنماركية، وأن تتسع الحملة لتشمل أي دولة تتضامن معها.

كمال محمد فضل

الرياض - السعودية

التحرير:

اقتراح جيد، ولعل الأفضل أن يكون هناك كتاب أو ملحق فيه مادة متكاملة عن رسولنا الكريم ﷺ .

مسابقة التصوير

لقد لاحظت في الفترة الأخيرة اهتمامًا واضحًا بأن تكون المادة التحريرية مطعمة بصور، وهذا ما خفف من جفاء المادة، كما أنه يحث على قراءة الموضوع، ولفت الانتباه إليه.

وأنا بصفتي هاويًا للتصوير كنت أتمنى لو خصصتم مسابقة في هذا المجال، وخصوصًا أن هناك جمعية متخصصة لهواة التصوير تجمع عددًا كبيرًا من الشباب الواعد إلى جانب أهل الخبرة، وسوف تكون المسابقة فرصة لهم للمنافسة الشريفة في محاولة لإبراز قدراتهم الإبداعية.

يزيد بن محمد السويدان

الرياض - السعودية

التحرير:

هذه الفكرة مطروحة منذ مدة، ونبحث عن طريقة لتمويلها حتى تأتي على النحو المنشود، وتكون سببًا لتشجيع الشباب على الانخراط في هذا المجال الإبداعي.

استطلاعات عن الدول

سعدت كثيرًا بوجود استطلاع عن إحدى مناطق الباكستان، وهذا دليل على الاهتمام بإبراز المدن والمناطق الحضارية في عالمنا العربي والإسلامي، وأود لو كان هناك استطلاع شامل عن بلادنا تقدم عبره صورة بانورامية عن

أغلب المناطق مع تناول بعض العادات والتقاليد، وكذلك يمكن أن يكون الأمر نفسه بالنسبة إلى الدول الأخرى، فمع أن التلفاز ينقل لنا صورًا وبرامج عن الدول إلا أن المجلة تصلح مرجعًا للباحث عن المعرفة الأصيلة.

وفقكم الله إلى ما فيه الخير.

شكيل محمد

الرياض . السعودية

التحرير:

نشكر لك هذا الاقتراح، ونتمنى تنفيذه، مع أن كل عدد من الأعداد يشمل تعريفًا عن مدن ومراكز حضارية، كما نرحب باستقبال مشاركات من الإخوة الكتاب على أن تكون المواد مزودة بصورة عالية الجودة.

تنويه

سبق أن نُشر بحث في عدد مجلة الفيصل رقم ٣٥٥ بتاريخ المحرم ١٤٢٧هـ بعنوان فن التجليد في العصر العثماني الكلاسيكي لسهيل صابان، والحقيقة أن مؤلف هذا البحث هو أحمد صائم آريتان، وسهيل صابان هو مترجمه. وعلى الرغم من الإشارة إليه في حاشية المقال المذكور، وبأنه نشر في دائرة المعارف الإسلامية التركية، إلا أنه وجب التنويه إلى ذلك، وإلى أن المقال ترجم ونشر بإذن خاص من دائرة المعارف الإسلامية، صدر بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٥م برقم ٣٠/٢٠٠٥ فوجب التنويه إلى ذلك.

ردود سريعة

الأخ حياد عصمت إبراهيم – الخرطوم – السودان:

سبق أن نشرت المجلة استطلاعات عن السودان، وتناولت بعض الحضارة النوبية، وهذا لا يمنع أن نرحب بأي مشاركة تبرز هذه الحضارة أو غيرها من الحضارات الإنسانية؛ لأن هذا دور ثقافي تضطلع به المجلة.

الأخ حسام فتحي – الرياض – السعودية:

تحرص المجلة على ألا يكون التراث فقط محور اهتمامها؛ ولذا تحرص على إبراز الواقع المعيشي للعالم العربي والإسلامي من خلال قراها ومدنها ومراكزها الحضارية، مع أن وسائل الإعلام الحديثة لم تترك شيئًا إلا وطرقته، ولكن الأدوار تتكامل من أجل إيجاد مزيد من الوعي لدى القارئ الكريم.

الأخ صالح عامر صالح – القاهرة – مصر:

الصحف والمجلات الرياضية المتخصصة كثيرة، وهي تهتم بالرياضة من كل زواياها، لذا يصعب علينا تناول حدث رياضي كبير، ككأس الأمم الإفريقية، التي أقيمت منافساتها أخيرًا في القاهرة، على الرغم من الحرص على أن يكون هناك اهتمام بالبعد الثقافي للرياضة عند تناول مثل هذا الحدث.

الأخت هند عباس – الرياض – السعودية:

نشكر لك ثقتك، ونتمنى أن تكون هناك مسابقة للأطفال والشباب في مجال الفن التشكيلي، ولكن هناك جهات ثقافية كثيرة تنظم مثل هذه المسابقة، فيمكنك الاتصال بها، ومعرفة مواعيد المسابقة، وشروطها.



ورد الطائف..

كرنفالية العطر والندى

إعداد وتصوير

حمّاد بن حامد السالمي

الطائف- السعودية

أيام قلائل؛ ويسدل الستار هنا في الطائف المأنوس، على أجمل وأحلى احتفالية موسمية كرنفالية، إنها "كرنفالية" الورد الطائفي الشهير؛ حيث تتوقف عمليات قطف الأزهار، وتخلد الأشجار؛ إلى بيات طويل مدة تزيد على ثمانية أشهر، بينما تبدأ مصانع التقطير في الخروج إلى الأسواق التجارية بأشهر وأغلى منتجين هما؛ عطر الورد، وماء الورد.. فما هي قصة الورد عموماً.؟ وما علاقته بالمدينة السياحية السعودية -الطائف - على وجه الخصوص؟

الـوَرْد.. والـوِرْد

قال أبو حنيفة (١): الوَرْد: نور كل شجرة، وزهر كل نبتة، واحدته وردة. والورد ببلاد العرب كثير، ريفية وبرية وجبلية.

وقال الجوهري (٢): الورد بالفتح: الذي يُشم. الواحدة وردة، وبلونه قيل للأسد ورد، وللفرس ورد، وهو بين الكميت والأشقر.

وقال ابن سيده (٣): الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء. فرس ورد. والجمع وُرْد ووراد، والأنثى وردة.

وقال الزجاج (٤) في قوله تعالى: ﴿فكانت وردة كالدهان﴾: أي صارت كلون الورد، وقيل فكانت وردة كلون فرس وردة .

والورد عموماً؛ يتلون، فيكون في الشتاء خلاف لونه في الصيف.

وفي علم المثلثات اللغوية: الوَرْد: النَّوْر المعروف، يطلق على كل نور طيب الرائحة، وعلى الأحمر إلى الصفرة من الدواب. والوِرْد: الورود، ووقته،



والمورود. قال جرير في الماء (٥):

لا وِرد للقوم إن لم يعرفوا بردى
إذا تكشف عن أعناقها السُّدَف

فالوِرْدة: العطش، والموارد: المناهل.

والورّاد، والحُمَّى الآخذة كل يوم، والجزء من القرآن، وإقبال الأرنبة على الفم، وبلوغ الشعر إلى العجيزة، وأرنبة واردة، وشعر وارد. والوُرّد بالضم: جمع فرس وَرْد. وجمع وريد، وهو أحد العرقين المكتنفين العنق، والوُرّد أيضاً: جمع وارد، كبازل وبُزّل (٦).

وجاء في القرآن الكريم ذكر «وَرْدة»: «فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان»(٧). وبمعنى الوِرْد والورود؛ تسع مرات في تسع آيات، والوريد مرة واحدة.

شجرة الورد

إن الورديات؛ كثيرة الانتشار في المناطق المعتدلة من نصف الكرة الأرضية الشمالي، وبفضل عناية الإنسان هناك بها توصل إلى إنتاج أشكال وألوان مختلفة، وبروائح عطرة متنوعة،



لورد الطائف مزاياه وشهرته

واستخدامات كثيرة، منها العطارة وصناعة الحلوى.

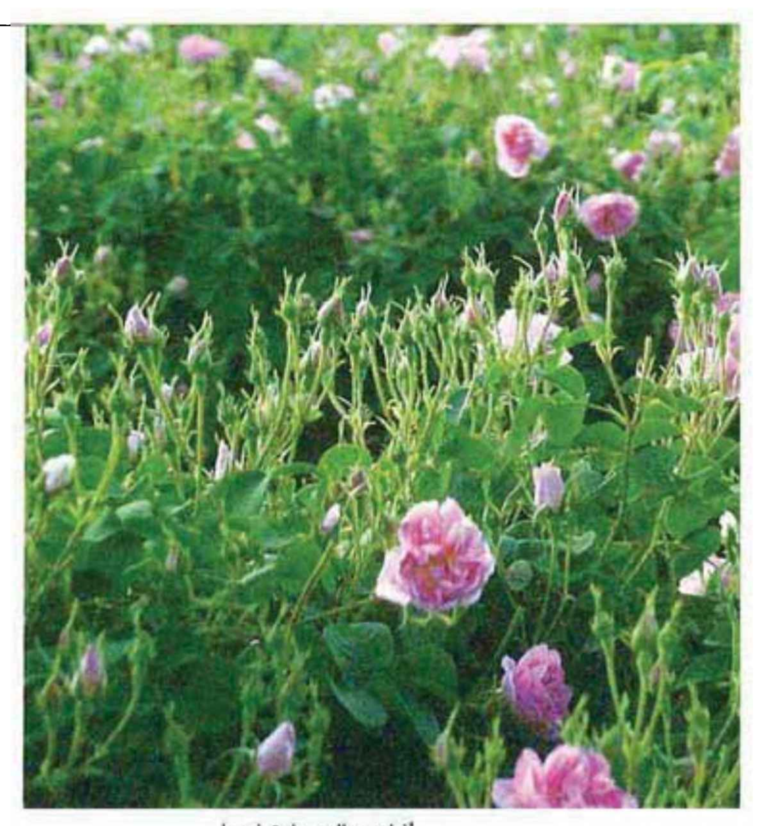
والورد هو من جنس Rosa؛ موطنه الأول القارة الآسيوية، وقد اختلف العلماء في عدد أنواعه، فقالوا: هي ثلاثون، وقال بعضهم: هي مئتان وخمسون، وأوصلها بعضهم إلى ٤٢٦٦ نوعاً، وكثير من هذه الأنواع، يزرع لزهره الجميل ذي العبير الفواح (٨).

والورد عموماً: هو أحد أجمل الأزهار على الإطلاق، وهو رمز للرائحة الزكية، والجمال اللوني، وهو محسوب على الشجريات.

قال أبو منصور (٩): كل شجر له شوك؛ فهو عِضاه ، وكل نبت له رائحة زكية، فهو فاغية، وكل نبت يقع في الأدوية، فهو عِقار، والجمع عقاقير. انتهى. ونحن نجد أن الورد من هذه الثلاثة جميعها.

والورد يوجد بمئات الأنواع والسلالات، منه الصغير، ومنه الشجيري الكبير، والمتسلق، ومن الورود الأوروبية: الجوري (روزا داماسين)، ومن الإنجليزية: الورد الأبيض «رمز يورك»، والورد

الورديات: كثيرة الانتشار في المناطق المعتدلة من نصف الكرة الأرضية الشمالي. وبفضل عناية الإنسان هناك بها توصل إلى إنتاج أشكال وألوان مختلفة، وبروائح عطرة متنوعة، واستخدامات كثيرة، منها العطارة وصناعة الحلوى


أنواع من الورد واهتمام بها

الأحمر «رمز لانكستر»، أما الورد المبرقش (أحمر وابيض)؛ فيسمى هجين يورك ولانكستر (١٠).

قال إسحاق بن عمران (١١): الورد صنفان؛ أحمر وابيض. وقال دويس بن تميم: وقد يكون منه صنف اصفر، وبلغني انه يكون ورد أسود بالعراق، واجوده الفارسي، ويقال: إنه لا ينفتح، والمختار القوي الرائحة، الشديد الحمرة، المندمج أوراق الزهرة.

وقال القاضي التنوخي (ت ٣٨٤)(١٢): إنه رأى ورداً أصفر، واستغرب ذلك، وإنه عد ورق وردة فكانت الف ورقة..! وراى ورداً أسود حالك اللون، له رائحة زكية. وراى بالبصرة وردة نصفها أحمر قاني الحمرة، ونصفها الآخر ناصع البياض، والورقة التي قد وقع الخط فيها؛ كانها مقسومة بقلم.

أنواع الـورد

جاء في معجم أسماء النبات (١٣)؛ التقسيمات الآتية:

١- الورد المعروف: قرنفلي بستاني Caryophyllus

٢. ورد جُلّ: فارسي واحدته جلة. والورد الفارسي Rosa ceae Rosa Tourn.

٣. ورد أبيض - وثير، الواحدة: وثيرة R . Alba

٤. الصنف الكبير من الجلسرين؛ يعرف بالمغرب؛ بالورد الذكر.

٥- الورد الصيني: عليق الكلب.

٦- ورد السياج: شجرة موسى.

٧- عليق العدس: ورد جبلي بري.

٨- ورد جوري: في لبنان ومصر، Centifolia.

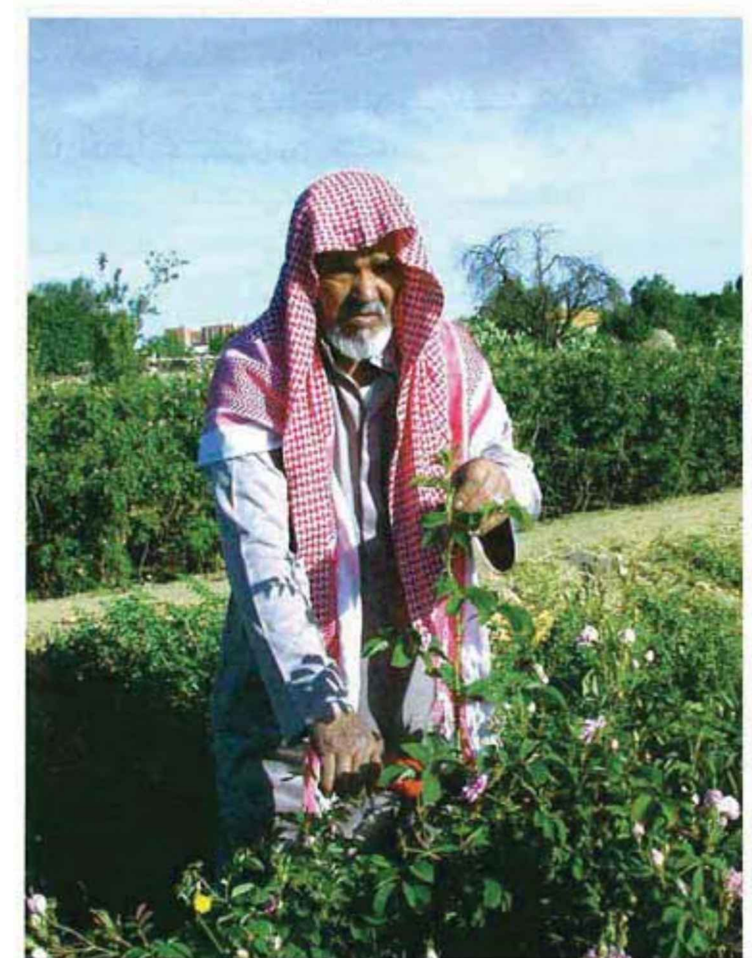
٩. ورد نصيبي.

١٠- ورد حوجم Damascena.

١١. ورد سبعاوي.

١٢- ورد منتن - مريحة.

١٣- ورد وعاط حوجم أحمر.



١٤- ورد بلدي - جوري.

١٥- وهناك ورد دفراء: نوع من النبات (١٤).

١٦- ومن أنواعه المعروفة: ورد الخريف (١٥).

١٧- وورد الميلاد (١٦).

١٨- ومن أنواعه: ورد الحمار. قيل هو البهار. أحمر الداخل أصفر الخارج (١٧).

١٩- ورد الحمير. في عامة بلاد الأندلس؛ يسمى بهذا الاسم نوع الذكر من الفاوانيا (١٨).

٢٠- ورد الروابي. ورد الزينة، وهو ورد شجرة الخطمي (١٩).

٢١- ورد الحب. هو الكسح (٢٠).

ومما ينسب إلى الورد:

١- بَرْد الورد: يقال للبرد المستطاب، وهو برد الربيع، كما يقال للبرد الكريه: برد العجوز، وشتان ما بينهما. ويقال عن برد الربيع: مورق، وبرد الخريف: موبق.

٢- خدود الورد: لما شبهت الخدود المستحسنة بالورد، استعيرت له الخدود، كما قال ابن الرومي:

خجلت غصون الورد من تقبيلها
خجلاً توردها عليه شاهدُ

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى؛ قول محمد بن موسى الحداوي البلخي (٢١):

ما بال فرقة شملنا لا تجمعُ
وإلى متى يصل الزمان ويقطعُ؟!
كم خلفت تلك الركاب وراءها
من منزل فيه لنا مستمتعُ
فالورد يلطم خده والجلنا
ر عيون نرجسه علينا تدمع

ويستعار الورد كثيراً لوصف وجنات خدود المحبوب الحمر وجماله ورقته وطيب شذاه، ونجد مثل هذا كثيراً عند شعراء الأندلس، فهذا أبو عبد الملك الطليق، مروان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (٢٢) يقول:

وكأن الورد يعلوه الندى
وجنة المعشوق تندى عرقا
يتفقى عن بهار فاقع
خلته بالورد يطوى ومِقَا
كالمحبين الوصولين غدا
خجلاً هذا وهذا فَرِقا
يا لها من أنجم في روضة
قد ترقت من رباه أفقا
ودنت فيها إلى شمس الضحى
حَدَق للنور تصبي الحدقا

وهذا شاعر رقيق آخر من شعراء الأندلس؛ هو أبو الوليد الإشبيلي (٢٣)؛ يصف الورد في غصونه بالملوك الأجلاء، في تصوير بديع، ينم على طبيعة أندلسية شاعرة، وإحساس إنساني بهذه الطبيعة الشاعرة:

إنما الورد في ذرى شجراته
كأجل الملوك في هيئاته
رائق منظراً وخبراً وفذ
في حلاه التي حلت وصفاته
نفحة المسك من شذا نفحاته
خجل الخد من سنا خجلاته

ظهر الورد في الطائف في بيئة ملائمة تميل إلى الاعتدال، تتوفر على مياه حلوة، وتربة زراعية مناسبة، واهتمام من الإنسان نفسه. فهذه هي بيئة الطائف في مناطق زراعة الورد في المرتفعات، وفي منطقتي الهدا والشفا على وجه خاص

مـزجت حمـرة اليـواقيت بـالدر
فـجـاءت به على حـسب ذاته

وَرْد.. وورده

والورد: لم يكتف بالمزارع والعطور وتشبيهات الخدود: وإنما حل في أسماء الناس كذلك، فكثير من الناس على مر التاريخ: كان يسمي وردة للأنثى، وورد للذكر والأنثى، فوردة: اسم أم صاحب المعلقة: طرفة بن العبد (ت ٥٦٤م)، وهو القائل (٢٤):

مـا ينظرون بحق وردة فـيكم
صـغـر البنون ورهط وردة غُيَّبُ

ووردة: اسم ابنة أحد الطائيين متيمة داود بن سعد التميمي، وله مع النعمان بن المنذر (ت ٦٢٠م): حكاية مثيرة حول وردة: فهو يقول فيها (٢٥):

مع الحـسناء وردة إن قلبي
مع الحب المبـرح غـيـر صـاح
وددت وكـاتب الحـسنات أني
أقـارع نجم وردة بالقـداح

ولعل وردة على اسم ورد بفتح الواو للشجر، أو الورد بكسر الواو: ما يورد من عيون الماء.

وورد بفتح الواو: كان اسماً لوالد الشاعر الصعلوك: عروة بن الورد (ت ٥٩٦م).

وورد: كان اسماً لشخص ثري من ثقيف: خرج يتبع ليلى ومجنونها قيس، فقد كان يحفظ كل أشعار المجنون، فجعله شفيعه لطلبها من أبيها.

ومن الطريف في الأمر: أن حصاناً من قائمة الإنتاج بنادي الفروسية في سباقات سنة ١٤٢٥هـ: حمل اسم ورد الطائف، وفاز بالجائزة! ، كما أن بعض الهواتف المحمولة: أخذ يحمل ويبعث مؤخراً برسائل وردية للتهاني بالعيد: أو بقدوم رمضان، وفيها عبارات من مثل: «يا ورد الطائف رشيه - من نداك اسقيه - وبعطر الكادي طيبيه - وبعيد الفطر هنيه!».

والشاعر الجاهلي عنترة بن شداد: قصد الورد بألوانه وبهجته بقوله (٢٦):

والورد بين مـبـهـج ومـفـوح
ومـبـهـرج ومـهـرج ومـجلل
يزهو بأحمر كالعقيق وأصفر
كالزعفران وأبيض كالسنجل

كما قصد المعنى ذاته: الشاعر الجاهلي مقري الوحش في قوله (٢٧):

والورد يحكي بالغصون مجامراً
نار على ماء الحيا لم تجمد

تـاريخ الـورد

يبدو أن الورد بمختلف أشكاله: معروف منذ أزمان سحيقة، وورد الدهن العطري، معروف عند العرب، خاصة في الشمال الذي يقع بين فارس في الشرق، وأوروبا في الغرب.

وفي التراث العربي، يُذكر أن الفيلسوف العربي الشهير الكندي (٢٨)، الذي عاش في القرن التاسع الميلادي، هو أول من وصف عملية استخلاص دهن الورد عن طريق التقطير، ثم تبعه الرازي (٢٩) في القرن العاشر الميلادي، فوصف جهاز التقطير الذي

إن الهدف الأساسي من زراعة الورد وقطفه: وجمعه وتقطيره، هو الوصول إلى عطره الزاكي، الذي يقبع داخل بتلات الزهرة، والمنتج من هذه العمليات في النهاية على أربعة أصناف هي: عطر الورد، وماء الورد، وسماده، ثم البقايا من رؤوس الأزهار



الورد وقد حان قطافه

يتسم بتعقيد مكوناته (٣٠).

وقد عرف العرب منذ القدم؛ شجرة الورد وزهرها وفوائدها، خاصة من أقام منهم بالعراق والشام والأندلس، وكان لهم احتفاء خاص بالورد كزينة وعطر وعطارة، واستلهموا منه جماليات شعرية وإبداعية شائقة، وحفلوا كثيراً باجود أنواع الورد؛ وهو «الجوري» المنسوب إلى فارس، فقد ضربوا به المثل، ويذكر معه في الجودة: بنفسج الكوفة، ومنثور بغداد، وزعفران قم، ونيلوفر السيروان، ونارنج الصيمرة، وأترج طبرستان، ونرجس جرجان (٣١).

وماء ورد جور؛ موصوف مضروب به المثل في الطيب، مجلوب إلى أقاصي المشرق والمغرب، وقد أكثروا من ذكره. قال أحدهم في وصف قوارير منه (٣٢):

ومخطفات كالعذارى الحور
مشمرات القمص كالمنثور
كل فتاة نشأت بجور
تختال في دُوَّاجها القصير

ظل الورد عبر العصور: رمزاً للجمال والحب، ورسولاً بين القلوب المتحابة، وملهماً للشعراء والأدباء، ثم دخل في حياة الناس كافة، فأصبح في مقدمة عطرهم الذي يتطيبون به، ومن ضمن عطارتهم التي يتطيبون بها

حاسرة عن أرج العبير
مثل نسيم الزهر الممطور
أشهى من الوصل إلى المهجور

ومما رواه القاضي التنوخي قال (٣٣): كنت أنا وأبو الفرج البيغاء؛ نشاهد بركة ملئت، وجعل فوقها ورد وبهار وشقائق، حتى غطى أكثر الماء، وحضر أبو علي الهائم، فسأل أبا الفرج أن يعمل في ذلك شيئاً، فعمل بحضرتنا وأنشد:

خجل الورد من جوار البهار
فمشى باحمراره في اصفرار
وحكى الماء فيهما أحمر اليا
قوت حسناً مرصعاً بنظار
جمعا بالكمال في بركة تمـ
ـتع حسناً نواظر الحضار
أضرم الماء بالشقيق بها النا
ر وعهدي بالماء ضد النار

ومن عناية الأوائل بالورد في حياتهم العامة: أن الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)؛ أنشأ مقامة سماها: «المقامة الوردية»، وقال: هي لمولانا مجتهد العصر أبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ورضي عنه، مشتملة ذكر عشرة رياحين عطرية، ومنافعها (٣٤).

أما أقدم مركز صناعي لعمليات تقطير الورد: فإنه يقع في جنوب فارس، في القرن الثالث عشر الميلادي (٣٥).

أما في أوروبا، فإن الناس هناك؛ عرفوا طريقة التقطير من العرب على ما يبدو، فهم يطلقون اسم دمشق؛ على جنس من الورد العطري Damascena، لكن العطور الحقيقية المستخلصة من زيت الورد؛ لم تنتج في أوروبا إلا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، بعدما طورت تقنية التقطير المزدوج (٣٦).

ولفظة العطر العربية ذاتها؛ دخلت اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية؛ دون تغيير في تركيبتها الصوتية Attar لتدل بذلك على الزيت المستخرج من زهر الورد، وعلى نداه (٣٧).

الورد في العطر والعطارة

ظل الورد عبر العصور؛ رمزاً للجمال والحب، ورسولاً بين القلوب المتحابة، وملهماً للشعراء والأدباء، ثم دخل في حياة الناس كافة، فأصبح في مقدمة عطرهم الذي يتطيبون به، ومن ضمن عطارتهم التي يتطببون بها.

إن زيت الأزهار كافة ومنها الورد: هو زيت عطري يحصل عليه بطريقة التقطير، والزهور العطرية، تعطي بتلاتها أريجها الخاص، فزيت الورد الذي هو دهنه الخالص، يُكوِّن عطره المميز، ويدخل

يبلغ طول شجرة الورد في العادة: بين متر ومتر ونصف عند اكتمال نموها، وتبلغ قمة إنتاجها: في الأسبوع الثالث من شهر إبريل. كما أنها تبدأ في الإزهار، أول مرة، بعد مرور عام من غرسها، بطريقة النقل أو العقل الوتدية



مع ماء الورد؛ في تركيب مستحضرات طبية، وأخرى للتجميل، ولكي نحصل على (٠،٥) كجم من الزيت الدهني الخالص للورد؛ نحتاج إلى ما مقداره (١،٨٠٠) كجم من بتلات الأزهار (٣٨).

والورد خماسي البتلات؛ شائك الفروع، الجوري منه والطائفي خاصة؛ قرنفلي أحمر، عليه ثمرات عليقية لحمية تؤكل، وبعض هذه الثمرات؛ وبخاصة ثمرات النوع المعروف باسم Rosa Tugosa؛ يعد مصدراً من مصادر فيتامين ج Vitamin c، وتتخذ منه ضروب من المربيات (٣٩).

والورد من أهم عناصر صناعة العطور في العالم، ويستقطر عطر الورد Attara Of Rosa، المستخدم في هذه الصناعة من زهر الورد؛ وبخاصة زهر الورد الدمشقي Damask Rosa، المعروف علمياً باسم Damascena Rosa (٤٠).

ومن الاستخدامات الطبية للورد(زر الورد) - أزراره الشائكة - تستخدم بعد الطبخ غرغرة وحقنًا شرجية، ومسحوق الورد يدخل في تركيب الأدوية، ويحضر منه مربى وشراباً حلواً بنكهة الورد (٤١).

ومن استخداماته الطبية كذلك في التسهيل، وهو مفتح، ويسكن حركة الصفراء، وبذره أقوى إذا استعمل في الحمام، وفي الغسول، ويقطع الثآليل، ويسكن الصداع، ودهنه معطس، وبزره يشد اللثة، ويسكن وجع العين، وطبيخه صالح لغلظ الجفون، ويسكن وجع المعدة (٤٢).

ومن استخدامات الورد كذلك؛ ما يسكن الحُمَّى، ويهيج الزكام، والنوم عليه يقطع الباءة (٤٣).

الورد في الطائف

لا يوجد ما يثبت وجود الورد في الطائف؛ قبل الإسلام أو بعده، ولا حتى في القرون التي تلت بكثير، إلى ما قبل مئتي عام على وجه التقريب.

لقد أحصى الأصمعي (٤٤) ستة عشر نوعاً من العنب الطائفي في وقته؛ في كتابه «النخل والكرم» (٤٥)، بأوصافها وأحجامها وألوانها، وما صغر منها وعظم (٤٦)، وهذا أمر مشهود للطائف منذ ما قبل الإسلام، لكن لم يذكر في كتابه هذا، ولا في غيره من مروياته عن الطائف، وهي كثيرة؛ أي شيء عن الورد.

ولو تتبعنا رحلات الخلفاء والقادة والمشاهير إلى الطائف؛ وخاصة ما تم منها في العصر الأموي؛ وصولاً إلى القرن الثاني عشر الهجري؛ لما وجدنا ذكراً للورد في الطائف؛ على كثرة ما دونوه من مرثيات ومشاهد وثناء في كتبهم.

ومن أشهر أبناء منطقة الهدا، التي تشتهر بالورد الطائفي المعروف اليوم؛ الشاعر الغزل الثقفي «محمد بن عبد الله بن نمير» (٤٧)؛ وهو من النمور سكان الهدا، فهو لم يذكر في غزلياته الورد؛ مع أنه نسب إلى حبيبته المسك حين قال:

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت
به زينب في نسوة عطرات

فهو يتغزل في زينب أخت الحجاج بن يوسف؛ الذي قال عنها كذلك:

تشتو بمكة نعمة
ومصيفها بالطائف

ونعمان؛ هو واد يتحدر من مرتفعات الهدا، موطن قبيلة الشاعر.. وبلدة الورد الطائفي في عصرنا الحاضر، ولو أن الورد كان على عصره في الهدا والطائف؛ لما وجد أفضل منه طيباً يتضوع من زينب.

إضافة إلى أن أشعار شعراء ثقيف؛ في العصر الجاهلي، وفي صدر الإسلام، والعصر الأموي؛ وهم أهل الطائف؛ لم تذكر الورد في غزلياتها، أو وصفياتها على كثرتها (٤٨).

وفي عام ١٨٣٤م زار الطائف رحالة فرنسي هو موريس تاميزيه مع الحملة المصرية، فذكر في رحلته عن الطائف؛ أشجار التين والتوت والجميز واللوز والخوخ والرمان والنخيل ودوالي العنب، والقرع والبطيخ والشمام والخيار والملوخية والبامية، بل زار الهدا ووصفها جيداً، وذكر شهرتها بالفاكهة، مثل الطائف (٤٩)، فلم يذكر شيئاً عن الورد، الذي لم يكن دخل الطائف قبل هذا التاريخ على الأرجح. وهذا كله يدحض من ادعى معرفة الطائف بالورد في العصر الجاهلي أو العصور التي تلته إلى ما قبل مئتي عام، وهذا هو المرجح عندي بناءً على روايات معمِّرين نقلوا هذا إلى أبنائهم في الهدا، ومنهم العم محمد علي الغريبي؛ صاحب مزارع واسعة للورد، ومصنع شهير هناك، الذي روى لي عن أجداده أن الورد لم يكن معروفاً عندهم قبل ما يقرب من ١٧٠ عاماً.

لقد تردد أن أحد سلاطين الدولة العثمانية؛ هو الذي أهدى شريف مكة قبل ١٧٠ إلى ٢٠٠ عام غرسات من شجر الورد، مجلوبة إلى الحجاز من الشام، وهو بدوره عرف المكان المناسب لزراعتها، فوجه بها إلى الطائف، فنمت وتكاثرت مع الأيام؛ حتى أصبح الورد صنو العنب والرمان في تقديم الطائف والتعريف بها.

الورد يوجد بمئات الأنواع والسلالات، منه الصغير، ومنه الشجيري الكبير، والمتسلق. ومن الورود الأوروبية: الجوري "روزا داماسين". ومن الإنجليزية: الورد الأبيض "رمز يورك". والورد الأحمر "رمز لانكستر". أما الورد المبرقش "أحمر وأبيض": فيسمى هجين يورك ولانكستر

مُناخ الورد في الطائف

ظهر الورد في الطائف؛ في بيئة ملائمة تميل إلى الاعتدال، تتوفر على مياه حلوة، وتربة زراعية مناسبة، واهتمام من الإنسان نفسه، فهذه هي بيئة الطائف في مناطق زراعة الورد في المرتفعات، وفي منطقتي الهدا والشفا على وجه خاص، فمثل هذه الشجرة العطرية الجميلة؛ ما كان لها أن تنمو وتزدهر في هذه البقعة من الجزيرة العربية؛ لولا ملاءمة المناخ والتربة، والعناية الخاصة من المزارعين.

إن ارتفاع الطائف الذي يصل في الهدا إلى ١٧٠٠م فوق سطح البحر في الهدا، و٢٠٠٠م في الشفا؛ إضافة إلى درجات حرارة لا تزيد على ٣٣ درجة في الصيف، و٥ درجات فوق الصفر في الشتاء؛ كل هذا ساعد على نمو شجرة الورد، فهناك نظرية جغرافية مشهورة؛ تربط بين عنصرين مهمين هما: درجة الحرارة؛ ودرجة الحضارة، فتجعل انخفاض درجة الحرارة؛ من عوامل التقدم الحضاري عند الإنسان.

يقول الإصطخري (٥٠): عن جبل غزوان؛ الذي هو جبل الطائف: «ليس بالحجاز في ما علمته مكان أبرد من رأس هذاالجبل، وليس في الحجاز مكان يجمد فيه الماء؛ سوى هذا الموضع».

الفيلسوف العربي الشهير الكندي، الذي عاش في القرن التاسع الميلادي، هو أول من وصف عملية استخلاص دهن الورد عن طريق التقطير، ثم تبعه الرازي في القرن العاشر الميلادي، فوصف جهاز التقطير الذي يتسم بتعقيد مكوناته

ويصف الألوسي (٥١) جو الطائف: «بأنه شديد البرودة».

وفي وصف ياقوت الحموي (٥٢) للطائف قال: «هي طيبة الهواء، شمالية، وربما تجمد فيها الماء».

إن ورد الطائف؛ لا يوجد في كل الطائف، وإنما في أكثرها ارتفاعاً، وأبردها، وانسبها تربة، فالهدا الواقعة بين الطائف ومكة المكرمة، هي الأشهر في زراعة الورد، والأفضل على الإطلاق، يليها وادي محرم، ثم وادي الغديرين، ثم الشفا والأقيلح، وبلاد طويرق والضحيا، وغيرها من السفوح المطلة على تهامة من غرب الطائف وجنوبها، وخاصة في بلاد العيلة، وربيع، وميسان بالحارث، وبني مالك وثقيف.

إن توفر كل هذه الشروط؛ من مياه حلوة، وتربة صالحة، ومناخ ملائم؛ وعناية فائقة، أدى إلى أن تصبح الطائف؛ هي زهرة المملكة العربية السعودية، ويكتسب وردها؛ صفة التميز على المستوى العالمي.

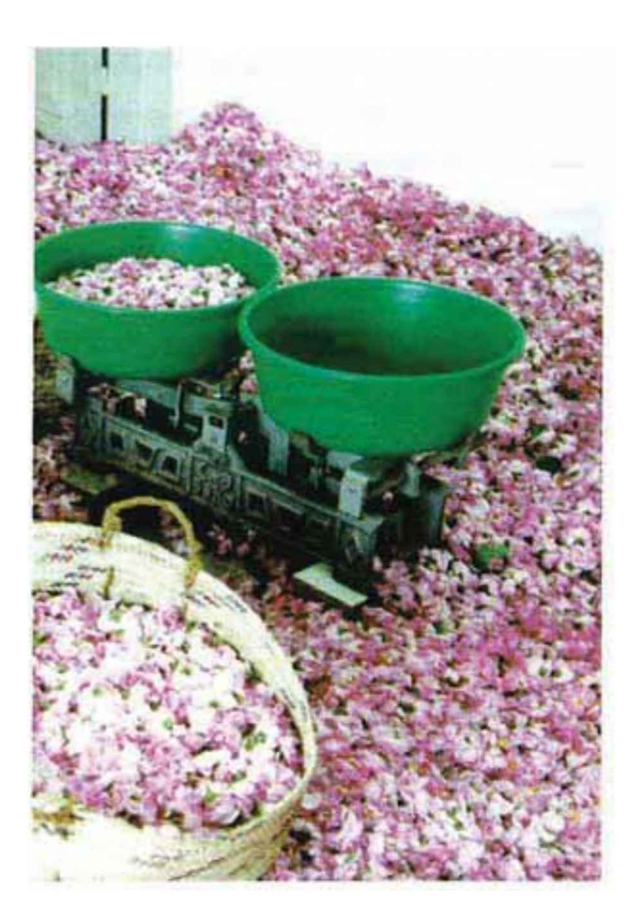
الاحتفال (الكرنفال) الوردي في الطائف

تعيش الطائف حالة سنوية فريدة لا تعرفها أي مدينة في المملكة، أو في دول الجوار كافة، فهي احتفالية وردية بمساعدة الطبيعة، وكرنفال Carnifal موسمي؛ من إعداد وإخراج الطبيعة الساحرة في الأيام الوردية الأربعين.. إنها أربعون يوماً بلون الورد ورائحته، مشهورة معروفة هنا: تبدأ في العادة في العشر الأواخر من شهر مارس، وتنتهي بنهاية شهر إبريل، فيشهد أول يوم من الأيام الوردية؛ عمليات قطف أول زهرة ورد، وفيه تبدأ أول عملية تقطير لعطر الورد، ويشهد اليوم الأخير منها كذلك، قطف آخر وردة، ونهاية آخر عملية تقطير.

إنه عيد سنوي وردي؛ تقيمه الطبيعة الجميلة في هذا الجزء من العالم، حيث تصبح حقول الورد كافة على سعتها، مضمخة منذ الصباح الباكر برائحة الورد،



ماء ورد ومرش



وتتحول الأرض على مد البصر، إلى بساط وردي، يغطيه اللون القرنفلي المبهج في موسم الربيع المزهر؛ فكأن الشاعر البحتري (ت ٢٨٤هـ) ما زال حياً، ثم يقف ربيع كل عام، على سفوح الهدا والشفا، ليردد شعره البديع في الربيع، ويرى تفتح الورد فيه؛ في مشهد مفرح بهيج (٥٣):

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً

من الحسن، حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النَّوْرُوز في غسق الدجى

أوائل ورد، كن بالأمس نوَّما

يفتِّحه بَردُ الندى فكأنما

يبث حديثاً بينهن مكتَّما

ومشهد الربيع في طائف الحسن والجمال؛ مخفور بملك الزهور، وسيد العطور.. الورد الذي يبسط حلته



لحظة وزن الورد قبل التسخين

القرنفلية على السفوح الجبلية، فيصدق عليها وعليه قول الشاعر الأندلسي: إسماعيل الإشبيلي (٥٤):

فـالأرض في بـردة من يانع الـزهـر
تزري إذا قستها بـالوشي والحِبَر
قـد أحكمـتـهـا أكف المزن واكفـة
وطـرزتهـا بمـا تهـمـي من الـدرر
تبـرجت.. فسبت منا العيـون هوى
وفتنة بعـد طول السـتـر والخـفـر

شـجرة الـورد الطـائفي

ما إن ينسلخ شهر إبريل؛ حتى تنتهي الحفلة الوردية في أودية الهدا والشفا وجبالهما، وفي وادي محرم، والغديرين، والأقيلح، وبلاد بني عمر، وغيرها، ثم تدخل شجرة الورد من جديد، في بيات صيفي خريفي، فتفقد خضرتها تدريجياً، وتنفض عنها ورقها بعد ذلك، وتبقى أعواداً جرداء، تقاوم حرارة الصيف وجفاف الخريف؛ إلى أن يحل شهر ديسمبر، ففي هذا الشهر، يعود المزارعون إلى حقول الورد، يتعهدونها بالحرث والتسميد والسقي؛ ثم التقليم في منتصف شهر يناير مع دخول برج الطرف؛ الذي هو قمة البرد في نواحي الطائف، ثم تبدأ عمليات السقي المكثف، والمتابعة اليقظة، فتعود الشجرة تدريجياً لتورق وتزهر، فتبدي، من جديد، كنوزها الوردية والعطرية، في هذه الفترة بين فصلي الشتاء والربيع .

هذه هـي شـجرة الـورد

يبلغ طول شجرة الورد في العادة؛ بين متر ومتر ونصف



قطف أزهار الورد يتم بشكل يومي طوال الأيام الأربعين الوردية

عند اكتمال نموها، وتبلغ قمة إنتاجها؛ في الأسبوع الثالث من شهر إبريل، كما أنها تبدأ في الإزهار، أول مرة؛ بعد مرور عام من غرسها، بطريقة النقل أو العقل الوتدية، ويمكن أخذ ٢٠٠ وردة في المتوسط من كل شجرة؛ صباح كل يوم، على مدى أربعين يوماً في العام الواحد، أي أنها تعطي ما يقارب ٨٠٠٠ زهرة في الموسم الواحد.

ومع تقدم عمر شجرة الورد، الذي قد يصل إلى ٢٠ عاماً، فإنها تظل تعطي في حدود؛ ٣٠٠٠ وردة في الموسم في آخر عمرها. هذا إذا لقيت عناية فائقة في التسميد البلدي عادة، والري والتشذيب السنوي في برج الطرف (**).

ومما يساعد على نمو مستقر ومنتج لشجرة الورد؛ توفر شروط بيئية جيدة منها:

- رطوبة لا تزيد على٥٠٪.
- هدوء الرياح.
- نزول الضباب، وتكون الندى في الصباح الباكر، لتوفير كمية دهن أكثر في الزهرة.

كما أن هناك عوامل تؤثر سلباً في شجرة الورد، وقد تقلل من إنتاجها الزهري، ومن مخزونها العطري، ومنها:

- الحرارة العالية غير المعتادة.
- البرودة العالية وتكون الصقيع.
- سقوط بَرَد وأمطار حادة.
- السماد الكيماوي، وزبل الدجاج.
- الحشرات الشجرية البقّيّة، التي تصيب الشجيرات وحقول الخضراوات والفاكهة عادة.

إن العارفين بالورد الذي ينمو في الطائف، وهو مجلوب بكل تأكيد من بلاد الشام قبل قرنين على وجه التقريب، يرون شبهاً كبيراً بين الوردة الطائفية ووردة دمشق في الشام، من حيث اللون القرنفلي المشترك، والشذا الذي يختلط بروائح البهار، فيقولون بانتماء ورد الطائف إلى ورد دمشق، وسبقهم المؤرخون الأوائل؛ الذين ربطوا بين الطائف والشام، واعتبروا أن الطائف قطعة من الشام؛ وهي محاولة لتفسير الجمال الطبيعي؛ الذي تميزت به الطائف في جزيرة العرب (٥٦).

عطر الورد الطائفي

اشتهرت الطائف بصناعة العطور؛ مثلما اشتهرت بصناعة الجلود في العصور المتقدمة، وقد فهم بعضهم ممن يكتب عن الطائف؛ أن الورد الذي نعنيه هنا؛ هو من ضمن ما جاء في كلام لنادية صقر (٥٧)؛ التي نقلت عن الخربوطلي قوله: «إن الطائف اشتهرت بصناعة العطور، وكان يصدر إلى مكة يطيبون به الكعبة المشرفة».. ثم قال: وكانت بساتين الطائف تزخر بالأزهار والورد التي تصلح لاستخراج العطور منها». انتهى كلامه. فالطائف عرفت ورودا بمعنى الأزهار لكثير من الأشجار التي لا حصر لها، ومنها زهر الليمون الذي يدخل في هذه الصناعة على سبيل المثال، ومنها السذاب، والشار، والريحان، والكادي، والدوش، والكَدَّة التي تتكون على الصخور بفعل الندى، ولها شذا العطر العودي، وغيرها كثير؛ مما يقطر ويعطر، وتسمى أزهاره عند العامة وروداً، وليس بالضرورة شجرة الورد التي لم تدخل الطائف على الأرجح؛ إلا في نهاية القرن الثاني عشر الهجري؛ أو بداية الخامس عشر منه.

إن قطف أزهار الورد؛ يتم بشكل يومي طوال الأيام الأربعين الوردية، حتى لا تذبل وتفقد مخزونها من الرحيق في البتلات الداخلية. إن وقت القطف هو قبيل الشروق، حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود. أما إذا ارتفعت الشمس قدر رمح، وعم ضوؤها المكان، ففي هذه اللحظة؛ يتوقف القطف؛ لأن الأزهار تبدأ في الانغلاق على نفسها، وتفقد خاصية الدهن المقصود من كل هذه العملية.

تزخر الطائف؛ بألوان شتى من الفنون الشعبية الراقصة: ومنها: المجرور والحدري وحيوما؛ ولأن هذه الألوان الثلاثة نابعة من مناطق زراعة الورد في الهدا والشفا. فقد كان للورد الطائفي حضور واضح ضمن نصوصها المغناة في الملاعب والمناسبات والاحتفالات

قطف الورد وتقطيره

لكي نصل إلى عطر وردي نقي، وكذلك ماء وردي نقي؛ هناك عمليتان متزامنتان ومترابطتان في الوقت نفسه:

العملية الأولى: هي قطف الورد؛ بمعنى قطف أزهار الورد، فهذه عملية تتم في وقت قصير، بين بزوغ الفجر وارتفاع الشمس قدر رمح، وهي لا تتجاوز ساعة ونصف

أو ساعتين صباح كل يوم، طوال الأيام الوردية الأربعين.

يخصص لهذه العملية؛ عدد من الرجال والنساء والأطفال، وحتى العمالة المستأجرة، وتجمع الأزهار في زنابيل أو أكياس خيش مبلولة، ثم تنقل فوراً إلى مقار بيع الأزهار، أو مصانع التقطير الملحقة بحقول الورد.

العملية الثانية: تبدأ بوزن الأزهار، وفيها يتم عدّ كمية من الأزهار ٥٠٠ زهرة أو ١٠٠٠ زهرة في بداية الأمر، ثم يقاس عليها في الوزن بعد ذلك؛ لأن تركيبة القدر الواحد؛ لها عدد محدد من أزهار الورد. ثم توضع كل ١٠٠٠٠ وردة في قدر واحد نحاسي، مع ٥٠ لتر ماء؛ ما يعادل ١٣ جالونًا، وسعة القدر الواحد في الأصل ؛ ١٢٠ لتر ماء، ٣٢ جالونًا.

وبعد إحكام غلق القدور، توضع على مواقد تسخين إما بالحطب وإما الغاز، فيتم التسخين عليها برفق فترة تصل إلى ٦ ساعات، بعدها تبدأ عملية التبخير؛ الذي يجمع بواسطة إنبيق على شكل خوذة معدنية تشبه فطر عيش الغراب، وهي تنطبق في الأصل بإحكام شديد على قدر التسخين، ويخرج من أعلاها أنبوب معدني؛ ينحني إلى أسفل، حيث يمر خلال خزان من الزنك؛ يحتوي على مياه تبريد.

وفي عملية متلاحقة؛ ينساب البخار الناتج من التسخين في الأنبوب، ففي أثناء مروره عبر خزان به ماء بارد، يتكثف البخار، ويهبط إلى أسفل، حيث يجمع ماء الورد المركز في قوارير زجاجية كبيرة، تكون مغلقة الغطاء من الخيزران، وإذا تركت هذه القوارير فترة من الزمن؛ فإن دهن الورد - المستهدف - يبدأ في التجمع في أعلى القارورة، ويظل ماء الورد تحته، ولكن كمية العطر التي يُحصل عليها في عملية التقطير الأولى هذه؛ تكون قليلة نسبياً، وأغلب الزيت المتطاير يكون منتشراً داخل ماء الورد، فيعبأ كل لتر

> لو أردت استقصاء كل ما جاء من شعر لاحتجت إلى أكثر من بحث طويل في هذا المقام؛ ولكني أكتفي هنا بذكر بعض ما قيل؛ للدلالة على أن ورد الطائف كان، وما زال، من أهم الملهمات الشعرية، التي تهدي الشعراء إلى استنباط الصور البديعة للمحبوب والمعشوق

في قارورة زجاجية تسمى العروس، وهنا تجب إعادة تقطيره مرة ثانية؛ باتباع تقنية التقطير التعاقبي، وهي على صنفين:

الأول:صب محتويات العروس على مجموعة من الأزهار المقطوفة حديثاً، لكي يستحلب كمية أكبر نسبياً من الزيوت القابلة للتطاير.

الثاني: إعادة تقطير محتويات العروس بمفردها؛ دون إضافتها إلى أزهار، على أن يتم ذلك ببطء شديد، والناتج من إعادة التقطير؛ يكون غنياً بالزيوت العطرية.

هذا.. وتسمى القطفة الأولى التي يحصل عليها في هذه الحالة؛ باسم «الثني» أو «الثنو»، أي القطفة الثانية، بينما الأولى هي العروس.

وبعد عمليات التقطير تلك؛ تأتي عملية تبريد المنتج، وتصل الفرحة ذروتها هنا بين العاملين؛ عندما تلتحم كريات الزيوت العطرية مع بعضها، وترتفع لتعلو سطح ماء الورد، حيث يجري سحبها بشوكة؛ وتجمع في وعاء خاص بها.

إن هذا العطر الناتج؛ لا يعبأ مباشرة في قوارير البيع، ولكنه يترك عدة أيام؛ حتى تترسب الشوائب والمواد العالقة به، وتهبط المياه المختلطة به أسفل الزيت، ثم يصبح زيتاً عطرياً نقياً، يأخذ طريقه إلى الأسواق التجارية.

إن عطر الورد الطائفي معروف بجودته، ومشهور بنقائه وصفائه وشذاه على مستوى العالم، ويرى بعضهم: أن أفضل عطور العالم: إنما تأتي من بلغاريا والمملكة العربية السعودية وروسيا على التوالي، تأتي بعدها دول منتجة أخرى

عطر الورد.. وماء الورد.. وسماده

إن الهدف الأساسي من زراعة الورد وقطفه، وجمعه وتقطيره، هو الوصول إلى عطره الزاكي، الذي يقبع داخل بتلات الزهرة، والمنتج من هذه العمليات في النهاية على أربعة أصناف هي: عطر الورد، وماء الورد، وسماده، ثم البقايا من رؤوس الأزهار.

إن أهم هذه الأصناف وأغلاها هو عطر الورد، وهو دهنه النقي الذي يعبأ في قوارير صغيرة جداً، واحدته تسمى تولة، ومنها تتفرع عبوات أصغر، نصف تولة، وربع تولة، وعبوة التولة تعادل ١١ غراماً تقريباً، فتباع في المتوسط بين ٨٠٠ و ٢٥٠٠ ريال، حسب جودة العطر ومزارعه، فورد الهدا يتفوق على غيره، وللوصول إلى هذا المقدار من الغرامات للتولة الواحدة؛ نحتاج من ١٠٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ وردة، تشترى من المزارع بسعر ٣٥ إلى ٧٥ ريالاً لكل ألف وردة. بينما يبلغ الإنتاج السنوي للطائف من عطر الورد في المتوسط ٧٥ إلى ٨٥ كيلو جراماً.

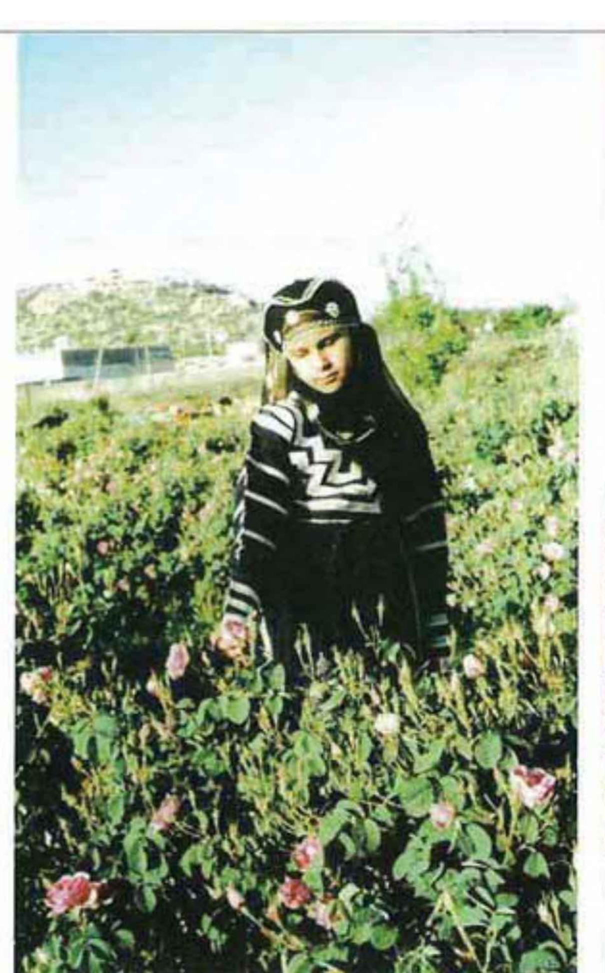
إن عطر الورد الطائفي معروف بجودته، ومشهور بنقائه وصفائه وشذاه على مستوى العالم، ويرى بعضهم؛ أن أفضل عطور العالم؛ إنما تأتي من بلغاريا والمملكة العربية السعودية وروسيا على التوالي، تأتي بعدها دول منتجة أخرى مثل تركيا والصين والهند والمغرب وإيران، وإنتاج الطائف بطبيعة الحال الأقل لكنه الأعلى جودة.

إن عطر الورد الطائفي يتميز بنكهة البهار، خلاف بعض عطور الورد العالمية؛ التي تأتي بنكهة ورائحة عسل النحل، وهو معروف بقوة شذاه، وبلونه المصفر المائل إلى الخضرة قليلاً، إلى جانب لزوجة خفيفة، وهو عطر مائع «مَلاب»، وأنه لا يعلق بالملابس مثل بقية الدهون، وأنه عندما يجمد؛ فسرعان ما يذوب لمجرد ملامسة اليد، فلا يحتاج إلى تسخين، والجيد منه لا تتبقى رائحته فترة أطول على الجسم، فهو سريع النفاذ والنفاد، ويمتصه الجسم بسرعة، ويزول مع الغسيل، وهذه هي صفات دهن الورد العطري الجيد غير المغشوش، كما يقول بذلك خبراء التقطير، ومنهم المرحوم يحيى قاضي، والعم محمد علي الغريبي، صاحب مصنع تقطير قديم هنا في الهدا.

أما ماء الورد؛ فإنه منتج رديف، يأتي بعد العطر في القيمة والأهمية، فهو يكون بكميات كبيرة جداً إذا قيس بكميات العطر، وهو محلول صاف عديم اللون يصنع من الورود الناضرة، يستعمل في صنع العطور، وأدوية معينة، وله رائحة فواحة؛ تشبه - إلى حد كبير - رائحة البراعم المتفتحة للوردة على الشجرة، وينتج في أثناء عملية التقطير المعتادة لعطر الورد (**)، والعروس منه أفضل، ويستخدم في التجميل، ويخلط مع الكحل الأسود، وفي ظلال العيون، ويفيد في علل البصر والقلب والمعدة والتهابات العيون، كما أنه يدخل في صناعة الحلوى وبعض الأطعمة، ويضاف للشاي بدل النعناع الطائفي؛ فيعطيه نكهة خاصة، كما أنه حاضر في مجالس الضيوف، وفي الأعياد والأفراح والمناسبات السعيدة، ويوضع في مرشات ذهبية أو فضية، لها رقاب طويلة، وقواعد بصلية الشكل، فيرش منه على أيدي الضيوف ووجوههم وملابسهم؛ للتطييب وزيادة في التكريم.

أما ما يتبقى من عمليات التقطير بعد الحصول على





الجميع يشارك في قطف الورد

منتجي العطر والماء من الورد؛ فهو عبارة عن كميات كبيرة من رؤوس الأزهار، التي تعد بالملايين بعد تعريضها للطهي في أثناء التقطير، فهي تباع لأصحاب مزارع تربية الأبقار خاصة، فالأبقار تأكلها كعلف، فتدر حليباً بنكهة الورد، وما تبقى في قدور التسخين بعد ذلك، عبارة عن سماد زراعي، يعاد إلى أحواض أشجار الورد.

وفي الطائف في الوقت الحاضر: المئات من معامل التقطير ومصانعه؛ حتى أصبح لكبار المزارعين معامل خاصة بهم، بعد أن كانوا يبيعون إنتاجهم من المزارع لمصنعين داخل الطائف، فمن أكبر هذه المصانع في الهدا؛ هناك مصنع الغريبي والغشمري، وفي الطائف مصانع القاضي للأخوين حسن وعبد الله محمد قاضي بحي السلامة، وقد كان قبل ذلك داخل السوق، ثم مصنع كان ليحيى قاضي - رحمه الله - في المثناة، ومن الجديد في هذه الصنعة: اتجاه بعض المصنعين الشباب نحو تحديث تقنية التقطير، بجلب أجهزة من الصلب الذي لا يصدأ مستوردة من «جراس» في جنوب فرنسا؛ المشهورة بأنها المركز العالمي لإنتاج العطور، فقللوا بذلك من التكلفة، وتميز إنتاجهم بخلوه من الروائح الثانوية .

لو أردت استقصاء كل ما جاء من شعر فصيح ونبطي وغنائي في ورد الطائف، لاحتجت إلى أكثر من بحث طويل في هذا المقام؛ ولكني أكتفي هنا بذكر بعض ما قيل؛ للدلالة على أن ورد الطائف؛ في زرعه وينعه وزهره وعطره ومائه؛ كان، وما زال، من أهم الملهمات الشعرية، التي تهدي الشعراء، إلى استنباط الصور البديعة للمحبوب والمعشوق، وتبرز الشيء الجميل في الحياة.

الشاعر محمود عارف - على سبيل المثال - نظم قصيدة وردية في الهدا معقل الورد الطائفي سماها: من وحي الهدا - الفردوس الأخضر (٥٩) قال من ضمنها:

طاب الهدا وهو بستان ومنتجع
تزدان أوراده حمداً ومن يَثِقِ
هذا الهدا يتراءى وهو منشغل
عن الربا بجمال فيه متسقِ
لبنان - أبها .. وما أندى جمالهما!
وفي الهدا الحسن في الأعلى من النسقِ

والشاعر محمود عارف المثال نفسه: يصف ورد الطائف في هذه الأبيات (٦٠) :

الورد في غصنه هيمان لا عجب
أن تستلذ الهوى في عطره العبقِ
عطر الورود أحاسيس مرهفة
ينداح رفافه كالنور في الفسقِ

وهذا الشاعر فؤاد شاكر - رحمه الله - يصف ورد الطائف فيقول (٦١):

يا رائع الزهر في روض وبستان
أفديك بالحسن من حور وولدان
ماذا احتويت وماذا أنت مشتمل
عليه من عبق فذ وألوانِ
أفديك زهر وأغصان مهدلة
فأنت بالنشر منها جد جذلان
ما زهرك الفذ إلا ما نشاهده
من الطفولة نشوى بين إخوان

ومن شعر أحمد سالم باعطب في الطائف (٦٢):

هناك صبايا الورد ريانة المدى
يدغدغ في الأسحار أعطافها الندى
هناك الرؤى الأبكار يخطرن فتنة
معطرة الأذيال يمرحن خردا

ومن قصيدة لعادل البطوسي؛ تستفسر عن قُبلة الطل للوردة (٦٣):

يا طائف الطائف الخضراء خبرني
عن عشبة رشها الشلال بالعبقِ
عن وردة الصبح كيف الطل قبلها
فضفرت شعرها المبلول بالشفق؟!

والشاعر يوسف الثقفي؛ يستقصي في شعره ألوان الورد الذي عرفه في مدينته الطائف، فيقول (٦٤):

والورد في كل الحدائق مزهر
متعدد الأشكال والألوانِ
من أبيض طهر وبني فاتح
أو أزرق صاف وأحمر قانِ

أما ورد الطائف في شعر السيد علي حافظ - رحمه الله - فإنه يحنو ويميط لثامه لمن يحب (٦٥):

والدوح يحنو علينا
والورد ماط لثامه
والعطر مدّ إلينا
من الزهور خطامه

ومن قصيدة أخرى في مدح الطائف يقول (٦٦):

ونقضي أجمل الأوقات فيها
ونأكل من لذائذها عِذابا

ورمـــــــــــان وأعـنـاب وتـين
ومـــاء الورد فـــاح شـــذا وطابا

أما الشاعر محمد بن سعد بن حسين؛ فيرى في الطائف ذلك الروض الوردي المزهر، يقول (٦٧):

روض به تبصر الأيام زخرفها
ورداً ونيلوفراً غضاً ونسرينا

ونقف مع الشاعر طاهر زمخشري - رحمه الله - على سفوح الهدا؛ حيث راح يستنطق الطبيعة الغناء، وهو يرى فيها وجه حسنائه، ويشتم عبيرها مع نسائم الفجر الندية (٦٨):

قلت: أنت الربيع والورد في خدّ
يك أهدى عبيره للأقاحي
أنت أحلى من الربيع وأزكى
بالذي فيك من ندى ممراح
فيك ما فيه من جمال وورد
زاده الحسن قوة الإفصاح

وللشاعر عبد الرحمن السويداء؛ وقفة شاعرة؛ مع صورة وردية عابقة بالشذا في ربوع الطائف، فيقول (٦٩):

رحيق الورود بأعرافه
تلون من لونها أزهرا
فوشّى ردائي بأفنانه
نقوشاً تروق لكل الورى

ومن أكثر من صدح من الشعراء في الطائف وللطائف؛ الشاعر المرحوم حسين عرب.. فهنا يقول من قصيدة (٧٠):

حبذا العيش بأكناف المصيف
بين نفح الورد والجو اللطيف
ملعب للحسن يجلوه الهوى
وظلال الدوح والغصن الوريف

ثم يقول من نص آخر (٧١):

الخدود التي استحالت ورودا
والقدود التي استحالت بعطفٍ
والعيون التي إذا حدثت قا
لت كلاماً يجل عن كلّ وصفٍ

وهو الورد الذي لازم الشعر، ولازمه الشعر في مدينة الشعر والورد. هذا حداء وغناء؛ من شاعر عراقي أصيل؛ تدير الطائف ذات عام، فسكنه الطائف في كل عام.. يقول (٧٢):

هذه ديرتي فخل الأماني
وضع الرحل بين طيب الجنان
وتنشق من رائعات شذاها
عبق الورد ضاحك الألوان

ومن شعر محمد بن حسن أبو عقيل في الطائف المأنوس قوله (٧٣):

فاح ريح الورد في أرض ندية
أرّج الجو بأزهار شذية
وعبير المسك في شهر الهنا
والروابي الخضر تزجي بالتحية

وفي بيت واحد؛ يجمع الشاعر إبراهيم علاف؛ بين الشفا والهدا في المشترك الجميل - الورد - فيقول(٧٤):

وأنعم بجو في الشفا وشقيقه
هدا الورد.. كنا للوصول نغامر

ومن أبناء الهدا المعاصرين؛ الشاعر حسين الفريبي؛ فماذا يهدي (ميّ) المعاصرة يا ترى؟! (٧٥):

الهدا هي الأشهر في زراعة الورد، يليها وادي محرم، ثم وادي الغديرين، ثم الشفا والأقيلح، وبلاد طويرق والضحيا، وغيرها من السفوح المطلة على تهامة من غرب الطائف وجنوبها، وخاصة في بلاد العيلة، وربيع، وميسان بالحارث، وبني مالك وثقيف

فـــهنا يا ميّ يحلو

كـل شـيء لـلـنـظـرْ

وهنا الأسـمــاء ورد..

وغـصـون.. وشـجـرْ

أما الشاعر العملاق؛ الذي كتب لعيون الطائف أكثر من ١٤ قصيدة؛ المرحوم أحمد بن إبراهيم الغزاوي، فهو يبعث برسالة وردية مجنحة (٧٦):

واقـــبل رســالة شــاعــر

كــادت بأجنحـــة تطيـــرْ

كـــالورد يعــبق في الهـــدا

في طلعــة اليــوم المطيــرْ

هذا ما تيسر من ديوان الطائف (٧٧)، الذي فيه أكثر من ٨٠٠٠ بيت شعر، لأكثر من ٢٦٠ شاعراً وشاعرة. وهناك شعراء كثر في الديوان؛ جعلوا من ورد الطائف حلية في أشعارهم العربية الفصيحة للطائف، منهم: (محمد محمود بخيت - حيدر البدراني - الأمير عبدالله الفيصل - الأمير كمال فرج - عبدالله الحسيني البركاتي - أحمد البوق - قليل الثبيتي - خالد الحميدي - عبدالله الخشرمي - عبدالمجيد الخيري - عبد الحميد ربيع - إبراهيم الزيد - عبدالله الحضبي السبيعي - عبد الله السفياني - الشريف محمد بن منصور آل عبد الله - جاسم الصحيح - نايف الصقير - طالب - عبد الله العبادي - علي العبادي - سلطانة العبدالله - مقبول العرابي - عبدالرحمن العشماوي - المرحوم علي صالح الغامدي - علي الفيفي - إبراهيم بن حسن المالكي - السيد علوي بن عباس المالكي رحمه لله - السيد عبيد مدني - عدنان نحوي - خالد النعمان) (٧٨).

عرف العرب منذ القدم: شجرة الورد وزهرها وفوائدها، خاصة من أقام منهم بالعراق والشام والأندلس، وكان لهم احتفاء خاص بالورد كزينة وعطر وعطارة، واستلهموا منه جماليات شعرية وإبداعية شائقة، وحفلوا كثيراً بأجود أنواع الورد

ورد الطائف في الشعر المغنى

سوف أتجاوز ما جاء من ذكر لورد الطائف في الشعر النبطي، وهو كثير (٧٩)، لأصل معكم إلى الشعر المغنى، حيث شكل الورد الطائفي الجميل؛ ذلك الوتر الرنان المطرب، في كثير من الألحان الشجية، فنبدأ بأغنية الورد، التي صدح بها الفنان المرحوم طلال مداح، وكانت مستوحاة من سفوح الطائف الوردية.. تقول:

وردك يــا زارع الــورد

فـتح ومـال على العـود

قـلـلي فـي ربيـع الـورد

من بالجمال موعود..؟!

وغنى الفنان طارق عبد الحكيم؛ من كلمات الأمير عبد الله الفيصل؛ أغنية وادي ثقيف، التي شرقت وغربت في أرجاء الوطن العربي، وحملت معها عبق ورد هذا الوادي الأخضر؛ فمما تقول (٨٠):

يا ليت وصلك يعـــود

واســعد بلثم الخـدود

يللي تشـــادي الورود

قلبي بقـــربك يطيب

يا ريم وادي ثقـــيف

وغنى الفنان الطائفي عبدالله مرشدي؛ من كلمات




الإعداد للتقطير

ياسين سمكري (٨١):

تحت ظل الورد ياما

اجتمعنا في الهدا

ياما قضينا عصاري

نمشي فيها عا الهدا

بالله يا دول القماري

وغنى الفنان أبو بكر سالم بالفقيه، للهدا، ولوردها الباسم فقال (٨٢):

يا نجوم السما.. يا بدر حالي

يا نسيم الصبا.. يا ورد باسم

كم تمنيت يسمعني حبيبي وانا

أشارك الطير.. في شدوه بلحن الهدا

ثم غنى الفنان اللبناني؛ وديع الصافي، لدرب الطائف، المحفوف بالورود.. قال (٨٣):

قالوا من بستان الزهرا

قاطف أحلى وردة.. وتزين الاخدود

وردي.. حتى ضيع عمره

وقرب العمر اثنين

فين.. تشوف العين..؟!

ورد الطائف.. في الفن الشعبي

تزخر الطائف؛ بألوان شتى من الفنون الشعبية الراقصة؛ ومنها: المجرور والحدري وحيوما؛ ولأن هذه الألوان الثلاثة؛ نابعة من مناطق زراعة الورد في الهدا والشفا، فقد كان للورد الطائفي؛ حضور واضح؛ ضمن نصوصها المغناة في الملاعب والمناسبات والاحتفالات.

نأخذ من نصوص المجرور الآتي:

. صوت؛ فيه تجديد عهد لمحبوب (٨٤):

وابعزم الورد والتفاح.. والمطرب يغني

سلام.. سلام.. لا تحسبني عن مودتك تسليت

عملية التقطير

ولا نسيت العهود اللي مضت.. بيني وبينك

. صوت من شعر كامل بن شحاد (٨٥):

سألتك الله.. يا باهي السنا عن حمرة الخد

خدك من الورد.. وإلا الورد من وجنات خدك !!

- صوت من كلمات الشريف حمزة الغالبي (٨٦):

سبحان منهو خلق ريش النعام.. أهداب ورموش

والثغر فيه البَرَد.. والورد والبرق اللموحي

الورد والنسرين والريحان والدوش

وليا عِرق من جبين حبيبي هذي تفوحي

. صوت من صنع المرحوم عوض الله أبو زيد (٨٧):

ساعة هناني طعامي.. يوم شفتك بحالي

صافي شرابي.. ترى روحي فدا الوردات والخال..!

. صوت من مخطوطة المنديلي (٨٨):

حسين الوصايف.. قد أخذ قلبي بيده.. وقال هذا ملكي

يلالي.. خيال الخال.. في صحن خده.. على الورد مسكي

- صوت من مخطوطة المنديلي كذلك (٨٩):

أرجي وصالك.. يا زهر غصن مورق.. على سعد وافراح

ونحظى بوجناة.. حوى الورد وأطلق.. ثمر طلع تفاح

. صوت هو الآخر من مخطوطة المنديلي (٩٠):

ويا مخجل الوردة.. نجد الظرايف.. ومخجل للأزهار

ويا ربة الخلخال.. بين الوصايف.. تفضل إلى الدار

. صوت متميز من مخطوطة المنديلي (٩١)؛

ونلاحظ كيف تم توظيف الورد في وصف الحبيب، وفي حرقة الفراق والهجر والعتاب واللوم:

يا ورد زاهي على الأغصان.. ريحه زين طابي

وانا قلبي الشقي.. يا ورد على لاماك تعبان

زانت فنونك.. على حال الروى.. والعطف طابي

عساك دايم تمايل.. بالثمر.. في جوف بستان

فارفق قُليبي من المجمول.. والهجران ذابي

لجل إيش يا ورد نشا.. مكثر بهجران

يا ورد لايم.. عسى لاماك.. يبري كل ما بي
ويكف دمعي.. من المحجر.. ومن نوني والأعيان

. صوت نأخذه كذلك من مخطوطة المنديلي (٩٢):

يا من أسر مهجتي.. اعرفني.. ترى بالعز منشاه
ما هان عمري على العز.. الذي الحيّان تطريه
إلا لحي ترجى في الملا.. معسول لاماه
شوقاً إلى ورد خد اللي.. شباب الزين كاسيه

. صوت.. فما زلنا ننهل من مخطوطة المنديلي (٩٣):

بدا يخجل الأغصان بالجيد والقد.. ليا ماح قدّه
ومن طلعة الأثمار.. خده تُورَّد.. زها الورد خدّه

. صوت.. هو آخر صوت نأخذه من مخطوطة المنديلي المشهورة بأشعار المجرور الطائفي (٩٤):

تنعش قلبياً.. بالرعابيب محبور.. غرامه والهوى غرق
قلبياً معود يجتني ورد وزهور.. على أعز مورق

. ومن غنائيات فن(حَيُوما)؛ هذا الصوت؛ لشاعر يتهم الورد؛ بأنه شقق ثيابه، دون فائدة منه (٩٥):

المراجع والهوامش

١. ابن منظور - لسان العرب - مادة (ورد).
٢. المصدر السابق مادة (ورد).
٣. المصدر السابق مادة (ورد).
٤. المصدر السابق مادة (ورد).
٥ . الجياني - إكمال الأعلام بتثليث الكلام، ٢/٧٥١ . ٧٥٢.
٦. المصدر السابق - ٢/٧٥١ . ٧٥٢.
٧. الآية ٣٧ من سورة الرحمن.
٨. الموسوعة العربية العالمية - مادة (ورد).
٩. الثعالبي - فقه اللغة - ٤٤.
١٠. الموسوعة العربية الميسرة - مادة (ورد).
١١. صلاح الدين الحموي - نور العيون وجامع الفنون - ٦١٠.
١٢. القاضي التنوخي - نشوار المحاضرة - ٣٩/٥٥.
١٣. معجم أسماء النبات - مادة (ورد).
١٤. المنجد في اللغة والأعلام - مادة (ورد).
١٥. موسوعة المورد - ١٦/٣
١٦. المصدر السابق - ١٦/٣.
١٧. الملك المظفر - المعتمد في الأدوية ٥٤٦.
١٨. المصدر السابق - ٥٤٧.
١٩. المصدر السابق - ٥٤٧.
٢٠. المصدر السابق - ٥٤٧.
٢١. الثعالبي - ثمار القلوب - ٥٩٢ . ٥٩٣.
٢٢. أبو الوليد الإشبيلي - البديع في وصف الربيع -٦٤.
٢٤. ابن منظور - لسان العرب - مادة (ورد).
٢٦. المصدر السابق - يونيو ٢٠٠٠م.
٢٧. مجلة المقتطف المصرية - ١٩٢٨م.
٢٨. الكندي هو يعقوب بن إسحاق، (ت ٢٦٠هـ).
٢٩. الرازي هو محمد بن زكريا، أبو بكر، (ت ٣١٣هـ)
٣٠. ميشيل هيوورد - مجلة القافلة - يونيو / يوليو ٢٠٠٠م.
٣١. الثعالبي - ثمار القلوب - ٥٣٧.
٣٢. المصدر السابق - ٥٣٧.
٣٣. القاضي التنوخي - نشوار المحاضرة - ١١٢/٧.
٣٤. جلال الدين السيوطي - مقامات السيوطي - ٨١.
أما الرياحين التي ذكرها في هذه المقامة؛ إلى جانب الورد فهي: النرجس - الياسمين - البان - البنفسج - النسرين - النيلوفر - الآس - الريحان- الفاغية.
٣٥. ميشيل هيوورد - مجلة القافلة - يونيو / يوليو ٢٠٠٠م.
٣٦. المصدر السابق - يونيو / يوليو ٢٠٠٠م.
٣٧. المورد . مادة (Atter).
٣٨. الموسوعة العربية العالمية - مادة (زيت).
٣٩. المصدر السابق - مادة (ورد).
٤٠. المصدر السابق - مادة (ورد).
٤١. رمزي مفتاح - إحياء التذكرة في النباتات الطبية العطارية - مادة (ورد).
٤٢. ابن سينا - القانون في الطب - مادة (ورد).
٤٣. الملك المظفر - المعتمد في الأدوية - ٥٤٥ - ٥٤٦.
٤٤. أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) لغوي بصري من المشاهير، له كتب كثيرة في الخيل والإبل والأضداد، ومن أشهرها الأصمعيات.
٤٥. ذكره صاحب وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ولم أطلع عليه.
٤٦. إسماعيل العالم - وصف الطبيعة في الشعر الأموي - ١٠٩.
٤٧. عاش الشاعر في العصر الأموي، وتوفي سنة ٩٠هـ.
٤٨. رصدت كل ما قيل من شعر فصيح في الطائف، من العصر الجاهلي حتى يوم الناس هذا، وصدر سنة ١٤٢٠هـ عن لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، في معجم موسوعي في ثلاثة مجلدات عنوانه: «الشوق الطائف حول قطر الطائف»، وضم إليه شعر ثقيف وشعرائها كافة.
٤٩. رحلة في بلاد العرب - ترجمة د محمد آل زلفة - ٢٨٢- ٣٢٩.
٥٠. المسالك والممالك - ٢٤.
٥١. بلوغ الأرب - ١٩١/١.
٥٢. معجم البلدان - (الطائف).
٥٣. ديوان الشاعر.
٥٤. أبو الوليد الإشبيلي - البديع في وصف الربيع - ٣٥.
٥٥. برج الطرف؛ هو البرج السابع في الربيع، على الحساب الفلاحي المتبع في نواحي الطائف، حسب مخطط الشيخ عواض بن حمود السالمي،

يا لطيف.. يا لطيف

الورد شقّق ثيابي

لا غرازة منه

ولا حصل لي سلامة

وصوت آخر؛ يرتفع في صفوف ملعبة حيوما؛ يحذر من حرق الورد في بلدنا (٩٦):

الورد لا تحرقونه في بلدنا

عسى الله لا يحرّق لنا في الاثمار

الله يسقي السلامة والمثاني

مرابي الدوش والشار والريحان

ونختم هذا المشوار الوردي الجميل؛ بصوت نسوي من حفل (تشريب العروس)؛ والعريس قادم من مزارع الورد على ما يبدو (٩٧):

عريسنا جانا.. من الزرع فرحان

يا عمته.. يا طيبة.. رحبي به

يا عمته بالورد رشي ثيابه

وابن عميرة والحميدي، وغيرهم، والمكون من ١٥ برجاً، في دورتين فلكيتين في العام الواحد، وكل برج من ١٢ يوماً ما عدا برج الجبهة من ١٤ يوماً مرتين في العام، وهي مقسمة على خمسة فصول سنوية، القيظ؛ يتلوه الخريف فالشتاء فالربيع فالصيف، وقمة البرد في فصل الربيع، بينما قمة الحر في القيظ.

٥٦. من هؤلاء المؤرخين: الفيروز ابادي في القاموس المحيط، والمحبي في قصد السبيل، وغيرهما ممن سبق أو لحق.

٥٧. الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام - ٤٥ والخربوطلي - الكعبة المشرفة على مر العصور - ١٢٤.

٥٨. انظر الموسوعة العربية العالمية - (ماء ورد).

٥٩. محمود عارف - ديوان ترانيم الليل - ٣٠١/١.

٦٠. المصدر السابق - ٣٠٢/١.

٦١. حمّاد بن حامد السالمي - الشوق الطائف حول قطر الطائف - ٨٣٨/٢.

٦٢. المصدر السابق - ٤٣٨/٢٢.

٦٣. المصدر السابق - ٤٧٠/٢.

٦٤. المصدر السابق - ٥٥٢/٢.

٦٥. المصدر السابق - ٥٧٦/٢.

٦٦. المصدر السابق - ٥٨٢/٢.

٦٧. المصدر السابق - ٦٠٩/٢.

٦٨. المصدر السابق - ٧٢٩/٢.

٦٩. المصدر السابق - ٨١٨/٢.

٧٠. المصدر السابق - ١٠٢١/٢.

٧١. المصدر السابق - ١٠٢٥/٢.

٧٢. المصدر السابق - ١٠٢٨/٢.

٧٣. المصدر السابق - ١٠٦٣/٢.

٧٤. المصدر السابق - ١٠٧٠/٢.

٧٥. المصدر السابق - ١١٥٥/٢.

٧٦. المصدر السابق - ١١٩٤/٢.

٧٧. المقصود هو المعجم الموسوعي الشعري، الذي جمعته وحققته الموسوم «الشوق الطائف حول قطر الطائف» في ثلاثة مجلدات.

٧٨. انظر أشعارهم في ورد الطائف في المعجم الشعري المنوه عنه أعلاه.

٧٩. انظر كتاب «الطائف في مرآة الشعر» الذي صدر عن لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي سنة ١٤٠٩هـ.

٨٠. حمّاد بن حامد السالمي: الشوق الطائف حول قطر الطائف، ١٢١٥/٣.

٨١. الطائف في مرآة الشعر ٢٢٧.

٨٢. المصدر السابق ٢٢٤.

٨٣. المصدر السابق ٢٣٧.

٨٤. حمّاد بن حامد السالمي - قبيلة ثقيف.. حياتها وفنونها وألعابها الشعبية - ٢٤٥.

٨٥. الشريف محمد بن منصور آل عبد الله - ديوان المجرور الطائفي ٤٠.

٨٦. المصدر السابق ٥٣-٥٤، واللموحي: من اللمح، ولمح البصر.

٨٧. المصدر السابق ٦٧.

٨٨. المصدر السابق ٧٦، ويلالي: يضوي أو يبرق، والمنديلي هو: الشريف محسن ابن ناصر المنديلي، الذي تنسب إليه المخطوطة، كما قال الشريف محمد ابن منصور، مع أن أشعارها غفل من أسماء أصحابها.

٨٩. المصدر السابق ٧٩.

٩٠. المصدر السابق ٨٤.

٩١. المصدر السابق ٨٧، ولامك: أي لومك. وطابي الأولى: طيب، والثانية: استوى.

٩٢. المصدر السابق ٨٨، والحيان: الناس الأحياء.

٩٣. المصدر السابق ١٠٤، وماح: مال وانعطف.

٩٤. المصدر السابق ١٠٦.

٩٥. حمّاد بن حامد السالمي - قبيلة ثقيف.. حياتها وفنونها وألعابها الشعبية - ٣٦٢، والغرازة: ما يتغرز به على الرأس من زهور الورد، أو حماحم الريحان والشار والسذاب، ونحوها، وهي عادة عند الرجال في قرى الطائف.

٩٦. المصدر السابق - ٣٦٤، السلامة: حي بالطائف، والمثاني: هي المثاة المشهورة بمزارع الفاكهة والورد.

٩٧. المصدر السابق - ٣٧١، وتشريب العروس؛ هو حفل مصغر يقام في بيت أهل العروس قبل خروجها إلى بيت زوجها، وفيه تخضب بالحناء، وتشقق أقمشة ملابسها وتخاط، وتلعب النسوة وينشدن طوال اليوم والليلة.



لغــة

اللغــة العــبــرية والبــداية الحديثة

عثمان العمراني

تطوان – المغرب

اللغــة، هذه المؤسســة الضـخمـة التي جعلت جـهـابذة اللغويين يحـارون في إعطائها الإطار العام والشامل التي تشتغل ضمنه، ما زالت تعاني الإشكالات نفسـهـا التي عانتـهـا منذ أن أراد الله جعل خليـفـة له في الأرض، وتعليمـه الأسماء كلها حتى الساعة. فأمر كهذا لم يجد له مرفأ عند اللغويين، بل إن الأمر يتطور يومًا بعـد يوم ليخلق مجالات لأبحـاث لم تكن مـعـروفـة.

إن هذا الإشكال اللغوي الذي يستنفد من الباحثين كل هذا الوقت لجدير بأن يستحوذ على وقت أكثر من أجل الخوض فيه. فحتى بعد أن علم الله آدم الأسماء كلها، وهو، كما هو معلوم، أبو البشر، ومنه ورثت ذريته الأسـمـاء، لم يتـوقف الإنسـان عن فك أسـرار هذه الأسماء التي لا حد لها ولا حصر، بل إن الأمر حسب ما ترويه التوراة: عندما أراد هذا الإنسان أن يشيد برجًا ليطلع إلى الله في عرشه، كان العقاب أن بلبل الله ألسنتهم، وجعلهم دائمي البحث في توال زمني يكون بمنزلة العقاب الأبدي. غير أنه من جهة أخرى، وفي خضم هذا العقاب الأبدي، ولدت العلوم باختلاف مشاربها واختصاصاتها اللامنتهية التي أصلها لغوي بامتياز، فكانت حكمة الله في عباده أن كل شيء له سبب ومسبب.

فـتـفـرق الناس، وأصبـحـوا ألسنة وأفكارًا شـتى، فكان للغة دور خطير في تكوين هوية هذه الشعوب وثقـافـتـهـا، ولا أحد يجادل في ذلك، إلا من فـقـد الإحسـاس بالانتمـاء إلى هـوية بعـينهـا، أو أن الزمن



والعولمة أفقداه هذا الانتماء الضروري لتكوين الشخصية البشرية، مهما حصل التقدم، أو ولدت فكرة حديثة.

ينطبق هذا على اللغة العبرية، إن جاز تسميتها لغة لسبب اقتصار تداولها على منطقة واحدة بعينها من العالم، التي مرت بمواقف وحالات تاريخية كادت تعصف بها، وتمحوها تمامًا من الوجود.

إن اليهود، عبر التاريخ، حاولوا الحفاظ على لغتهم بشتى الطرائق، حتى استطاعوا في غفلة من الزمن أن يحولوها من لغة ميتة إلى لغة رسمية بعد تكوين ما يسمى الدولة الإسرائيلية بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من الاندثار.

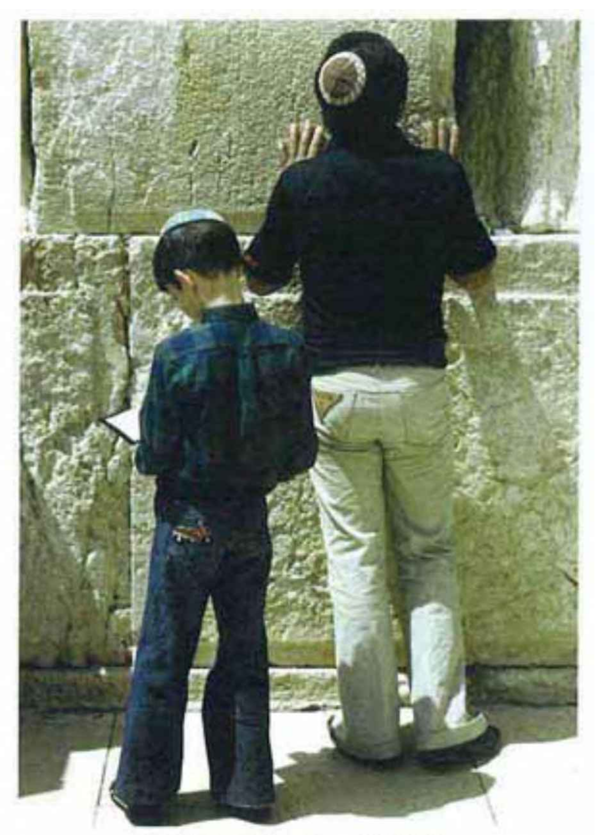
في هذا الاتجاه المصيري الذي سيتأسس عليه مصير أمة بكاملها، سيحاول أبراهام ما بو، بعد أن أحس بالخطر الذي يتهدد الوجود اليهودي، من خلال التهديد المفزع والحقيقي الذي تواجهه اللغة العبرية، أن يقوم بكتابة ما يسمى في أدبيات الأدب العبري الحديث، أول قصة عبرية حديثة (محبة صهيون). من



اهتمام بتدريس اللغة العبرية بالوسائل الحديثة

خلال هذه القصة التي أخذت منه ما يناهز ٢٠ عامًا في كتابتها سيحاول أن يكتب بلغة لا يستعملها أحد في التعبير اليومي عمومًا فيما بينهم آنذاك (اليهود)، معرضًا حياته العلمية للكارثة في حالة عدم نجاحه، وذلك لعدة عوامل: أنه في شرق أوربا، كانت المجتمعات اليهودية تتكلم بلغة اليديش (نوع من اليهود) الألمانية أو ما يطلق عليه judeoaleman، في حين أن العبرية كانت فقط تستعمل في الصلوات، وفي دراسة الكتاب المقدس؛ وهذا ما جعلها لغة مجهولة في عامة اليهود، إلا ما يرشح من بعض البقايا يستعملونها

سيقوم أبراهام مابو بتأليف رواية أخرى بعبرية ذات أسلوب توراتي رائع؛ لأنه، ومنذ البداية، قرر تحديد الرواية في الزمن التوراتي، وعلى الرغم من هذا، فقد كان عليه أحيانًا أن يقيم تعديلات مرجعية لتتوافق مع حبكة الحكاية وتطورها


ظلت اللغة العبرية حية في الكتب المقدسة

بصورة ضيقة: «فاليهود كانوا يتكلمون العبرية في بعض المناسبات: يهود من دول مختلفة كانوا يتحدثون في ما بينهم باللغة المقدسة، في حين كان الكثير من العلماء والكهنة يقومون بزيارة الكثير من التجمعات اليهودية لإلقاء المواعظ باللغة العبرية، وبينما كان بعضهم يتكلم العبرية في أيام السبت، وفي الحفلات الدينية، كان الآخرون يتداولونها في ما بينهم للتعمية على الكفار أو الغوييم حتى لا يفهموهم»(١).

جوهرية الدين

قبل ١٢٠٠ سنة تقريبًا، كانت العبرية لغة الكلام والمحادثة، غير أنه نحو ٢٠٠ عام قبل الميلاد أخذت في الاندثار مفسحة المجال أمام اللغتين العالميتين في ذلك الزمان، الآرامية والإغريقية(٢). غير أنه لم تندثر قط من الوجود كلغة مكتوبة، أولاً في الكتب المقدسة: التوراة والمشنا. بعد ذلك قام الكثير من الكتّاب في العهد الوسيط بنشر كتاباتهم الشعرية، والطبية، والتفاسير، والنحو والفلسفة بهذه اللغة التي بدأت رويدًا رويدًا تبني أساليب جديدة.

على مستوى آخر، لم تكن العبرية تستعمل في أي مكان كأداة اتصال عادية، فاللغة التي كان يتكلم بها اليهود كانت عبارة عن اللغة المحلية أو لهجة البلد الذي يوجدون فيه. فالعبرية واللغة اللاتينية كانتا في العهد الوسيط اللغتين الأساسيتين اللتين يكتب بهما. وبدأت اللاتينية بترك المجال أمام اللهجات المحلية الوطنية الأخرى، لتأخذ مكانها لغات أساسية داخل الوطن. هذا التحويل بدأ في القرن الرابع عشر، وعمليا انتهى مع نهاية القرن السابع عشر، بينما اللغة العبرية استمرت فقط لغة الكتابة حتى القرن التاسع عشر.

لماذا هذا التباين بالنسبة إلى اللاتينية؟ J. Fellman

الكتابة بالعبرية التوراتية عند اليهود كانت مهمة جد صعبة؛ لذلك وعلى الرغم من رفضهم أساليب النحو اللاحقة للعبرية، فإن أغلبية المسكليم كانوا ملزمين بالعودة إليها أحيانًا؛ وذلك لعدم قدرة اللغة التوراتية على توفير معجم مناسب للقرن ١٩م



سيعطي بعض التعليلات لهذا السؤال:

إن عملية حصر اللاتينية في الاستعمال المكتوب فقط كان شيئًا رمزيًا يعبر عن رفض السلطة الدينية المركزة في العالم الفيودالي الوسيط الذي كان يتواصل باللاتينية .. إن اللغات الحديثة ترمز إلى تأسيس نوع جديد من السلطة التي ستتحول على الأمد البعيد إلى دول عصرية حديثة لا تعتمد على دين مشترك، بل على جغرافيا مشتركة، ولغة وطنية موحدة.

هذا التحول لن يؤذي اليهود بسبب عدم اعترافهم أبدًا بسلطة كنيسة العهد الوسيط، ومن ثم فترك اللاتينية جانبًا لم يمثل لهم أي شيء ذي قيمة. زيادة على ذلك فأغلبية اليهود يرون الدين عاملاً جوهريًا وأساسيًا في تشكيل الهوية أكثر من العامل الجغرافي أو الجنسي.

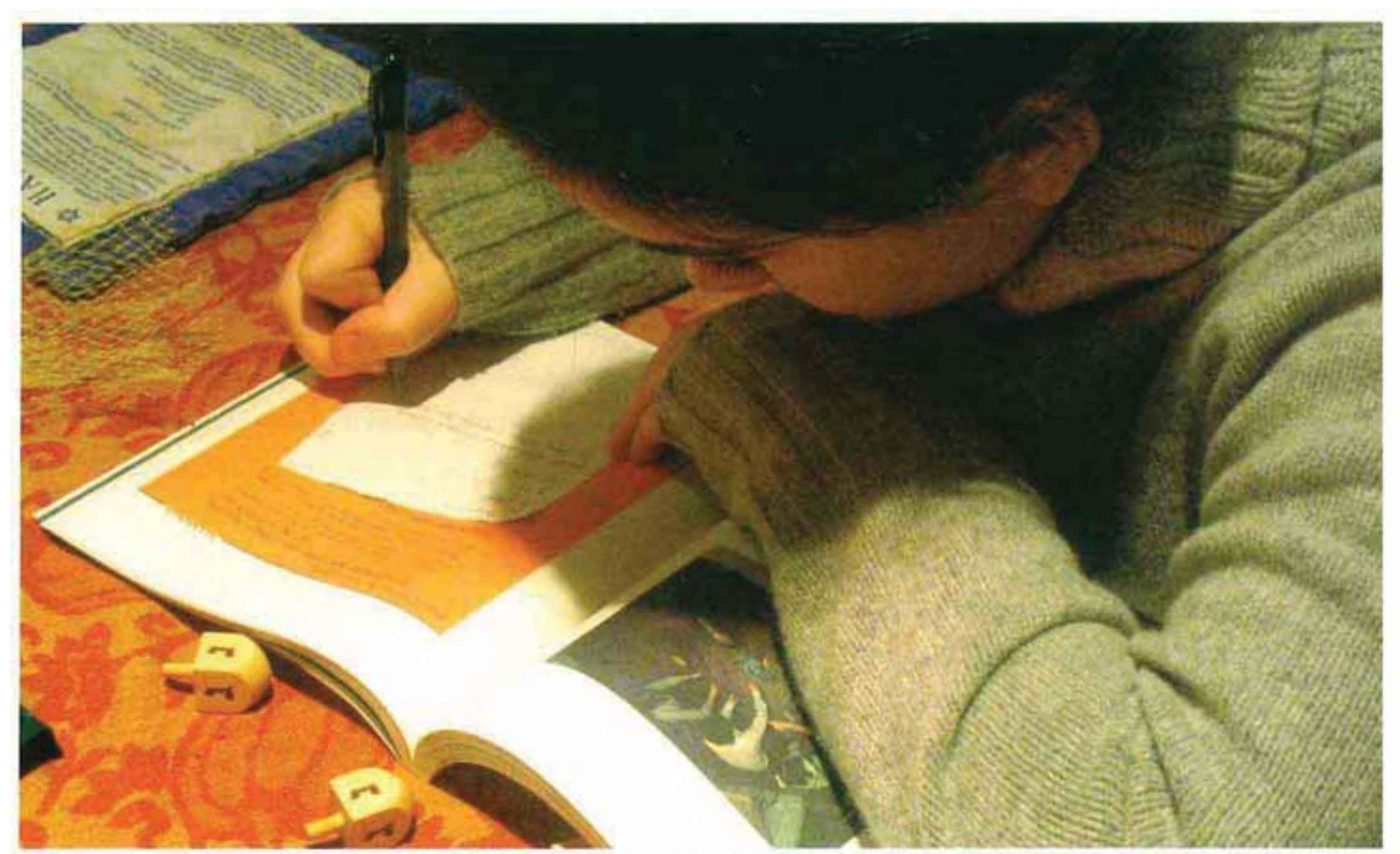
اللغة التوراتية

إن مفهوم الوطنية التي تتأسس على الجغرافيا، أو على لغة معينة في مقابل عامل الدين كان شيئًا غير مفهوم لهم (أي اليهود)، علمًا بأنهم، وخلال قرون كانوا قد تعودوا أن يعيشوا كشعب بلا وطن مشترك، ومن دون لغة مشتركة يتواصلون بها، بل كانوا على الدوام شعبًا يبني حياته وعلاقاته الاجتماعية والسياسية على الدين، واستعمال اللغة المقدسة.

عندما ستتقوى الحركات الوطنية الأوربية في عهد الرومانسية - التي تتوافق مع عهد الحسكلة (النهضة اليهودية) .. سيبدأ الإحساس اليهودي بالوطنية يتبلور من خلال بعث الروح في اللغة العبرية، لكن ليس أي لغة عبرية، بل إن الأمر تعلق بأسلوب اللغة التوراتية دائمًا، التي تستدعي استحضار التاريخ اليهودي القديم عندما كان لليهود مكان يعيشون فيه كأمة موحدة، وهكذا، فإن استعمال الأسلوب التوراتي دفع اليهود إلى الإحساس بأنهم يشاركون إيجابيًا في عملية تكوين الاتجاهات الوطنية الأوربية السائدة آنذاك.

كنتيجة لهذا التحول الثقافي ابتداء من القرن الثامن عشر، سيبدأ ظهور بعض الدوريات والمقالات بهذه اللغة لأصحابها J. Lampronti في فيرارا بإيطاليا، وموسى مندلسون ب Dessau، وستظهر للوجود أول صحيفة تسمى هاما سيف التي ستشكل اللبنة الأولى في تمرير مبادئ الحسكلة (٢).

نسبيًا، فهذه النتائج، على الرغم من ضرورتها بفعل التطور والاحتكاك الذي فرض على اليهود بسبب وجودهم في الغرب الأوربي، كانت ضعيفة بفعل أن حركة الحسكلة كانت حركة مقتصرة على النخبة



التركيز في تعليم النشء اللغة

المثقفة التي تجيد أكثر من لغة، كما أنها تتوفر على تكوين لا يرقى إليه عامة اليهود. عمومًا فالمسكليم (النهضويون اليهود الذين تحملوا عبء نشر مبادئ

على مستوى آخر، لم تكن العبرية تستعمل في أي مكان كأداة اتصال عادية. فاللغة التي كان يتكلم بها اليهود كانت عبارة عن اللغة المحلية أو لهجة البلد الذي يوجدون فيه. فالعبرية واللغة اللاتينية كانتا في العهد الوسيط اللغتين الأساسيتين اللتين يكتب بهما

هذه الحركة) عدّوا الحقبة التي أعقبت العبرية التوراتية كمثل عملية تشويهية للغة؛ ومن ثم فقد تجنبوا استعمال العبرية الربية أو الوسيطية، كما رفضوا استعمال اليديش بوصفها لهجة غير ثقافية، ولا تلبي حاجات اليهود.

القصاص الأول

في القرن التاسع عشر الميلادي سيحاول الكتاب اقتراح تأليف أعمال إبداعية بالأسلوب التوراتي؛ روائيون وشعراء سيحاولون نشر هذه اللغة بين اليهود، في الوقت نفسه يمررون خطابات النهضة، وأيدلوجية الثقافة الغربية الحديثة.

من بين هؤلاء الكتاب يوجد أبراهام مابو القصاص الأول الذي كتب رواية بهذه اللغة. هذه الرواية (محبة صهيون)، التي، كما رأينا سابقًا، كيف أمضى فيها زمنا ليس بالقصير، ابتداء من عام ١٨٣٠م، ونشرت عام ١٨٥٣م، سيعدّها النقاد جوهرة الأدب العبري الحديث المكتوب بهذا الأسلوب(٤). وحسب ناقد آخر، هو ميير فاكسمان: «حقيقة فإن مابو لم يخترع أسلوبًا جديدًا، بل كان العمل الذي قام به أساسًا هو تقليد لأسلوب التوراة، بل إنه توجد درجة كبيرة من الأصالة في تقليد النص المقدس. فهو يلتزم كليًا رواية أحداث العقدة بكل سلاسة، في حين أن الأسلوب يتميز ببساطته واقتصاديته في التعبير، حتى العبارات الملطفة التي يدرجها في الرواية لا يظهر عليها أنها استعملت خارج السياق العام، بل إنها تبدو جد طبيعية في فم الشعب البسيط، الذي يوجد بين مستمعي المسياس. إن مابو أظهر - بلاشك - أن لغة التوراة يمكن أن تستعمل ببراعة شديدة، ليس فقط للتعبير عن الأفكار، ولكن كذلك لتأليف رواية ذات بناء محكم»(٥).

غلاف يضم صوراً لرموز يهودية



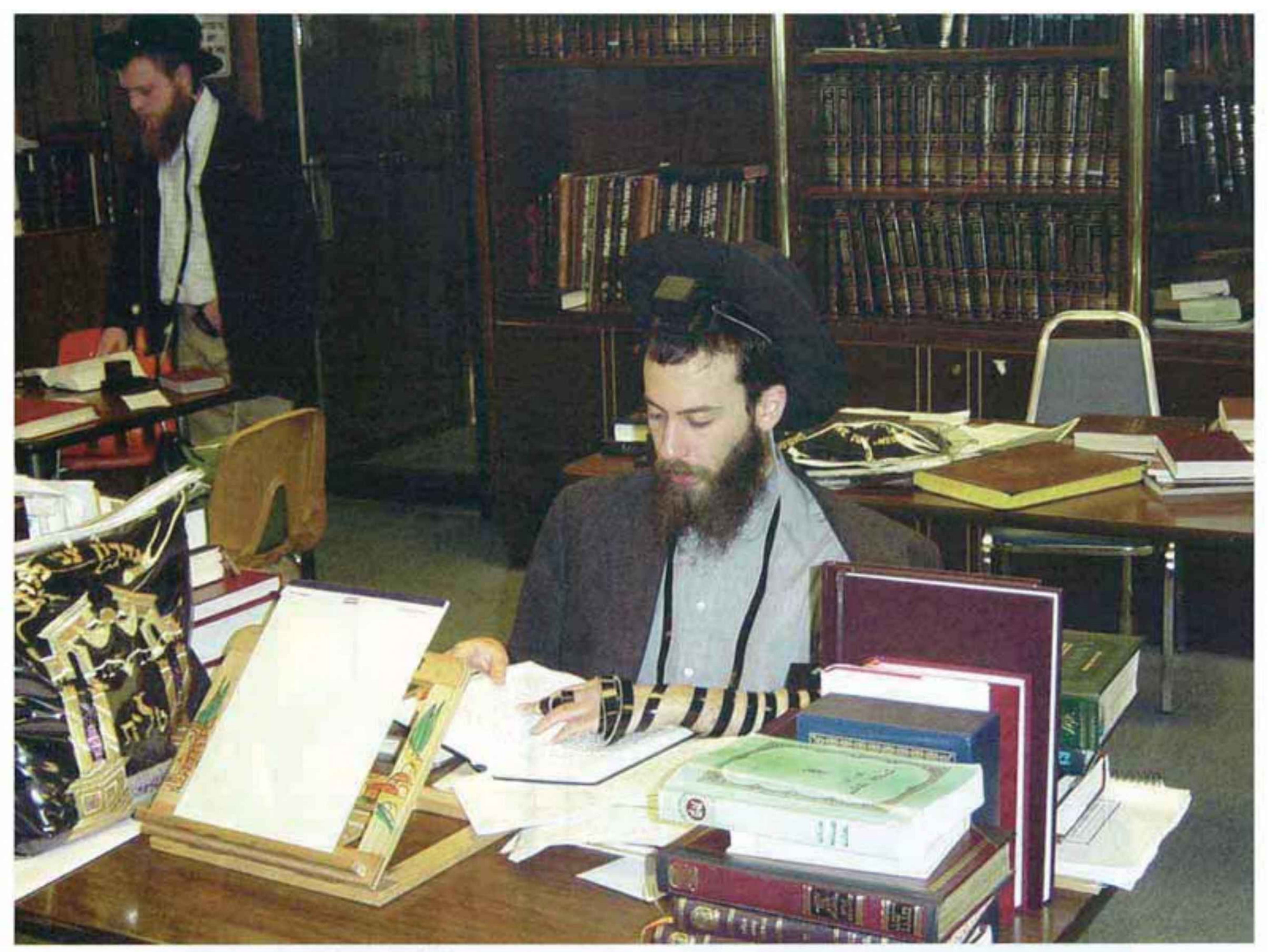
هذا الروائي نفسه ألّف رواية أخرى تدور أحداثها زمن الأيام التوراتية تسمى «أشمات شمرون» (ذنب سماريا) وتشارك (محبة صهيون) التقنيات نفسها بالنسبة إلى اللغة. فالأحداث تقع في سماريا، وليس في القدس. من خلال هاتين الروايتين سيقوم الكاتب بتقديم وجهة نظره التي تتعلق بمفهومه لإشكالية العلاقة بين السياسي والاجتماعي والديني للمملكة المقسمة إلى قسمين؛ مملكة إسرائيل ويهوذا.

هاتان القصتان تعدّان من بين أحسن ما كتب مابو، إلا أنه عندما يحاول أن يجسد روايتيه لتتوافقا مع العصر الذي عاش فيه ستخذله اللغة؛ لأن لغة التوراة لن تسعفه في هذا المجال بسبب النقص الحاصل في معجمها تجاه المجتمع الحديث. لهذا فـ «أييط سبوعا» (النسر الملون) رواية أخرى من تأليفه لن تحوز على نجاح كبير.

اعتراف

إن الكتابة بالعبرية التوراتية، أو بلغة الكتاب

في شرق أوربا، كانت المجتمعات اليهودية تتكلم بلغة اليديش، في حين أن العبرية كانت فقط تستعمل في الصلوات، وفي دراسة الكتاب المقدس، وهذا ما جعلها لغة مجهولة في عامة اليهود، إلا ما يرشح من بعض البقايا يستعملونها بصورة ضيقة



ارتباط بين الدين واللغة

المقدس عند اليهود كانت مهمة جد صعبة؛ لذلك، وعلى الرغم من رفضهم أساليب النحو اللاحقة للعبرية، فإن أغلبية المسكليم كانوا ملزمين بالعودة إليها أحيانًا؛ وذلك لعدم قدرة اللغة التوراتية على توفير معجم مناسب للقرن التاسع عشر. فبعضهم، وتجاوزًا لهذا النقص، قام بالاستعانة بأساليب اللغات الأوربية محدثين أخطاء نحوية أو عادوا بين الفينة والأخرى إلى استعمال أساليب العبرية الربية (التي تعدّ أكثر تطورًا من اللغة التوراتية).

سيقوم أبراهام مابو بتأليف رواية أخرى بعبرية ذات أسلوب توراتي رائع؛ لأنه، ومنذ البداية، قرر تحديد

إن اليهود، عبر التاريخ، حاولوا الحفاظ على لغتهم بشتى الطرائق، حتى استطاعوا في غفلة من الزمن أن يحولوها من لغة ميتة إلى لغة رسمية بعد تكوين ما يسمى الدولة الإسرائيلية بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من الاندثار

الرواية في الزمن التوراتي، وعلى الرغم من هذا، فقد كان عليه أحيانًا أن يقيم تعديلات مرجعية لتتوافق مع حبكة الحكاية وتطورها. من جهة أخرى لم يظهر في نص «محبة صهيون» أخطاء نحوية، ولا تداخلات العبرية الربية أو الوسيطية، ولا تأثير اليديش.

غياب تقليدي أدبي مناسب (٠٠٠)، إن إقحام مفاهيم غريبة عن العبرية يجبر القصاصين على تشويه اللغة في محاولة تشكيلها لتوافق الأهداف الجديدة» (٦).

إنهم متوافقون مع أهدافهم فالمسكليم كانوا معارضين كليًا للموارد الخارجية، لكنهم لم يستطيعوا



المؤتمرات والندوات العلمية من وسائل إحياء اللغة العبرية

سيعترف مابو نفسه لاحقًا بعدم قدرة أسلوب العبرية التوراتية أن تجاري قصصه التي تدور احداثها في الأيام المعاصرة، كما يقول هو ذلك:

«إن محاولة عكس مفاهيم العالم المعاصر والمجتمع الحديث مستعملين في ذلك المعجم التوراتي، بلا شك، ستخلق متاعب كثيرة، فالموقف سيزيد تأزمًا بسبب

تفادي إقحام جمل مأخوذة من لغات أخرى، مثلاً: ككلمة تلي جراما.

فيما يتعلق باليديش، فإن كتّاب عصر الحسكلة كانوا جذريين في هذا الأمر. ابن عامي يروي في مذكراته نوع الإرهاب الذي كان يعبر به البلاغي كلمان شولمان: أكتب أنا بهذه الخشونة فليحفظني الله

من هذا العمل، إني كذلك منعت الآخرين من أن يترجموا كلامي إلى هذا النسيج المبهم (الييديش) (٧).

إلا انهم بعد ذلك سيكتشفون سريعًا أن عليهم، إن أرادوا تمرير خطاب الحداثة والنهضة لشعبهم، فعليهم أن يقوموا بذلك مستعملين اللغة الشعبية (الييديش) أو انهم في الحالة المعاكسة، فلن ينالوا الإقبال المرجو.

من جهة أخرى، فعلى الرغم من أن مابو تبين انه يستطيع الكتابة جيدًا باللغة التوراتية، فإن اتباعه لم يكونوا ليملكوا هذه القابلية من الفهم، وشيئًا فشيئًا ستنتشر فكرة ضرورة الرجوع إلى أساليب لسانية أخرى.

هذا الاتجاه اكتسب القبول التام بفضل عمل (مندل مخور سفوريم) منشئ (العبرية الكاملة)، وهي عبارة عن أساليب جديدة تتضمن عناصر من الييديش، (لقد كان مندل يكتب بالييديش، كذلك كما كان الشأن بالنسبة إلى أجنون، وجرينبيرج اللذين مرًا بعد ذلك إلى (العبرية) مرورًا من العبرية الربيّة، العبرية الوسيطية، ومن الآرامية (٨).

غير أن عبرية مندل كانت على العموم موجهة لتكون وسيلة للتعبير الأدبي فقط، وسيكون اليعازر بن يهودا من سيحول العبرية إلى وسيلة للتعبير الشفوي.

على أية حال، وفي ما يتعلق بـ «محبة صهيون»، فإن هذا التحول لم يكن قد تحقق بعد، وهذا ما يجدنا أمام البطلين الأساسيين في الرواية (أمنون وتمار) وهم يتحاوران بأسلوب نشيد الإنشاد، أو شخصية العجوز (سيتري) الذي يقلد أسلوب سفر الأمثال، أو الشرير (زمري) معبرًا بطريقة الملوك الوثنيين المنتمين إلى سلالة العمرانيين الموجودين في الكتاب الثاني من سفر الملوك.

صراع أبدي

إن معارضة المسكليم للغة الييديش هي الشيء نفسه الذي سيقع مع الكتاب المصريين الذين عارضوا بشدة استعمال اللغة الدارجة كوسيلة أدبية للتعبير، ونحن نعرف ذلك الصراع الأبدي بين الحديث والقديم، وكيف أن تجلياته تنعكس دائمًا في عدة مظاهر وانعكاسات لم تفض حتى الساعة إلى أي توافق. إن الأمر يتعلق بإعلاء المستوى الثقافي للجمهور الشعبي، غير أنه هنا في الحالة اليهودية فإن الإصلاحيين هم الذين يدافعون عن عبرية كلاسيكية محضة (التوراتية) بينما استمر المحافظون يدافعون عن استعمال اللغة الشعبية.



1- Rabin, H., "The Revival of the Hebrez Language", Ariel 25, 1969, p.26.

2- Felman, Jack, The Revival of a Classical Tongue, ed. Mouton, The Hague - Paris 1973,pp.11ss.

3- Sáenz Badillos, Historia de La Lengua Hebred, ed. Ausa, Sabadell,1988, p.259.

4- Kutscher, E.y., A History of the Hebrew Languege, E. J. Brill, Leiden 1982, p 186.

5- Waxman, M. Ahistory of Jewich Literature vol. III, Bloch Publishing c.o., Nueva York 1945, p.273.

6- Patterson, D. "Some Linguistic Aspects of the Nineteenth -Century Hebrew Nove", Jss 7, 1962, p. 310.

7-Zinberg, I. a History of Jewish Literature. The Haskalah, Movmente in Russia, Ktav Publishing House, Nueva York 1978, p. 133.

8- Varela, M. E. Historia de la Literatura Hebrea Contemporánea, ed Octaedro, Barcelona 1992, pp.295 - 296.



المجمع الثقافي بأبو ظبي

مركز اشعاع حضاري خليجيا وعربيا

عبدالله عبدالعزيز الضويحي

المدينة المنورة ـ السعودية

تحتضن دولة الإمارات العربية المتحدة عددًا كبيرًا من المؤسسات والمراكز الثقافية التي تعد مصادر إشعاع لا في منطقة الخليج العربي فحسب، وإنما على مستوى العالم العربي والإسلامي. يمثل المجمع الثقافي بأبو ظبي واحدًا من أهم المؤسسات التي احتلت مكانتها المرموقة في الأوساط الثقافية؛ لما يقوم به من دور كبير في التعريف بالثقافة الإماراتية، مع اهتمامها بتوثيق كل ما يتعلق بالثقافة العربية في منطقة الخليج.

وفي هذا الاستطلاع نتعرف إلى مكونات هذا المجمع، وأهداف كل واحد منها، وما يؤديه من دور يسهم في تفعيل الحركة الثقافية الإماراتية.

الموقع

يقع مقر المجمع الثقافي في مدينة أبوظبي عند التقاء شارع المطار بشارع زايد الأول، وقد صمم المبنى الرئيس مكتب المعماري الألماني «كروبيوس تاك».

ويضم المبنى، إلى جانب المكاتب الإدارية، مقر دار الكتب الوطنية، ومؤسسة الثقافة والفنون ومرافقها، وتم تصميم المبنى الرئيس على الطراز العربي الإسلامي، حيث تكثر الأقواس والممرات الطويلة المسقوفة التي تستند إلى أعمدة ضخمة، ويتألف من ثلاثة طوابق إضافة إلى الطابق الأرضي، ويحتوي البناء على عدد من المرافق للأداء الوظيفي: فلدار الكتب الوطنية ثلاث قاعات مجهزة بأحدث وسائل الخدمة، وهي: القاعة الرئيسة، وفيها عشر خلوات صغرى للباحثين، وقاعة الدوريات، وقاعة مكتبة



الخليج، وقاعة المواد السمعية البصرية، وقاعة مكتبة الأطفال، وقاعة المكتبة الطبية.

وفي وسط المبنى قاعة المعارض الكبرى، وأربع قاعات متوسطة الحجم للندوات والحلقات الدراسية، وفي الجزء الشرقي منه قاعة المسرح الكبرى التي تتسع لألف شخص، ومسرح مدرج (روماني) مكشوف في الهواء الطلق يتسع لمئتين وخمسين شخصاً تقريباً، بالإضافة إلى عدد من قاعات الاجتماعات الصغيرة والمكاتب الإدارية، وأبهاء واسعة، وممرات متعددة.

يتبع للمجمع الثقافي الأرشيف الوطني الكائن بجانب محكمة أبوظبي، والمؤلف من جناحين: الأول منهما مبنى القاعة المقواة المكون من طابقين، إضافة إلى الطابق الأرضي، وهو مخصص لحفظ الوثائق، لذلك تم تصميمه بطريقة تراعي الشروط اللازمة لحفظ المستندات من التلف، والوقاية من الحريق، والثاني مبنى استلام المستندات وتجهيزها، ومكاتب الإدارة، وقاعة الباحثين والفهارس، وهو مؤلف من طابق أول وأرضي، ويلحقه مبنى صغير مستقل



مكتبة الأطفال تضم مؤلفات باللغات المختلفة خاصة بالأطفال

للخدمات، وغرف المراقبة، ومواقف لسيارات المراجعين. تحيط بأبنية المجمع من مختلف جوانبه ساحات واسعة تتخللها الحدائق والممرات المسقوفة،

يضم قسم النشر فريق عمل من الباحثين والمراجعين والمصححين من أجل الإشراف اللغوي ومتابعة الطباعة في كل مراحلها بدءاً من المؤلف حتى وصول الكتاب إلى المتلقي. وقد أصدر القسم ما يقارب ثلاثمئة كتاب بين تأليف ونشر وتحقيق وترجمة



وعدد من الطرق الداخلية والأرصفة ومواقف السيارات.

الوحدات التنظيمية للمجمع الثقافي:

أولاً: مجلس الأمناء: هو السلطة العليا التي تسير شؤون المجمع، وترسم سياسته، وتتصرف في أموره، وتزاول الأعمال التي تقتضيها الإدارة.

ثانياً: الأمانة العامة: يراسها الأمين العام الذي يعين بقرار من مجلس الأمناء، ويتبعه مباشرة عدد من الموظفين والإداريين (سكرتارية، مدير مكتب الأمين العام)، كما تتبع الأمانة الشؤون المالية والإدارية التي تشرف على شؤون الموظفين والحسابات والمشتريات والعلاقات العامة، وتنطوي تحت إدارة الأمانة المباشرة عدة أقسام متخصصة هي على التوالي:

- قسم التسويق: يروج إصدارات المجمع، ويسوقها من خلال شبكة من العلاقات المحلية والخارجية، وبالاعتماد على عدد من الوكلاء والموزعين، إضافة إلى المشاركة في معارض الكتب محلياً وعربياً. ومن المنافذ الداخلية للقسم «مكتبة ابن عتيق» التي أُسست عام ١٩٩٥م، وتقع في الطابق الأرضي من المبنى الرئيس للمجمع، وقد اكتسبت اسمها من الشاعر الإماراتي سعيد بن راشد بن سعيد عتيق الهاملي،

تضم قاعة مكتبة الخليج كل المؤلفات المعنية بمنطقة الخليج في مختلف فروع المعرفة والأدب والفنون، بالإضافة إلى البحوث الجامعية المعنية بالمجال نفسه، وعدد من كتب الإحصاءات السنوية الخاصة بمؤسسات المنطقة التربوية والعلمية والاجتماعية



صقل مواهب الأطفال من خلال أنشطة مركز الأطفال

الذي ولد في أبوظبي عام ١٨٧٥م، وتوفي عام ١٩١٩م، وكان يلقب بـ «أمير شعراء العامية» في ذلك الزمن، وأطلق اسمه على المكتبة تخليداً لذكراه، وتكريماً له. وتضم المكتبة الخاصة جميع إصدارات المجمع من كتاب مطبوع ومسموع وتسجيلات فيديو.

- قسم الإنتاج الفني: أُسس عام ١٩٩٧م بهدف تقديم صورة مبتكرة للبرامج والأنشطة التي ينظمها المجمع، وذلك من خلال الوسائل (السمعية - البصرية)، إضافة إلى توثيقها على الحاسب الآلي لتكون في متناول جميع المهتمين، كما ينتج القسم البرامج الوثائقية والأفلام الروائية والتسجيلية، التي تتناول الواقع المحلي، ويشرف أيضاً على إنتاج الكتب





المسموعة. ومن أبرز أنشطة القسم تنظيم مسابقة أفلام من الإمارات التي انطلقت كتظاهرة عام ٢٠٠٠م، وأصبحت مسابقة رسمية سنوية منذ عام ٢٠٠١م.

- إدارة تكنولوجيا المعلومات: أسس هذا القسم لمواكبة التطور التقني العالمي، وتلبية لحاجات واقعية تتطلبها طبيعة عمل المجمع. ويتفرع عن الإدارة عدة أقسام:

. القسم الإعلامي: يهدف إلى التعريف بالمجمع الثقافي وأنشطته وفعالياته عبر أكثر من وسيلة، منها التواصل مع وسائل الإعلام كافة، وتزويدها بالمعلومات، ووضع كل ما يتعلق بالمجمع على شبكة الإنترنت الدولية، وخاصة التغطية المباشرة قبل الحدث الثقافي وبعده، بالإضافة إلى بناء قواعد بيانات مختلفة، وإعداد استبانات واستطلاعات رأي، وغيرها من المهام ذات الطابع البحثي.

. قسم الصيانة والدعم: وهو المسؤول عن إدارة شبكات المجمع، وعمليات الصيانة، وحل مشكلات (Software و Hardware).

. قسم البحوث الإلكترونية: هدفه إنجاز أبحاث ودراسات وفقاً لأحدث التقنيات.

. قسم النشر الإلكتروني: يضم صفحة المجمع على الإنترنت، ويشرف على إنجاز الموسوعة الشعرية.

دار الكتب الوطنية

هي المؤسسة المسؤولة عن كل ما يرتبط بالكتاب والدوريات من تزويد ونشر واقتناء، وتقدم خدماتها لجميع فئات المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة على اختلاف تخصصاتهم وطبيعة البحوث التي يقومون بها. وتتألف من إدارة تلحق بها سكرتارية تشرف على فروعها المتعددة، التي تتفرع منها، وهي على التوالي:



تنظيم المعارض من أهم أنشطة المجمع

- قسم الخدمة المكتبية: وهو القسم المسؤول عن قاعات المطالعة الآتية:

- قاعة المطالعة الرئيسة: وهي تشكل القسم الأبرز من دار الكتب، إضافة إلى خلوات البحث الخاصة.

- قاعة مكتبة الخليج : تضم كل المؤلفات المعنية بمنطقة الخليج في مختلف فروع المعرفة والأدب والفنون، بالإضافة إلى البحوث الجامعية (ماجستير - دكتوراه) المعنية بالمجال نفسه، وعدد من كتب الإحصاءات السنوية الخاصة بمؤسسات المنطقة التربوية والعلمية والاجتماعية.. إلخ.

- قاعة مكتبة الأطفال: أُسست عام ١٩٩٥م، وتضم عدداً كبيراً من المؤلفات الخاصة بالطفل لمختلف المراحل العمرية، وتصل إلى ما يزيد على عشرة آلاف عنوان بالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، إضافة إلى المجموعات القصصية، والموسوعات العلمية والجغرافية المبسطة الموجهة إلى الطفل، وتضم كذلك عدداً من الدوريات المحلية والعربية الموجهة إلى الأطفال.

- قاعة السمعبصرية: وتضم كل المواد السمعية والبصرية من أشرطة كاسيت، وأشرطة فيديو، وفيديو كاسيت، التي تغطي أنشطة المجمع الثقافية والفنية المختلفة، إضافة إلى ما تزودها به المؤسسات المحلية والعربية الأخرى.

- مكتبة الشيخ فالح بن ناصر آل ثاني: وتضم خمسة آلاف عنوان من نوادر الكتب في مناحي المعرفة المختلفة، وتوجد فهارس خاصة بها، وتقدم خدماتها



المجمع واحتفاء بالفن التشكيلي

للباحثين وطلبة الدراسات العليا، وتعدّ موجوداتها من أهم المصادر التي تحتويها دار الكتب الوطنية.

- قاعة الدوريات: تضم ما يزيد على ٢٥٠٠ دورية تتناول كل نواحي المعرفة، وتضم استخلاصًا وكشفًا لمجموعة الدوريات التي تهتم بمنطقة الخليج بصفة عامة، والإمارات العربية المتحدة بصفة خاصة. ويشترك قسم الدوريات بـ (٢٥٠٠) دورية على الإنترنت، إذ بإمكان أي مستخدم أن يدخل على واحدة من هذه الدوريات، ويحصل على النص الكامل لها، ويقوم القسم أيضاً بخدمات الاستخلاص والتصوير للدوريات في دار الكتب، وصدرت عنه مجموعة من الفهارس والأدلة التي تتيح إمكانية استخدامها.

- المكتبة الطبية: تضم سبعة آلاف عنوان متخصص في العلوم الطبية ومتعلقاتها، إضافة إلى ثمانية آلاف مجلد عربي وأجنبي في المجال نفسه، كما تضم مجموعة كبيرة من المجلات والدوريات المتخصصة في الدولة والوطن العربي، وقد جاء تأسيسها تلبية لحاجة ضرورية؛ وذلك للعدد الكبير من الرواد المعنيين بالمجموعة الطبية.

قسم النشر:

بدأ المجمع الثقافي بإصدار كتب التراث والتاريخ منذ أوائل الثمانينيات، وتحت إشراف مؤسسة الثقافة والفنون، التي أصدرت الكتب الوثائقية، وكشاف الجريدة الرسمية، والوراقية الوطنية، ودليل الدوريات، وبعض الببلوغرافيات، إضافة إلى

بدأ المجمع الثقافي بإصدار كتب التراث والتاريخ منذ أوائل الثمانينيات، وتحت إشراف مؤسسة الثقافة والفنون، التي أصدرت الكتب الوثائقية، وكشاف الجريدة الرسمية، والوراقية الوطنية، ودليل الدوريات، وبعض البيبلوغرافيات، إضافة إلى محاضرات الموسم الثقافي السنوي، وندواته وأمسياته الأدبية

محاضرات الموسم الثقافي السنوي، وندواته وأمسياته الأدبية، كما أصدر مركز الوثائق والدراسات في قصر الحصن كتباً تتعلق بوثائق دولة الإمارات العربية المتحدة ووقائعها.

وفي عام ١٩٩٧م، انتقل قسم النشر إلى دار الكتب الوطنية، وخلال ثلاث سنوات أصبح هذا القسم من أهم دور النشر في الوطن العربي على صعيد الكم والنوع بإصداراته التي تضم مختلف العلوم والفنون والآداب والترجمة وروائع الفكر العربي ونفائس التراث العربي والإسلامي.

ويضم القسم فريق عمل من الباحثين والمراجعين والمصححين من أجل الإشراف اللغوي ومتابعة

مركز الأطفال يعنى بثقافة الطفل، ويهدف إلى تنمية المواهب ورعايتها من خلال الأنشطة الموجهة إلى الأطفال، وللمركز برنامج سنوي من الدورات الشهرية والفصلية المتنوعة في الثقافة والفنون والتقنية





الزعماء العرب في معرض تشكيلي أقامه المجمع

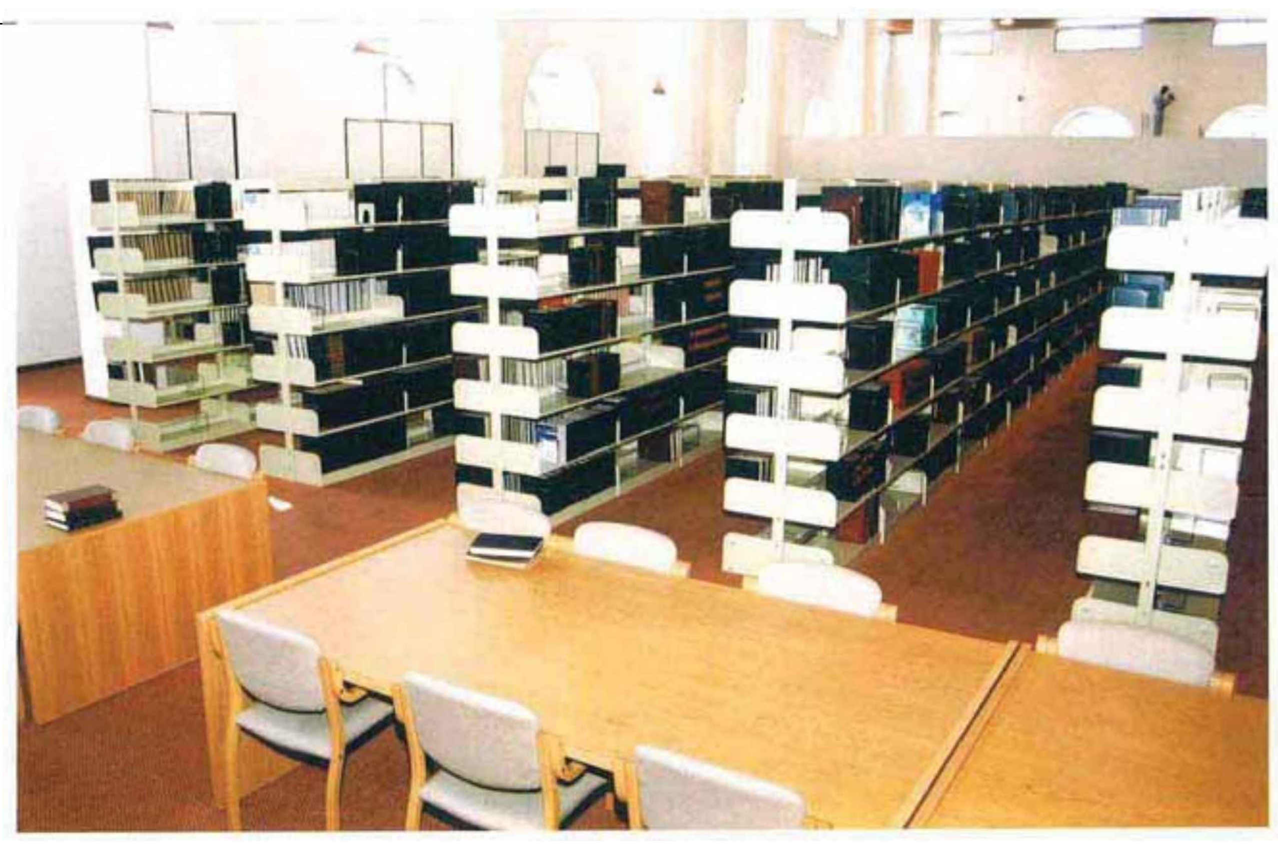
الطباعة في كل مراحلها بدءاً من المؤلف حتى وصول الكتاب إلى المتلقي. وقد أصدر القسم ما يقارب ثلاثمئة كتاب بين تأليف ونشر وتحقيق وترجمة.

- قسم المخطوطات ومصوراتها: واحد من أقسام دار الكتب الوطنية الذي أخذ شكله الرسمي عام ١٩٨٨م، ويعنى بكل ما يتعلق بالتراث المخطوط ومصوراته، وهو مزود بأحدث الوسائل والتجهيزات التي تساعد المحقق والباحث من مصادر وفهارس وكشافات، وأدوات بصرية وتصويرية، وغيرها، ويهدف القسم إلى نشر الوعي المخطوطي تجاه الثروة العلمية، والمساهمة في كل ما يساعد على جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها، إما أصولاً عن طريق الشراء أو الإهداء وإما عن طريق المصورات لها بالمايكروفيلم أو المايكروفيش، وإما بالشراء من المكتبات العالمية، التي تمتلك أصول المخطوطات والتبادل والإهداء معها.

- شعبة التجليد: وهو القسم المعني بتجليد مجموعات دار الكتب الوطنية وصيانتها وترميمها، إذ يخضع الكتاب قبل وصوله إلى رواد المكتبة للتجليد بأحدث الطرائق الفنية، التي تحافظ على قوة احتمال الكتاب واستمرارية الاستفادة منه على المدى البعيد.

- قسم الفهرسة والتصنيف: وهو القسم المسؤول عن إنجاز عمليات الفهرسة والتصنيف للمواد المحولة من قسم التزويد، مثل الكتب، والمواد السمعبصرية، والإلكترونية .. إلخ.

- قسم التزويد: أو وحدة تنمية المجموعات، وهو القسم المعني بتزويد مختلف الوحدات بالكتب



جانب من مكتبة المجمع

والدوريات المطلوبة؛ وذلك عن طريق متابعة أحدث الإصدارات والنفائس التراثية، والكشف عن القوائم التي تصل إلى المجمع من جهات محلية وعربية وعالمية معنية بالكتاب، ثم تزويد وحدات دار الكتب بما ينقصها أو ما تحتاج إليه من هذه القوائم؛ وذلك عن طريق الشراء أو التبادل، الذي يتم من قبل قسم الإهداء التابع لوحدة تنمية المجموعات حيث يقوم هذا القسم باختيار ما يوجد في قوائم الجهات المرسلة من الاحتياجات المطلوبة، وخاصة الكتب التي تخص الدولة من ناحية دينية واجتماعية وثقافية، أو يتم تحويلها إلى المكتبة العامة، إضافة إلى ذلك يقوم قسم الإهداء بتبادل الكتب من إصدارات المجمع ومقتنياته مع الجهات الحكومية داخل الدولة وخارجها، ويقوم بإهداء مجموعات من إصدارات المجمع، ومن مجموعاته المقتناة (حسب عدد النسخ) إلى الهيئات العلمية والتربوية والصحية في الدولة وخارجها (مدارس، جامعات، مستشفيات، مراكز بحوث... إلخ).

مؤسسة الثقافة والفنون

وهي المؤسسة المعنية بتفعيل الأنشطة الثقافية وتنظيمها وفقاً لخطين:

الأول مرتبط بالأنشطة الداخلية التي ينظمها المجمع.

والثاني بالأنشطة الخارجية التي تقوم بها مؤسسات الدولة وهيئاتها الثقافية والتربوية ومراكز البحوث، ويستضيفها المجمع بالتعاون والتنسيق بين



قسم الفنون يعنى بالأنشطة الفنية بأشكالها المختلفة

هذه الجهات والمؤسسة، بالإضافة إلى أنشطة السفارات العربية والأجنبية المعنية بالقطاع الثقافي، ويرأس المؤسسة مدير يتبعه قسم السكرتاريا، وتتفرع من الإدارة عدة شعب، هي على التوالي:

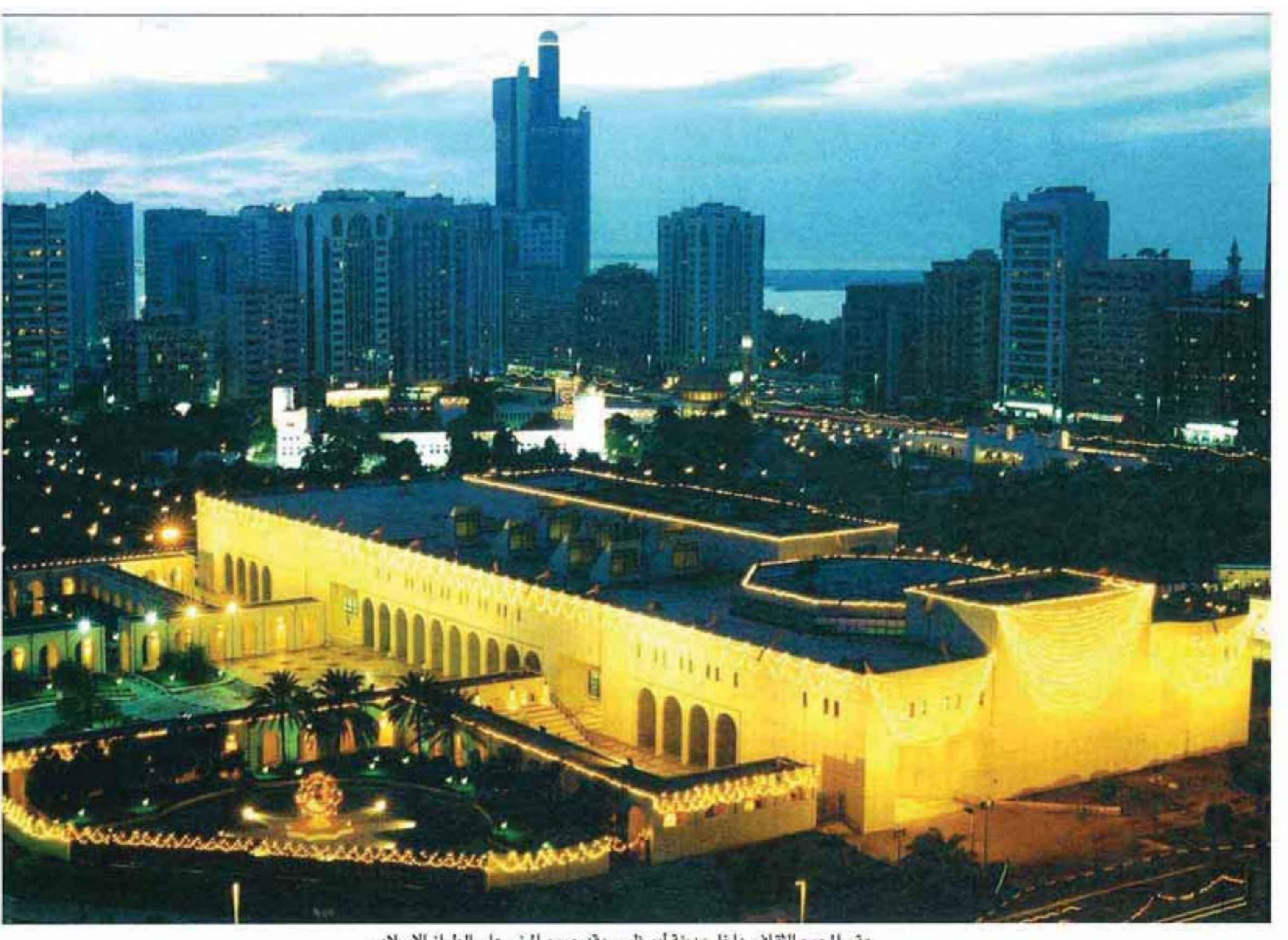
شعبة التنسيق والمتابعة: وهي نقطة الوصل بين المدير والأقسام الأخرى من جهة، وبين الأمانة العامة من جهة أخرى، بالإضافة إلى التعامل مع العلاقات العامة، وقسم الحسابات وشؤون الموظفين، ودار الكتب الوطنية، والأرشيف الوطني، وتتابع هذه الشعبة الإجراءات التنفيذية لأقسام المؤسسة.

قسم الفنون:

وهو القسم المعني بالأنشطة الفنية بمختلف أشكالها، ويتفرع على ثلاث شعب رئيسة:

- شعبة السينما والفيديو: تقوم بتنظيم عروض سينمائية أسبوعية في صالة السينما، وقاعة الفيديو، بالإضافة إلى الأسابيع السينمائية العالمية والعربية التي يتم خلالها عرض التجارب العربية والعالمية، وتقام على هامش هذه الأسابيع الندوات والمحاضرات، التي تناقش موضوع الأسبوع السينمائي؛ وذلك حسب الأهمية والإمكانات المتوافرة.

- شعبة المسرح والموسيقا: تعنى بتنظيم الأمسيات الموسيقية والمسرحية، واستضافة العروض المسرحية العربية والمحلية والعالمية، وأشهر الفرق الموسيقية والموسيقيين العرب والعالميين في العزف المنفرد، بالإضافة إلى أنشطة مهرجان الطفولة السنوي، وما تتضمنه من



مقر المجمع الثقافي داخل مدينة أبو ظبي، وقد صمم المبنى على الطراز الإسلامي

عروض موسيقية ومسرحية موجهة إلى الطفل.

- شعبة المعارض: تقوم بتنظيم المعارض الفنية بشتى أشكالها بدءاً من التشكيل إلى التصوير الفوتوغرافي، بالإضافة إلى المعارض الجماعية التي تمثل بلداً من بلدان العالم، وبشكل خاص تلك التي تقام ضمن الأسابيع الثقافية والمعنية بفن الدول وتراثها والمشغولات اليدوية وعروض الأزياء، المعبرة عن ذلك.

أسست قاعة مكتبة الأطفال عام ١٩٩٥م. وتضم عدداً كـ يـراً من المؤلفات الخاصة بالطفل لمختلف المراحل العمرية. وتصل إلى ما يزيد على عشرة آلاف عنوان بالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية. إضافة إلى المجموعات القصصية. والموسوعات العلمية والجغرافية

قسم الثقافة:

وهو القسم المعني بكل ما يرتبط بالثقافة، ويندرج تحت إطارها، من تنظيم محاضرات، وأمسيات شعرية، وندوات فكرية، يستضيف فيها كبار الكتاب والشعراء العرب والأجانب، بالإضافة إلى تنظيم ندوات خاصة لمناقشة الكتب الصادرة حديثاً عن المجمع الثقافي أو غيرها من الكتب المهمة التي تصدرها دور النشر المحلية والعربية. ويؤدي هذا القسم دوراً أساسياً في تنظيم الأنشطة التي تتم على هامش معرض الكتب، وغيرها من الأسابيع الثقافية، التي تقوم بها هيئات عربية وأجنبية، ويستضيفها المجمع الثقافي أحياناً، أو تقوم المؤسسة بتنظيمها بالتعاون مع الجهات المعنية.

ويقوم قسما الثقافة والفنون بإعداد البرنامج السنوي للأنشطة الفنية والثقافية، ومن ثم إصدار كتيبات بشكل شهري أو فصلي لهذا البرنامج، مع غيرها من البروشورات والكتيبات المترافقة مع أنشطتها.

مركز الأطفال:

وهو إحدى الوحدات التابعة لمؤسسة الثقافة والفنون، أُسس عام ١٩٨٦م ليصبح أول مؤسسة في إمارة أبوظبي تعنى بثقافة الطفل، ويهدف إلى تنمية المواهب ورعايتها من خلال الأنشطة الموجهة إلى الأطفال. وللمركز برنامج سنوي من الدورات الشهرية والفصلية المتنوعة في الثقافة والفنون والتقنية، وهي: الرسم بأشكاله المتنوعة، التصوير الفوتوغرافي، الأشغال اليدوية، الخط العربي، رقص الباليه، دورات موسيقية لمختلف أنواع الآلات الموسيقية، الشطرنج، إضافة إلى دورات لتنمية مهارات القراءة عند الأطفال بإشراف متخصصين، كما ينظم الدورات الخاصة بتعليم قراءة القرآن الكريم وعلومه. ويضم قاعة كمبيوتر تنظم فيها دورات دورية باللغات العربية والأجنبية، (فرنسية - إنجليزية وغيرها)، بالإضافة إلى دورات علمية خاصة بعلوم التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية.

ومن أهم أنشطة المركز تلك الفعاليات الخاصة بفئات ذوي الاحتياجات الخاصة؛ وذلك بالتنسيق مع الجهات الخاصة برعاية المعوقين وتأهيلهم، بالإضافة إلى مشاركة المركز في عدد من الفعاليات والعروض السينمائية والمسرحية على هامش معرض أبوظبي للكتاب، عدد من الأسابيع الثقافية التي يقوم بها المجمع.

مركز اللغات:

أُسس عام ١٩٩٥م ليقدم خدماته للجمهور بتنظيم دورات في اللغات (الألسن) المختلفة (الإنجليزية، الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، الإسبانية، اليونانية، اليابانية، الفارسية) بالإضافة إلى دورات في تجويد قراءة القرآن الكريم، وتقدم الدورات للجنسين من البالغين لقاء رسم رمزي؛ لأن الهدف الأول من هذه الدورات هو نشر الثقافة العالمية، وإتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن للاستفادة

ينظم مركز اللغات عدداً من دورات اللغات والمهارات الفنية للبالغين من الجنسين. وهي: دورة في التزيين والتشكيل الفني. ودورة في مبادئ التصوير التلفازي. ودورة في ثقافة الأوبرا (منتخبات راقية بالعربية والإنجليزية)



مؤسسة الثقافة والفنون: تراث شعبي داخل المجمع

من الإمكانات المتاحة، ويبقى الربح آخر الأهداف.

كما ينظم المركز أيضاً عدداً من دورات اللغات والمهارات الفنية للبالغين من الجنسين أيضاً، وهي: دورة في التزيين والتشكيل الفني، دورة في مبادئ التصوير التلفازي، دورة في ثقافة الأوبرا (منتخبات راقية بالعربية والإنجليزية).

ينظم المركز، بالإضافة إلى هذه الدورات دورات

يعنى الأرشيف الوطني بجمع المعلومات الوثائقية الأصلية الناتجة من عمل الإدارات الحكومية والأهلية في الدولة وحفظها، وحمايتها عبر وسائل غير تقليدية ومتطورة. وتكمن أهمية المعلومات التي يضمها في أنها تعكس صورة أنشطة أهم القوى الفاعلة في المجتمع الإماراتي

خاصة بالنساء في اللغات الفنية (هندسة التصميم الداخلي - الديكور) وهي تتضمن كل ما يتعلق بالتصميم الداخلي للمنازل.

المرسم الحر:

تأسس المرسم الحر عام ١٩٨٦م كأحد الأقسام التابعة لمؤسسة الثقافة والفنون، ويقوم المرسم بأنشطة فنية مهمة من خلال أقسامه المتعددة (النحت، قسم الرسم بأنواعه المختلفة كالرسم على الحرير، والرسم على الزجاج - تنسيق الأزهار والديكور - وقسم التصوير الفوتوغرافي. وينظم المركز كذلك دورات للبالغين من الجنسين في هذه المجالات، وتطورت أنشطته من حيث تنظيمه لأنشطة مفتوحة تتعلق بمجالات الفنون، إضافة إلى دورات تخصصية في الرسم، وبخامات متعددة، والرسم على السيراميك. وقد نظم في بداية تأسيسه دورات بالطرق على النحاس، ورسم المنمنمات، ومهارات فنية ترتبط بالديكور، والخط العربي بأنواعه، التي ما زالت مستمرة حتى الآن، ويقيم المرسم في بعض الأحيان معارض للمشاركين في الدورات، وكان ذلك في ما مضى تقليداً سنوياً،

تأسس المرسم الحر عام ١٩٨٦م كأحد الأقسام التابعة لمؤسسة الثقافة والفنون، ويقوم المرسم بأنشطة فنية مهمة من خلال أقسامه المتعددة (النحت، وقسم الرسم بأنواعه المختلفة - تنسيق الأزهار والديكور - وقسم التصوير الفوتوغرافي)

وأول معرض للمرسم الحر كان عام ١٩٨٦م تحت رعاية سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، ومعالي أحمد خليفة السويدي . رئيس مجلس الأمناء بالمجمع الثقافي.

دلما كافيه: وهي المقهى الملحق بالمجمع الثقافي، ويوفر فرصة لرواد المجمع ولعامليه في أخذ قسط من الراحة. يقدم المقهى المشروبات الساخنة والباردة، والوجبات السريعة.

وقد نظم المكان بطريقة فنية: إذ يضم عدداً من اللوحات التشكيلية، وأنواع الأزهار وعدداً من طيور الزينة الأليفة، ويحتوي على بيانو يقدم أحياناً معزوفات لبعض الفنانين من روّاد المجمع. وقد أقيم في دلما كافيه عدد من الفعاليات الفنية والثقافية، وخاصة المرتبطة بالمأكولات الشعبية للشعوب، التي قدمتها بعض السفارات في الدولة عبر المطبخ الملحق بالمقهى لكون الطعام ثقافة وجزءًا أساسيًا من حضارة الشعوب وتراثها. وتفتح دلما أبوابها في جميع أوقات الدوام الرسمي للمجمع الثقافي حتى التاسعة من مساء كل يوم.

الأرشيف الوطني

يعنى بجمع المعلومات الوثائقية الأصلية الناتجة من عمل الإدارات الحكومية والأهلية في الدولة وحفظها، وحمايتها عبر وسائل غير تقليدية ومتطورة. وتكمن أهمية المعلومات التي يضمها الأرشيف الوطني في أنها تعكس صورة أنشطة أهم القوى الفاعلة في المجتمع الإماراتي، كالإدارات الحكومية والجمعيات والشركات وغيرها.

ويقوم موظفو الأرشيف بإعداد الفهارس والكشافات التي تبيّن محتوياته، وتساعد المهتمّين على معرفتها.



عمارة مدينة إستانبول

تآلف الهيبة والجمال

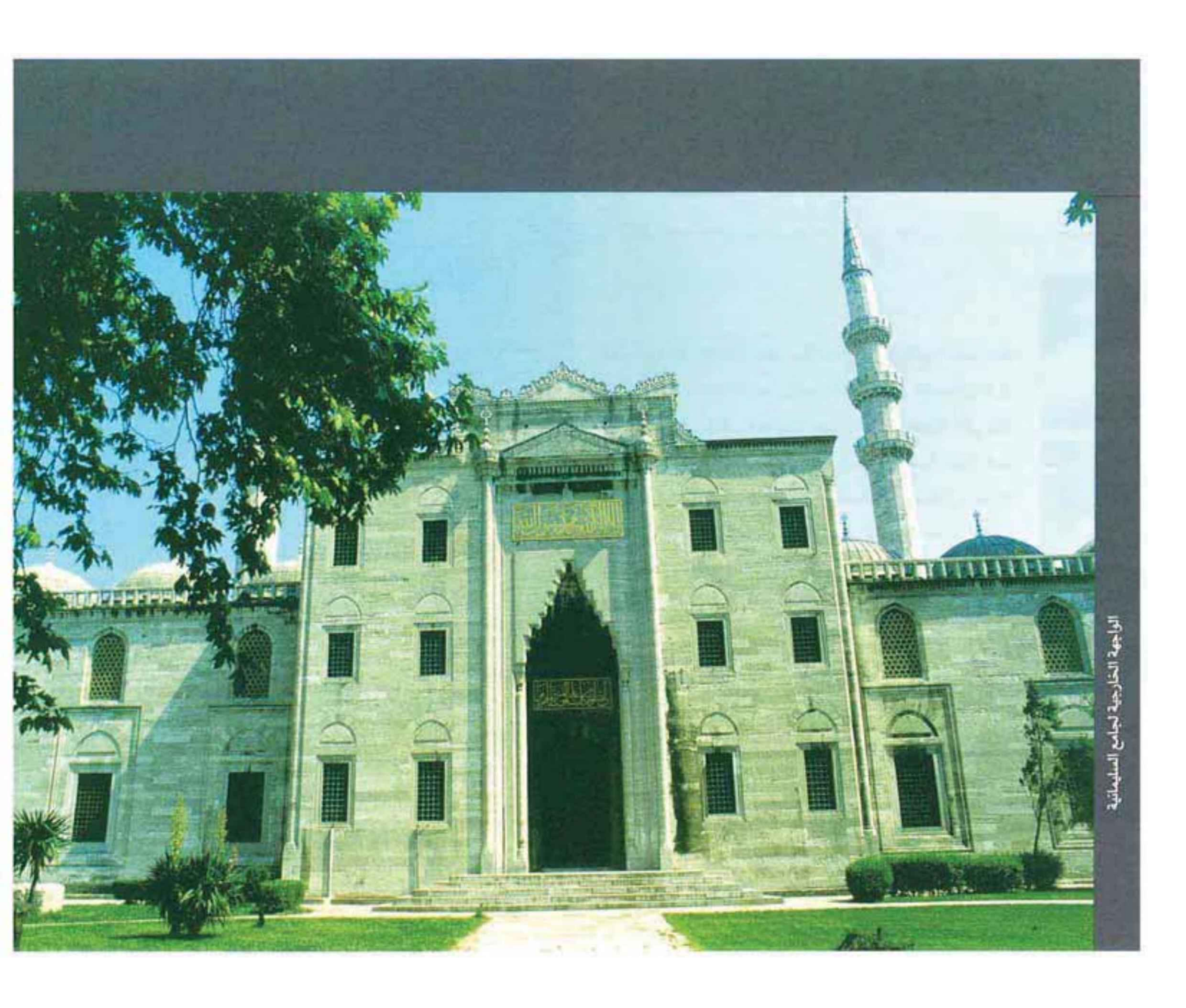
محمود زين العابدين

الرياض – السعودية

تعود أهمية مدينة إستانبول إلى موقعها الإستراتيجي المهم ،الذي يربط بين قارتي آسيا وأوربا، وإلى ما شهدته تلك المدينة من أحداث سياسية رفعت مكانتها وأهميتها، بعدما قام الإمبراطور تيودور في عام ٣٧٥م بتقسيم إمبراطوريته الرومانية إلى إمبراطوريتين: إحداهما الغربية، وعاصمتها روما، والأخرى الإمبراطورية الشرقية، وعاصمتها القسطنطينية، جاعلاً منها مركزاً مهماً للنصرانية، شهدت خلالها تلك المدينة عدّة أحداث، مع مرورها بفترات ازدهار وتدهور دامت عشرة قرون، على الرغم من كل ما خضعت له من حروب ضد الفرس في آسيا، وضد البرابرة في أوربا، بالإضافة إلى فتوحات شمال إفريقية. ومن أهم تلك المراحل فترة عهد هرقل (٦١٠ – ٦٤١م) الذي منحها نهضة جديدة عند استعادته بلاد الشام ومصر وآسيا الصغرى.

القسطنطينية قبل العهد العثماني

حاصر المسلمون القسطنطينية إحدى عشرة مرة، قبل هذه المرة الأخيرة، منها سبع مرات في القرنين

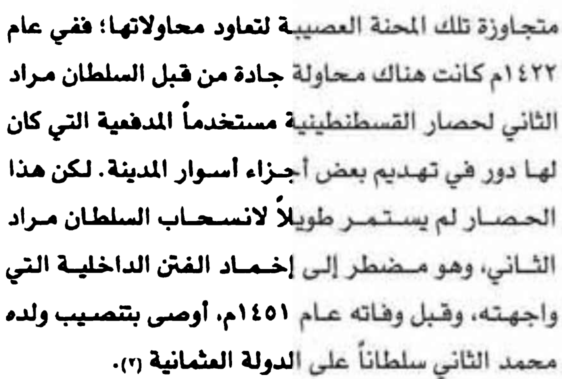


الواجهة الخارجية لجامع السليمانية

الأولين للإسلام، فحاصرها معاوية في خلافة علي رضي الله عنه سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، وحاصرها يزيد بن معاوية سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م، في خلافة معاوية أيضاً، وحاصرها سفيان بن أوس في خلافة معاوية سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢ م. وفي سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م حاصرها مسلمة بن عبدالملك في زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموي، وحوصرت أيضاً في خلافة هشام سنة ١٢١هـ/٧٣٩م، وفي المرة السابعة حاصرها أحد قواد الخليفة هارون الرشيد سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م (١).

وكان للعثمانيين عدد من المحاولات للسيطرة على القسطنطينية، فقد وصلت قواتهم إلى أسوار القسطنطينية عام ١٣٧٥م في أول محاولة لها على يد السلطان مراد الأول، ثم تلتها محاولات أخرى خلال حكم السلطان بايزيد الملقب (يلدريم)؛ أي: العاصفة، لقوته ولصلابة جأشه، والذي دام حكمه من عام ١٣٨٩م حتى عام ١٤٠٢م، بعد أن سقط أسيراً في أيدي تيمورلنك زعيم التتر. مرّت بعدها الدولة العثمانية بفترة ركود وتدهور دامت عشرين عاماً، إلى أن استعادت قوتها



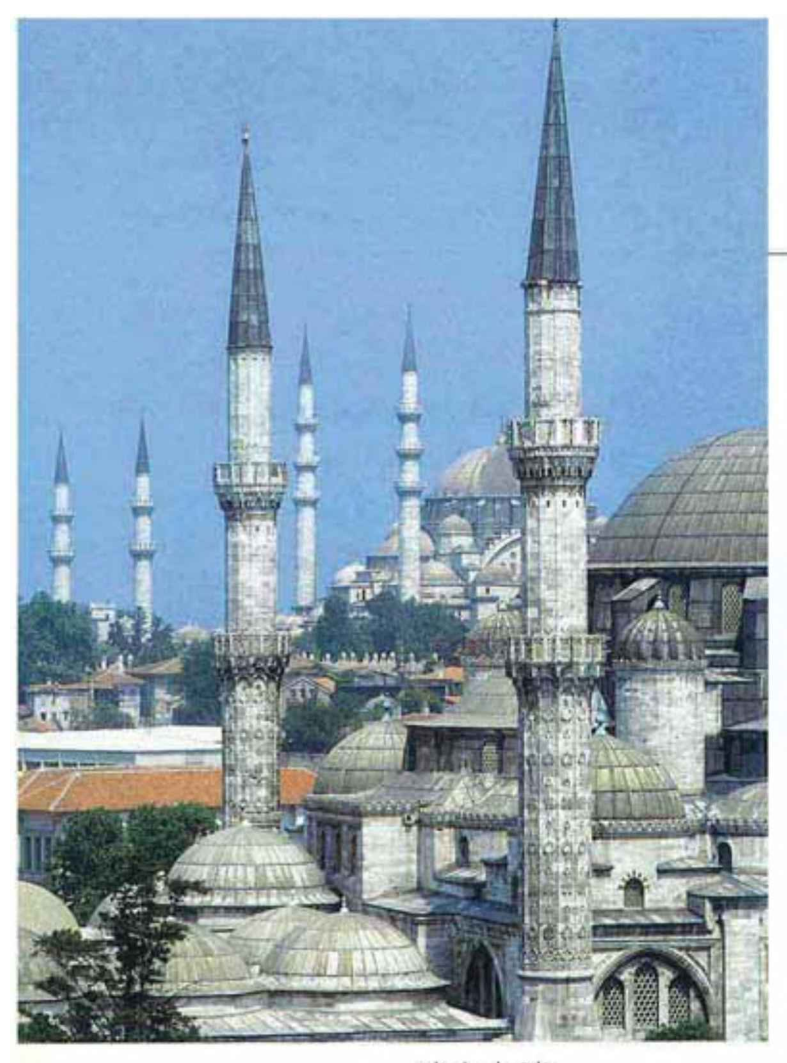


متجاوزة تلك المحنة العصيبة لتعاود محاولاتها؛ ففي عام ١٤٢٢م كانت هناك محاولة جادة من قبل السلطان مراد الثاني لحصار القسطنطينية مستخدماً المدفعية التي كان لها دور في تهديم بعض أجزاء أسوار المدينة. لكن هذا الحصار لم يستمر طويلاً لانسحاب السلطان مراد الثاني، وهو مضطر إلى إخماد الفتن الداخلية التي واجهته، وقبل وفاته عام ١٤٥١م، أوصى بتنصيب ولده محمد الثاني سلطاناً على الدولة العثمانية (٢).

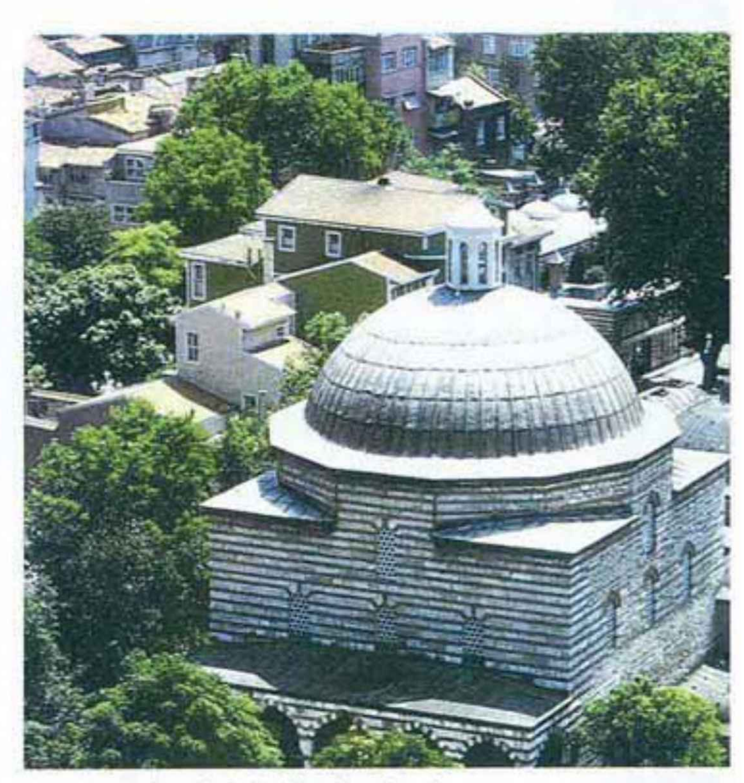
القسطنطينية والفتح العثماني

لقد أراد محمد الثاني منذ الأيام الأولى لحكمه حسم مشكلة القسطنطينية بالاستيلاء على هذه المدينة، فقد كانت تتخذ وكراً للمؤامرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية. ولذلك استعد السلطان سياسياً وعسكرياً للاستيلاء على القسطنطينية وكان من بين الإجراءات السياسية التي اتخذها أنه جدّد المعاهدات واتفاقيات الهدنة مع جميع جيرانه، والأمراء الذين تربطهم بالدولة علاقات معينة، مثل البندقية، وجنوة، والصرب، ووالاشيا، وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس. وكان هدفه من وراء تجديد هذه الاتفاقيات، عزل الدولة البيزنطية سياسياً وعسكرياً عن الدول والإمارات، سواء المجاورة أو

يعدّ مجمع بيازيد الثاني، الذي شيّد بين عامي ١٥٠٠ و١٥٠٥ م أقدم المجمعات، التي حافظت على بنائها الأصلي في إستانبول. ونلاحظ على الجامع الذي توسط مباني المجمع وأقيم فوق مرتفع يجاور "السراي القديم" أنه كرّر المخطط، ونظام القباب المستخدمة في أياصوفيا



منارة جامع شهزاده



حمام حسكي حرّام من أعمال المعماري سنان



المتاخمة لها. أما عن الإجراءات العسكرية فقد أكمل إقامة المنشآت التي بدأها السلطان بايزيد الأول على مقربة من القسطنطينية. وكان هذا السلطان قد شيد قلعة على الجانب الآسيوي من البسفور، فشيد السلطان

كان للعثمانيين عدد من المحاولات للسيطرة على القسطنطينية، فقد وصلت قواتهم إلى أسوار القسطنطينية عام ١٣٧٥م في أول محاولة لها على يد السلطان مراد الأول، ثم تلتها محاولات أخرى خلال حكم السلطان بايزيد الملقب (يلدريم)

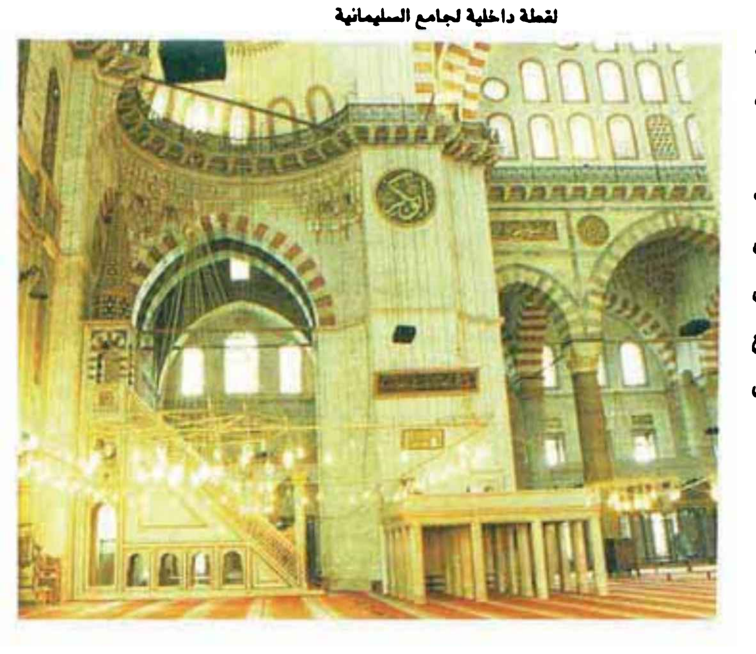
محمد على الجانب الأوربي من البسفور قلعة أخرى على بعد لا يتجاوز سبعة كيلومترات من أبواب القسطنطينية عند أضيق نقطة من البسفور. وبهذا العمل سيطر العثمانيون على ضفتي البسفور (٣). وللقلعة شكل مثلثي، وأبراج ثلاثة موزّعة على كل زاوية منها، وبارتفاعات متباينة، يصل ارتفاع البرج الأول عن سطح الأرض إلى ٢٥.٣٥ مترًا، وبقطر ٢٣،٣٠ متراً. وهو الأقرب إلى المدخل، وذو الأضلاع الاثني عشر، والمسمى بخليل باشا، بالإضافة إلى برج الثالث بظانوس باشا، قطره ٢٦،٧٠ مترًا، وبلغت سماكة جدران القلعة عشرين مترًا (٤).

تابع السلطان محمد استعداداته بعدما وضع جميع القرى المجاورة والمحيطة بالقسطنطينية تحت سيطرته قاطعاً أي إمداد أو مساعدة عنها، بالإضافة إلى تطوير

صناعة المدافع التي قام أحد المهندسين المجريين الذي يدعى (أوربان) بصناعة عدد منها لتؤدي دوراً مهماً وأساسياً في فتح القسطنطينية، ووصل عددها إلى ٥٥ مدفعاً، كان أضخمها المدفع السلطاني الذي يصل وزنه إلى سبعمئة طن، ويجره مئة ثور، بالإضافة إلى مئة رجل. وفي الخامس من أبريل (نيسان) عام ١٤٥٣م بدأت المدافع العثمانية إطلاق قذائفها نحو أسوار المدينة. كما كان لهم محاولات من الجهة الشرقية، أي: من ناحية البوسفور (الممر البحري)، وفي منطقة (بشكطاش) BESIKTAS حاول الأسطول العثماني الاقتراب لكن السلسلة الحديدية، التي وضعها الرومان لمنع مرور السفن العثمانية عند مضيق القرن الذهبي الفاصل بين منطقة (غلطة) GALATA وأسوار القسطنطينية، قد أعاقت دخول السفن، على الرغم من محاولات الأسطول العثماني بقيادة القائد بالطة أوغلي، الذي أبلى بلاءً حسناً، ولكن دون جدوى، مما دفع السلطان محمد إلى البحث عن طريقة أخرى تمكّنه من الاقتراب نحو أسوار المدينة من جهة القرن الذهبي، وأمر بنقل سفنه من مياه البوسفور إلى مياه القرن الذهبي برّا، عن طريق شمال (غلطة) GALATA، فوضعت الألواح الخشبية المستوية المدهونة بالزيوت لكي تساعد على عملية انزلاق السفن، بعدما قاموا بتسوية الطريق الذي يصل طوله إلى عشرة كيلو مترات تقريباً. ونقل في ظلام الليل سبعين سفينة لتكون هذه المحاولة الجريئة أقوى محاولة يقوم بها السلطان محمد الثاني. وبالفعل، مع إشراقة شمس الصباح، استيقظ الروم بكل ذهول وتعجّب على التكبير المنبعث من السفن العثمانية الراسية في القرن الذهبي، على الرغم من إغلاقهم المدخل عن طريق سلسلة حديدية غليظة تمنع دخول السفن. ومع هذه الحركة الذكية كان العثمانيون يقتربون نحو النصر والفتح بكل ثقة، وكانت محاولاتهم وهجماتهم مستمرة على جميع الجهات، فمنهم من كان يحفر الأنفاق ليتمكن من الدخول تحت سور المدينة، والآخر يطلق القذائف نحو الأسوار، بالإضافة إلى القلعة الخشبية التي تفوق ارتفاع سور المدينة، وقد صنعها الأتراك في ليلة واحدة، وقاموا بتغطيتها بالجلود السميكة المبللة بالماء؛ لكي تبطئ اشتعالها بنيران الروم. سقط الإمبراطور قسطنطين قتيلاً في أرض المعركة مثلما سقطت مدينته في أيدي السلطان محمد الثاني بعد حصار مكثّف دام ٥١ يوماً. وفي اليوم التالي من النصر يوم الإثنين من مايو/أيار عام ١٤٥٣م دخل السلطان محمد الثاني المدينة، وتوجه إلى كنيسة أياصوفيا مصلياً، ومعلناً تحويل هذه الكنيسة إلى جامع تقام فيه الصلاة. واحتفلت جميع البلاد الإسلامية بهذا الفتح مرسلاً رسائل الفتح لكل من: شريف مكة المكرمة، وسلطان مصر، وشاه إيران، وأمير القرمان، وأمراء المسيحيين. وقد أجابوا جميعهم عن رسائله بالمباركة والتأييد، والدعم للسلطان الفاتح (٥).



لقطة داخلية لجامع السليمانية



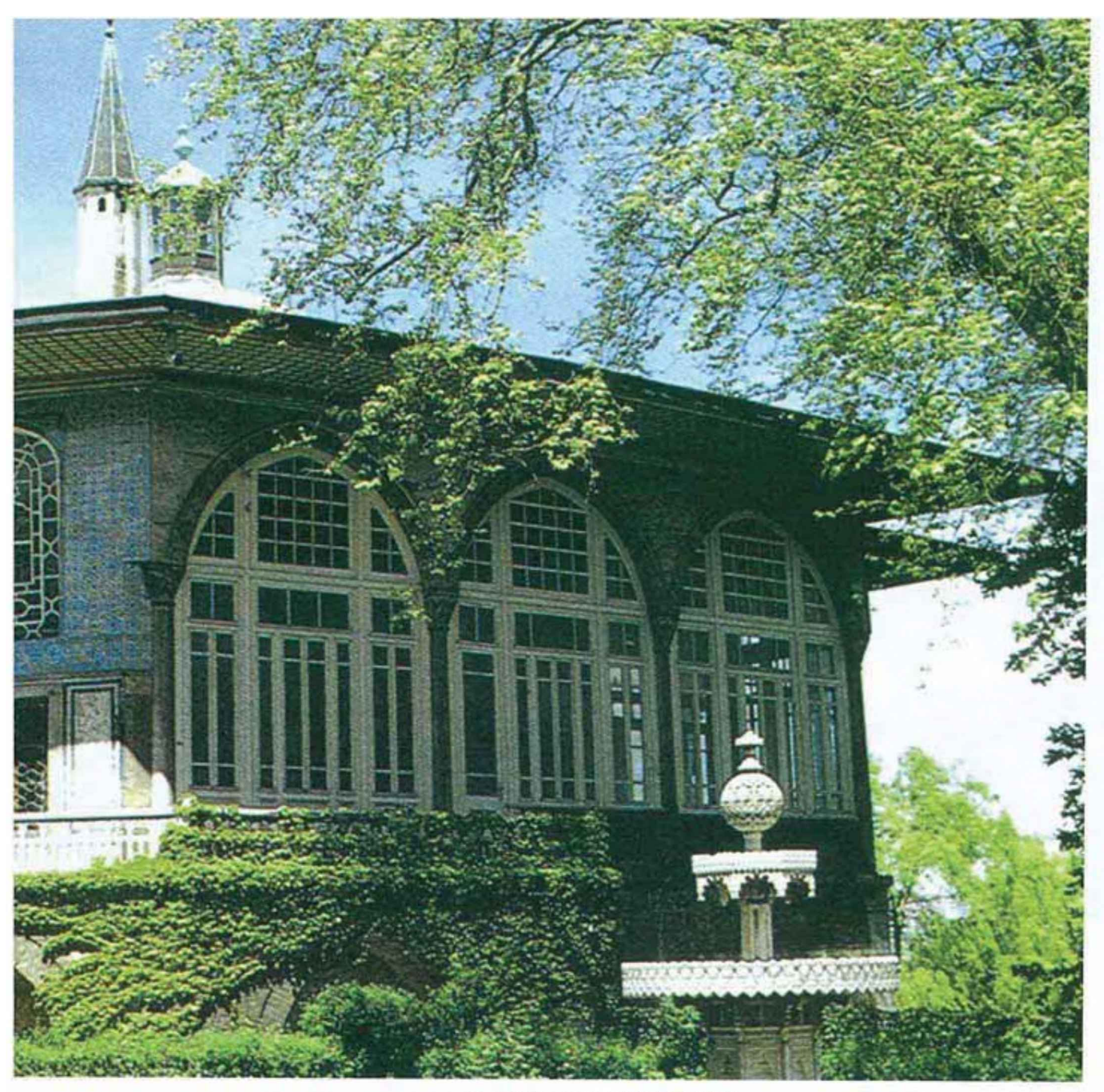


لقطة داخلية لجامع الفاتح

عمارة مدينة إستانبول

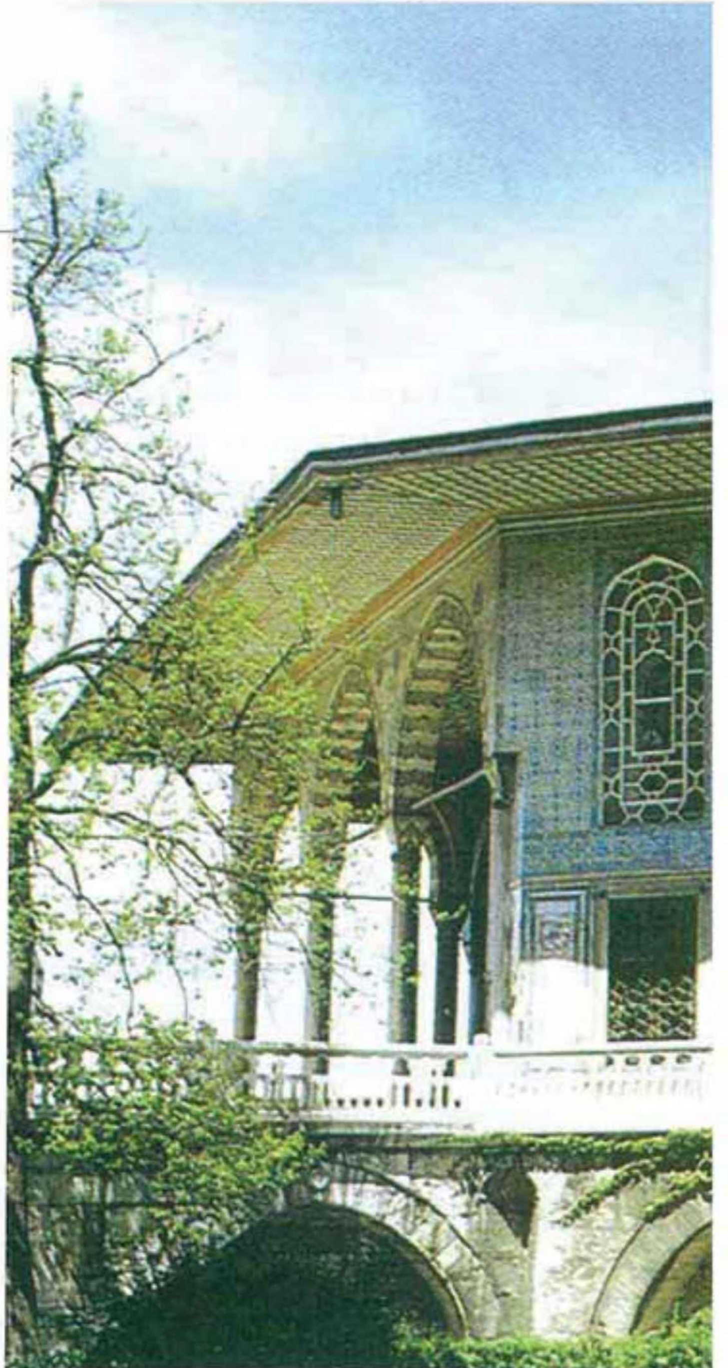
مع دخول العثمانيين مدينة إستانبول تأثر الفن العثماني بعمارة تلك المدينة، فقد أثّر غزو القسطنطينية في الفن العثماني تأثيراً واضحاً، أدّى إلى الكثير من التغييرات، التي طرأت على المساجد المتنوعة، التي أنشئت في العاصمة الجديدة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر، مثل: تحويل كنيسة أياصوفيا إلى مسجد، وهذا الأمر كان له وقعه البالغ على سائر فنون العمارة، حتى أصبح مقصد كل المعماريين لدراسة مصادر الجمال داخل قبته (٦). وقد شهدت مدينة إستانبول نهضة عمرانية واسعة في فترة حكم السلطان محمد الفاتح التي دامت ثلاثين عاماً (١٤٥١ ـ١٤٨١م)، تم خلالها تشييد ٣٠٠ مسجد، منها ٨٥ من ذوات القباب، و٥٧ مدرسة، و٥٩ حماماً، و٢٩ قيسارية، والكثير من القصور والقلاع والحصون والجسور والأسوار، لكن كثيراً من هذه قد أدركه التدمير والتخريب بحكم الزمن (٧).

كان محمد الفاتح المؤسس الحقيقي للإمبراطورية العثمانية، فقد أسس إمبراطورية في أوربا وآسيا عاصمتها إستانبول، التي قيّض لها ان تبقى أربعة قرون مركز هذه الدولة، وحمل لذلك لقب «سلطان العالمين،

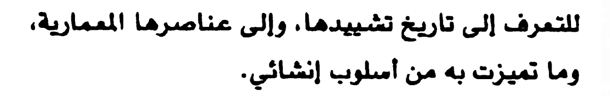


أحد القصور المنتشرة في فناء قصر طوب قابي

(البلقان والأناضول) و«سلطان البحرين» (البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود). ومع أنه عُرف كمقاتل جاهد للسيطرة على العالم، إلا أنه في الوقت نفسه عُرف بتسامحه وثقافته. فقد طلب من غيناديوس، حين عيّنه بطريركاً على الأرثوذكس، أن يؤلف رسالة تلخص مبادئ الدين المسيحي. أما في بلاطه فقد كان يأتي العلماء في أيام معينة من الأسبوع لتقديم المشورة له. كما كان يستقبل في بلاطه العلماء والكتّاب اليونان، ودعا فنان البندقية جنتيل بليني إلى رسم بعض اللوحات الجدارية لقصره، وإلى رسم لوحة



لشخصه. وفي هذا الإطار وُجد من يبالغ، ويعدّ محمد الثاني أحد حكام عصر النهضة. إلا أنه كان قبل كل شيء عاهلاً مسلماً يطمح أن يحول دولته إلى أقوى إمبراطورية في العالم (٨). نستعرض هنا عدداً من أهم النماذج المنتشرة في قلب مدينة إستانبول التاريخية،



للتعرف إلى تاريخ تشييدها، وإلى عناصرها المعمارية، وما تميزت به من أسلوب إنشائي.

آياصوفيا

لمبنى آياصوفيا أهمية تاريخية، لكونه أول كنيسة شرقية لها صبغة عالمية، وأكبر معبد للعالم المسيحي، حتى الفتح المبين لمدينة إستانبول، وللمبنى أهمية معمارية أيضاً، فقد حاول جوستنيان في فترة حكمه الذهبية في بيزنطة أن يجعل من كنيسة آياصوفيا تحفة معمارية بيزنطية خالدة، فأنفق على بنائها ٣٢٠ ألف رطل من الذهب، ودامت فترة تشييدها ست سنوات، وأصبحت عمارتها مصدر إلهام للكثير من المعماريين العثمانيين في عمارتهم للمساجد العثمانية، لقبتها الضخمة، وارتفاعها الشاهق، مقتبسين طريقة التسقيف بالقباب البيزنطية؛ بهدف الحصول على مساحات واسعة في بيت الصلاة. ويذكر الدكتور عفيف البهنسي في مقدمته لكتابي: «عمارة المساجد العثمانية»، أن بناء كنيسة أياصوفيا كان نموذجاً اقتدى به المعماريون الأوائل، إلا أن هذا البناء، بصرف النظر عن صفته الدينية، هو بناء أصيل، كان قد أقامه عام ٥٣٧م معماريان سوريان، هما: إيسيدور المعمار، وابن أخيه إيسيدور الصغير، الذي أعاد بناء القبة بعد تهدمها. لذلك فإن العمارة العثمانية كانت استمرارًا لعمارة أصيلة أنشأها أبناء البلاد الأصليون. وأهم ما تمتاز به قبة هذه الكنيسة التي أصبحت مسجدًا هو قطرها الواسع (٣١م) وارتفاعها الشامخ (٥٤م)، ولقد احتواها من الجانبين نصفا قبة ارتكزا على محاريب.

شهد هذا المبنى الكثير من التحولات من الناحية الوظيفية، فبعد أن كان كنيسة، أمر السلطان محمد الفاتح بتحويلها إلى جامع، وأصدر أوامره بإزالة الصليب من أعلى القبة، أو تلك الصُلُب الموجودة في أماكن بارزة،

وبنيت مئذنة في جدار الكنيسة من الخارج، ووضع منبر خشبي في الجانب الأيمن من رواق الصلاة، وتركت الزخارف والنقوش والرموز المسيحية ـ صور عيسى ومريم، عليهما السلام ـ على الجدران والسقف دون تغيير حتى يومنا هذا. كما أضاف السلطان الفاتح مئذنة ثانية في الطرف الجنوبي الشرقي من المبنى، وبنيت المئذنة الشمالية الشرقية في زمن السلطان بايزيد الثاني، أمّا المئذنة الغربية فقد أنشأها المعماري سنان باشا بتعليمات من السلطان سليم الثاني، بحيث أصبح للجامع أربع مآذن، مثلما هو الحال مع جامع السلطان الفاتح. وفي العهد الجمهوري، أمر مصطفى كمال أتاتورك (رئيس الجمهورية التركية) عام ١٩٣٤م بتحويل المسجد إلى متحف، ويعد هذا المبنى الواقع في مركز مدينة إستانبول التاريخي، أحد أهم المواقع التي تستقطب الكثير من الزوار والباحثين والسياح.

ومما يؤكد اهتمام الدولة العثمانية بهذا المبنى، القيام بتحويله إلى مسجد، والقيام بالكثير من الإضافات التي تتناسب مع وظيفته الجديدة، فقد وضع العثمانيون مجموعة من اللوحات القرآنية، علاوة على أربع لوحات كتابية ضخمة دائرية الشكل تقريباً في أعلى الأعمدة الأربعة الرئيسة، وفي بطن القبة من جهة المحراب، كتبت عليها كلمات مثل: «الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي». وقد أضاف العثمانيون أيضاً في زمن السلطان محمود الأول (١٧٣٠ـ١٧٥٤م) ميضأة خارجية إلى الجامع، ومدرسة للصبيان في عام ١٧٤٠م. وفي زمن السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ـ١٥٧٤م) أُضيف فناء خارجي إلى الجامع أطلق عليه اسم «الحريم». وفي زمن السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ـ١٥٩٥م) أضيف إلى الجامع من الداخل دكة مرمرية للمؤذن ومكتبة في عام ١٧٣٩ـ١٧٤٢م. وفي زمن السلطانين أحمد الثالث (١٧٠٣ـ١٧٣٠م) ومحمود الأول أضيف إلى الجامع مقصورة سُلطانية. وفي الفناء الخارجي للجامع تقع مجموعة من مقابر السلاطين العثمانيين، أمثال: سليم الثاني، ومراد الثالث، وأحمد الثالث، كما تحول قسم التعميد ـ وقت أن كانت كنيسة ـ إلى مقبرة للسلطانين: مصطفى الأول، وإبراهيم الأول. وفيما يخص الدكة الواقعة في داخل صحن الجامع فقد أنشأها السلطان مراد الثالث، والمكتبة أنشئت بين أعوام ١٧٣٩ـ١٧٤٢م، والميضأة الواقعة في مدخل الجامع بنيت في عام ١٧٤٠م، والمدرسة في عام ١٧٤٢م في زمن السلطان محمود الأول، وتقع مجموعة من مقابر السلاطين الأتراك في فنائها. ومن جهة الكتابات الموجودة في بطن القبة فقد قام بها الخطاط قاضي العسكر مصطفى عزت أفندي، أمّا الشمعدانات الكبيرة الموجودة على طرفي المحراب فقد جلبهما السلطان سليمان الأول من مدينة بودين. في عام ١٨٤٧ـ١٨٤٩م قام المعماريان السويسريان: كاسبر، وجوسيب فوسات بترميمات في الجامع؛ حيث ربطا القبة بشنابر حديدية من الخارج، ثم وقعت حركة ترميم أخرى بين أعوام ١٩٢٦ـ١٩٣٠م (١).

أراد محمد الثاني منذ الأيام الأولى لحكمه حسم مشكلة القسطنطينية بالاستيلاء على هذه المدينة. فقد كانت تتخذ وكراً للمؤامرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية. ولذلك استعد السلطان سياسياً وعسكرياً للاستيلاء على القسطنطينية. وكان من بين الإجراءات السياسية التي اتخذها أنه جدّد المعاهدات، واتفاقيات الهدنة مع جميع جيرانه

أهم المجمعات والمساجد العثمانية

مع نقل عاصمة الدولة العثمانية من مدينة أدرنة إلى مدينة إستانبول، شهدت هذه المدينة نهضة عمرانية واسعة، وبلغ عدد المساجد التي بنيت في فترة حكم السلطان محمد الفاتح التي دامت ثلاثين عاماً نحو ٣٠٠ مسجد. وللتعرف إلى عمارة المجمعات والمساجد العثمانية، نختار أهم خمسة نماذج منها:

مجمع الفاتح:

يعدّ مجمع الفاتح أول مجمع معماري يظهر على أراضي الإمبراطورية في إستانبول، وهو الذي أقامه السلطان محمد الثاني عام ١٤٧٠م، وكان يتكون من عدة مبانٍ مختلفة، يتوسطها الجامع؛ لتلبي احتياجات متعددة في المجتمع، كالتعليم، وأعمال الخير، والتجارة، وغير ذلك. ولكن البناء انهار في أحد الزلازل، وأعيد تشييده من جديد في القرن الثامن عشر، إلاّ أنه لم يظفر بعظمته السابقة (١٠).

أما عمارة مسجد الفاتح فتتميز قاعة الصلاة بشكلها المستطيل، والمؤلفة من ثلاث بلاطات: الوسطى واسعة تعادل ضعف سعة البلاطتين الجانبيتين، وتتكون من قطاع مربع مسقوف بنصف قبة كبيرة، وإيوان في الجنوب مستطيل مسقوف بنصف قبة. وفي البلاطتين الجانبيتين ثلاث قباب صغيرة، في كل منهما. أما عن القبة الرئيسة فيبلغ قطرها ٢٦ متراً، وكانت أكبر قبة في ذلك الحين، علماً أن هذا التصميم يعدّ مرحلة جديدة في عمارة المساجد العثمانية. وقد شهدت مدينة إستانبول في عام ١٧٦٥م، زلزالاً شديداً - كما ذكرنا- أدى إلى تهدم قبة الجامع، فقام السلطان مصطفى الثالث بتشييد قبة جديدة، وفق مخطط مختلف، يعتمد على القبة المركزية، وأربعة من أنصاف القباب.

مجمع بيازيد الثاني:

يعدّ مجمع بيازيد الثاني، الذي شيّد بين عامي ١٥٠٠ و١٥٠٥م أقدم المجمعات، التي حافظت على بنائها الأصلي في إستانبول، ونلاحظ على الجامع الذي توسط مباني المجمع وأقيم فوق مرتفع يجاور «السراي القديم» أنه كرّر المخطط، ونظام القباب المستخدمة في آياصوفيا. وللجامع ثلاثة صحون، والقسم الأوسط الذي هو ضعف حجم الأجزاء الجانبية يغطى بقبة مركزية، كما هو الحال في آياصوفيا، ثم جرى توسيعه بأنصاف القباب، أما الصحنان الجانبيان فقد غطتهما أربع قباب تقابل القبو المستخدم في الكنيسة البيزنطية. وقد قام مهندس البناء يعقوب شاه بن سلطان شاه بتخفيض أقسامه إلى أدنى حدّ، ودمج بين الأماكن الجانبية والمكان الرئيس، فخرج لنا صحن داخلي مختلف. وقد كان مما شغل المعماريين على امتداد سنوات النهضة في الإمبراطورية محاولة خلق مكان فسيح متناسق مع أجزاء البناء، التي يمكن مشاهدتها بوضوح في الداخل والخارج على السواء تحت قبة واحدة (١١)، مستغنياً عن الأعمدة التي كانت موجودة في المساجد العثمانية السابقة؛ لأنها كانت سبباً في إعاقة صفوف المصلين، أو في رؤية

يعدّ مجمع السليمانية، الذي بناه سنان للسلطان سليمان الأول، من أهم عمائر حاضرة الدولة، التي تعكس ثراء السلطان العريض وقدرته، كما تعكس عظمة الإمبراطورية وهيبتها، ونشاهد جامع السليمانية وقد احتل مكانه في الوسط يرتفع شامخاً على نحو أربعمئة قبة من أحجام مختلفة لثمانية عشر بناءً تشكل المجمع

الخطيب، وحقق ذلك بإنشاء قبة مركزية مرتكزة على خناصر متدلية فوق أربع دعائم، ويتوسط كل اثنتين منها عمودان من حجر اليورفير على جانبي القبة من الشمال والجنوب، والوحدتان متساويتان، مساحة كل منهما نصف مساحة الوحدة المركزية.

ويعلو كل وحدة جانبية نصف قبة، وفي جهتي الشرق والغرب جناحان، سقف كل واحد منهما بأربع قباب صغيرة، ولهذا السبب سمي هذا النوع من المساجد بالوحدات المتعددة وغير المتماثلة، لفناء الجامع أربع وعشرون باكية، ولكل باكية قبة كروية، ويتوسط الفناء أو صحن الجامع الشادروان (١٢). وللجامع مئذنتان على طرفيه، وثلاثة مداخل، اثنان جانبيان يتم الدخول من خلالهما إلى القبلية مباشرة، ومدخل رئيس منفتح على صحن الجامع، وحظيت جميع جدرانه وقببه من الداخل بتزيينات هندسية ونباتية، وكتابات قرآنية.

جامع شهزاده:

تخليداً لذكرى وفاة الابن الأكبر للسلطان سليمان القانوني، شهزاده محمد عن عمر يناهز الواحد والعشرين عامًا، أمر المعماري سنان ببناء مسجد شهزاده بمدينة إستانبول. علماً أن كلمة شهزاده تطلق على ابن السلطان. تم البدء بتشييد الجامع عام ١٥٤٤م، مستغرقاً أربع سنوات.

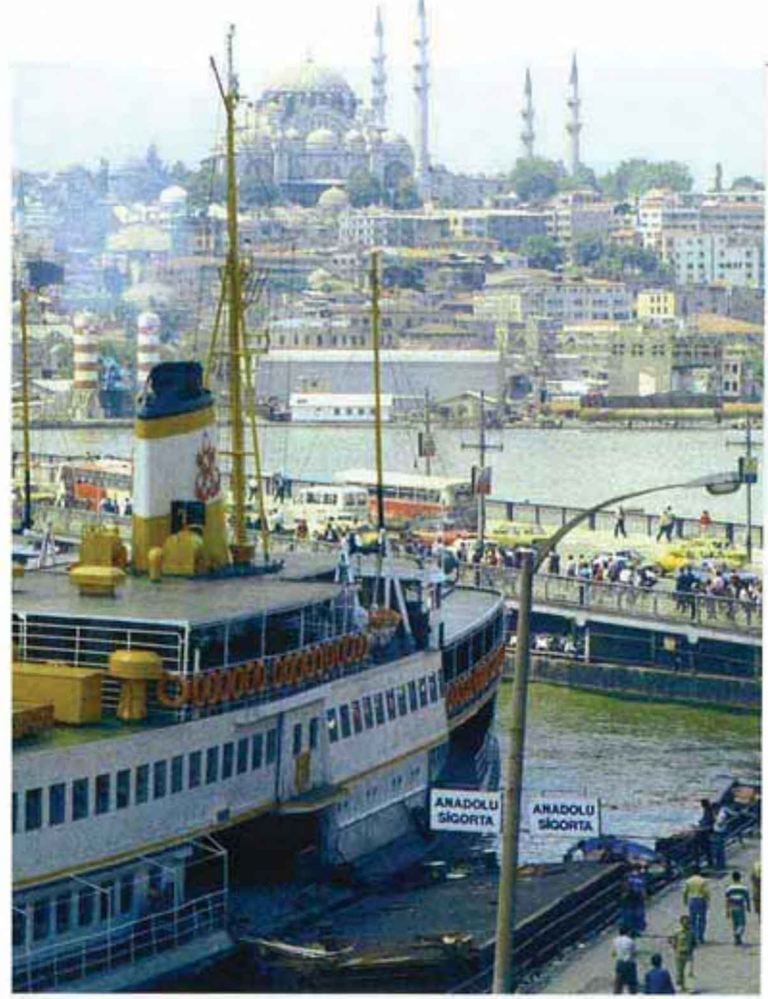
وكان عمر سنان آنذاك ٥٤ عاماً، ونقلاً عن كتاب فنون الترك وعمائرهم الصادر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، في وصف سنان لجامع شهزاده بأنه أحد أعمال فترة تلمذته، فنرى فيه المحاولة الأولى لسنان في معالجة مشكلة نصف القبة، التي وجدها في قباب آياصوفيا، وبايزيد، عندما ابتكر النموذج المثالي للمبنى ذي القبة المركزية وأنصاف القباب الأربعة الدائرة حولها. بعد أن اعتمد على أسلوب جديد بالكامل جعله يقيم منشآت معمارية ضخمة ورائعة بأسلوب خاص به هو.

مساحة الجامع يبلغ طول ضلعها ٣٨ متراً، مغطاة بقبة قطرها ١٩ متراً، تعتمد على أربع دعائم، ومن حول هذه القبة أربعة أنصاف قباب، ثم قبة صغيرة في كل ركن من أركان حرم الجامع، أما ارتفاع قمة القبة الرئيسة عن سطح الأرض فيبلغ ٣٧ متراً، وبلغت المسافة بين كل دعامة والتي تليها ١٦,٥٢ مترًا. وقد زيد في امتداد أنصاف القباب الأربعة بإضافة حنية ركنية على جانبي كل نصف قبة.

للجامع مئذنتان تقعان عند ركنيه المجاورين للصحن،

مع دخول العثمانيين مدينة إستانبول تأثر الفن العثماني بعمارة تلك المدينة. فقد أثر غزو القسطنطينية في الفن العثماني تأثيراً واضحاً، أدى إلى الكثير من التغييرات، التي طرأت على المساجد المتنوعة، التي أنشئت في العاصمة الجديدة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر

يحتفل العثمانيون بمناسبة ختان الأمراء، وذلك قبل بلوغهم سن الرشد. وقد شيد السلطان إبراهيم عام ١٦٤١ قاعة صغيرة تعرف باسم قاعة السنة أو الختان، وتزين هذه القاعة بلاطات خزفية كبيرة، وبها أشعار ومديح مطولة ترجع إلى القرن السادس عشر



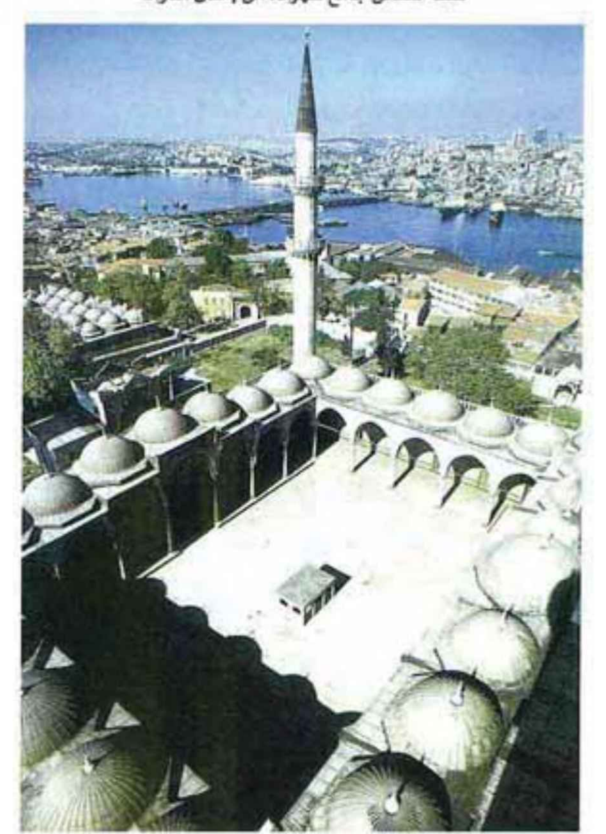
منظر عام من استانبول

ولكل مئذنة مطافان للمؤذن، وترتفع الواحدة بمقدار ٤١,٥٠ متراً، وتظهر حيطان الجامع من الخارج وكأن الواحد منها يلي الذي خلفه، وترتكز على قمتها، حتى لتبدو هيئة الجامع وكأنها هرم مدرج. بني قبل الجامع ضريح شهزاده محمد، ومن ثم تم بناء الجامع ضمن مجمع يحتوي على مدرسة، ودار الضيافة، ودار المرق، وزّعت عناصر المجمّع بشكل منسق، فقد خصص مكان الأضرحة خلف جدار القبلة، أما باقي الأبنية فمرتبة في الجانب الشرقي من الفناء الخارجي، وتنعزل عنها المدرسة التي بينها وبين الجامع شارع.

مجمع السليمانية:

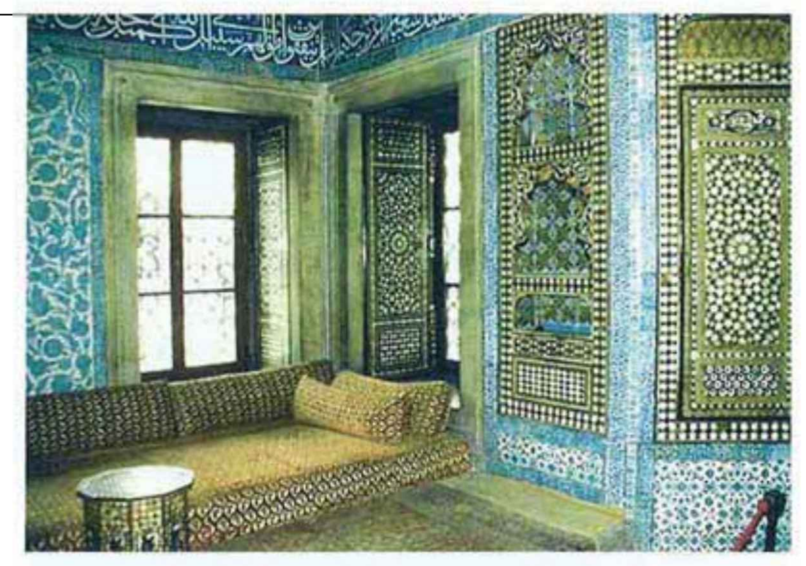
يعدّ مجمع السليمانية، الذي بناه سنان للسلطان سليمان الأول، من أهم عمائر حاضرة الدولة، التي تعكس ثراء السلطان العريض وقدرته، كما تعكس عظمة

لقطة لصحن جامع شهزاده من إحدى مناراته



الإمبراطورية وهيبتها. ونشاهد جامع السليمانية وقد احتل مكانه في الوسط يرتفع شامخاً على نحو أربعمئة قبة من أحجام مختلفة لثمانية عشر بناءً تشكل المجمع، ويكشف بحق عن منظر رائع خرب. ويتكون مجمع السليمانية المعماري الذي شيّد فوق مرتفع يطل على القرن الذهبي من دار لإطعام الفقراء، ودار للنقاهة، وبيمارستان، ومدرسة للطب، وحمام، وكتاب للصبية، وأربع مدارس عالية، وعدد كبير من الحوانيت. وتوجد خلف الجامع مقبرة تضم ضريحين: أحدهما للسلطان سليمان، والثاني لزوجته السلطانة خُرّم، فضلاً عن دار







طريقة توزيع بلاط السيراميك في جامع السلطان أحمد

لحارس الأضرحة. كما شُيِّد للمعمار سنان نفسه في ما بعد ضريح عند رأس المجمع (١٣).

أما الجامع فيبلغ قطر قبته الرئيسة ٢٦,٥ مترًا، وارتفاعها ٥٣ مترًا، وهي أكثر القباب ارتفاعاً بعد آياصوفيا. ترتكز القبة على أربع دعامات ضخمة، ولزيادة اتساعها من ناحيتي المدخل والقبلة أضيف إليهما نصفا قبة من كل ناحية بارتفاع ٤٠ متراً، ثم وسعت هاتان المنطقتان بحنيات ركنية إضافية، أما المساحتان الموجودتان إلى اليمين واليسار فقد غطيت كل منهما بخمس قباب، وبدلاً من الرتابة التي قد تنجم عن استخدام قباب صغيرة متماثلة، فقد عمد سنان إلى ابتكار جذاب غير مألوف يتلخص في تبادل بين قبة صغيرة، وأخرى كبيرة حسب المساحة، التي تغطيها القبة، وكانت القبة التي تتوسط القباب الخمس هي الكبرى، وتتعادل في اتساعها مع القبة الركنية. وبهذا يكون قد تم نوع من التكامل بين منطقة وسط المسجد ومنطقة البلاطات الجانبية. ويشعر الداخل إلى القبلية بالطمأنينة الروحية، وبإحساس باللانهائية، وذلك ناتج من ارتفاع القبة الشاهق، إضافة إلى الإبداعات والزخارف الخزفية التي تكسو حائط القبلة. وقد حقق سنان تصوره بأن يقوم الجامع كوحدة مستقلة، لها فناء ذو بوائك وشادروان، وأن يعكس تخطيطه الداخلي مظهره من الخارج. وللجامع أربع مآذن في الأركان الأربعة للفناء.

جامع السلطان أحمد:

تدل الكتابات التاريخية المنقوشة على أحد أبوابه أنه شيّد بين عامي ١٠١٨ و١٠٢٥ هـ الموافق ١٦٠٩ و١٦١٦م. ويقع هذا المسجد جنوب آياصوفيا، وله سور مرتفع يحيط به من ثلاث جهات، وفي السور خمسة أبواب: ثلاثة منها تؤدي إلى صحن المسجد، واثنان إلى قاعة الصلاة، أما الصحن ففناء كبير يسبق المسجد، وتحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة الغرانيت، ولها تيجان رخامية ذات مقرنصات، وفوقها ثلاثون قبة صغيرة، وفي وسط الصحن ميضأة (شادروان) سداسية الشكل، وتقوم على ستة أعمدة، وأكبر الأبواب التي تؤدي إلى الصحن هو الذي يتوسط الجانب الغربي، ويظهر فيه التأثر بالأساليب الفنية الإيرانية، والبابان الآخران أصغر منه، ولكنهما من الطراز نفسه، أما المحراب والمنبر فمن

المرمر، وزخارفهما فاخرة جداً، ويحفّ بالمحراب شمعدانان كبيران، وللمسجد ست مآذن عالية وممشوقة، ويقال: إن السلطان أحمد كان يريد أن يبرز مسجده هذا مسجد آياصوفيا، ويقال: إن رجال الدين اعترضوا على اتخاذه ست مآذن لمسجده، وهو عدد لا يسمح به إلاّ للكعبة الشريفة، فاضطر أن يأمر بمئذنة سابعة للكعبة (١٤).

وقد سمي هذا الجامع بالأزرق؛ لأن جدرانه الداخلية مغطاة ببلاطات خزفية ملونة بالأزرق القاتم والفاتح، وبأشكال هندسية ونباتية رائعة من أعمال الفنان الصدّاف محمد آغا، وساهمت النوافذ المنتشرة في جدران المسجد بتسليط ضوء الشمس على تلك البلاطات لتزيد من بهاء فن الخزف وروعته، علماً أن مساحة هذا المسجد تبلغ (٧٢× ٦٤ مترًا)، وقطر قبته (٢٣,٥مترًا)، حيث ترتكز القبة على أربع دعائم أسطوانية، ويحف بها أربعة أنصاف قباب، في كل جهة نصف قبة.

حمام أياصوفيا (حسكي حرّام)

انتشرت الحمامات بكثرة في العهد العثماني، خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، ويعود انتشار الحمامات إلى سببين مهمين، هما: توافر المياه المعدنية الطبيعية من جهة، والدين الإسلامي

الترميمات والتعديلات التي أدخلت على الجامع أفقدته الكثير من أصالته المعمارية، ولم يتبق منه سوى مخططه العام، وهو مستطيل الشكل، فقد تعرض إلى عدد من الحرائق والتخريب نتيجة للحروب والغزوات والزلازل، مما أزال معالم عمارته الأصلية

الحنيف الذي يعتمد مبدأ: أن النظافة من الإيمان.

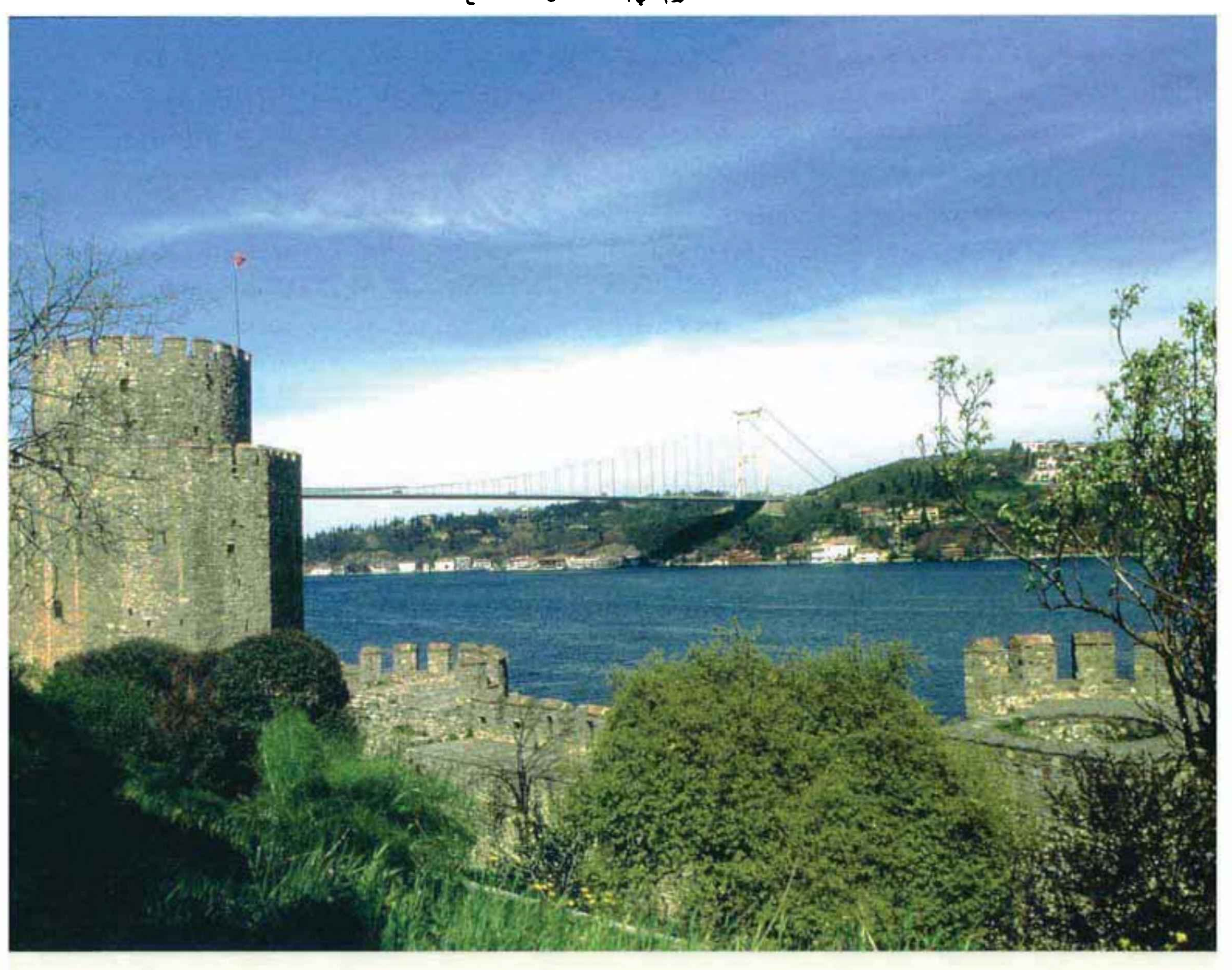
تأثرت أشكال الحمامات بالعمارة البيزنطية، خاصة في أشكال القباب ذات الفتحات الزجاجية للإنارة والتهوية الموجودة في قمة القبة، وتحت القبة مباشرة، هناك حوض ماء للسباحة، أو على شكل تزييني، وفي بناء الجدران استعمل القرميد والحجر بشكل متتال. وتتألف الحمامات العثمانية من ثلاثة أقسام أساسية، كما هي الحال في بقية الحمامات، وفي القسم البارد هناك المصطبات الخشبية للجلوس عليها قبل الاستحمام وبعده في القسمين الفاتر والحار. بالإضافة إلى استخدام الرخام الملون في الأرضيات والسيراميك والقاشاني في الجدران. سمة خاصة ومهمة في الحمامات العثمانية، وهي إنشاء حمامين بشكل مزدوج ومتلاصق، الأول للرجال، والثاني للنساء. يشترك بينهما جدار فاصل في القسم الساخن لكلا الحمامين، وعن أكبر الحمامات العثمانية التي بناها المعماري سنان عام ١٥٥٣م هو (حسكي حرّام سلطان)، الواقع في منطقة السلطان أحمد، بالقرب من آيا صوفيا (١٥).

يعدّ حمام (حسكي حرّام) من أكبر الحمامات العثمانية، وقد بناه المعماري سنان لحرّم سلطان قرب مسجد السلطان أحمد، عام ١٥٥٣م، وهو حمام غير عادي من الحمامات المزدوجة، إذ يبلغ طوله ٧٥ مترًا، بسبب وصل الغرفة الساخنة للرجال، بالغرفة الساخنة للنساء بحائط يفصل بين الغرفتين. والشيء الذي نراه جديدًا في هذا الحمام، استخدام الطوب والحجر في زخرفة الجدران. كما أن له صفة ذات أعمدة تواجه آياصوفيا. وتقع هذه الصفة، ذات المنظر الأخاذ، قبل غرفة الملابس بالحمام. وبلاط أرضية الغرفة الساخنة مصنوع من رخام ملون، وتحلّيه تعبيرات غنية من الرسوم الهندسية النجمية المتشابكة (١٦).

قصر طوب قابي

بعد فتح القسطنطينية، أمر السلطان محمد الثاني بتشييد قصر له، وكان في الموقع الذي تقوم به الآن الأبنية الرئيسة لجامعة إستانبول، حيث ميدان بيازيد، ولكنه اختفى نهائياً. وأنشأ الفاتح في ما بعد عدة استراحات فوق تل الزيتون بإستانبول، وموقعها الآن نقطة سراغليو. وبمضي الوقت (١٤٧٤-١٤٧٩)، تجمعت تلك المباني بعضها إلى بعض في نطاق معماري واحد، أنموذجه الأساسي ما كان عليه قصر أدرنة. وقد كون هذا العمل القواعد، التي قام على أساسها قصر طوب قابي كما نراه الآن (١٧). وظل القصر محلاً للإقامة الرسمية للسلاطين العثمانيين من بعد السلطان محمد الفاتح، حتى جرى الانتقال في القرن التاسع عشر إلى سراي دولمه باهجه،

قلعة الروم التي بناها السلطان محمد الفاتح



وشارك كل السلاطين الذين أقاموا فيه تقريباً بتشييد قسم فيه أو بتعديل قسم موجود. وكان جوسق مجيديه هو آخر المباني التي أقيمت في السراي، وشُيد بكامله على الطراز الأوربي. وفي ٣ أبريل/نيسان عام ١٩٢٤م أصدر مجلس الوزراء قراراً بتحويل سراي طوب قابي إلى متحف مفتوح يزوره من يشاء (١٨).

الموقع:

أقيم القصر على أرض أكروبولية بيزنطية، وموضع استيطاني، كان للإغريق والرومان قبل ذلك، إذ يوجد فوق ساحل منطقة «سراي بورني» شبه الجزيرة الإستراتيجي، الذي يتمتع بأجمل مناظر إستانبول، ويطل على القرن الذهبي، ومضيق البسفور، وبحر مرمرة، وهو مجموعة ضخمة من المباني المحاطة بالأسوار العالية، والأبراج المتعددة، ويبدو وكأنه مدينة مستحكمة (١٩).

الوصف المعماري:

تبلغ مساحة القصر ٧٠٠,٠٠٠ متر مربع، ويحده من جهة البر سور ضخم بطول ١,٤٠٠ متر. ويتصل هذا السور بالسور البيزنطي المطل على بحر مرمرة والممتد حتى القرن الذهبي، والسور مدعّم بثمانية وعشرين برجاً. ويشتمل قصر طوب قابي على استراحات ومساجد، وقاعات اجتماعات، ودواوين حكومية، ومكتبات ومعسكرات، ومبان أخرى متنوعة، تدور حول أربعة أفنية كبيرة، يقع الواحد منها من وراء الآخر. وقد أخذ الموقع شكله الحالي، بعد إضافة عدد من المنشآت الأخرى، كالمطابخ، وأجنحة الحريم، والأسبلة والحدائق، على مدى سنوات وعصور متتالية (٢٠). فقد أحال السلطان محمد الفاتح منطقة طوب قابي إلى متنزه ترويحي بأكشاك وأجنحة خاصة، أولها كان الكشك المبلط؛ وبذلك تكون بداية القصر في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، واستمر في التوسعة بإضافات السلاطين، الذين توالوا حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، عندما شيد آخر جناح خاص للسلطان عبدالمجيد. تقع المكاتب الحكومية، مثل قاعة العرش، وقاعة الطلب حول الفناءين الأولين، بالقرب من المدخل الرئيس المسمى باب السعادات، كما انتشرت المناطق السكنية داخل الأفنية والحدائق الواقعة في الداخل. وقد خططت الأفنية الأول والثاني والثالث ببساطة، قد تمهد أرض مناطق الأفنية، أو تترك مخضرة في المناطق الأخرى، حيث تشق فيها ممرات تُدك بالأتربة وتُظلل داخل أحواض مرتفعة قليلاً. وعموماً فقد أطلق على أراضي القصر الخارجة عن الأفنية الثلاثة الفناء الرابع، مع أنها في حقيقة الأمر عبارة عن حدائق. ومن خلال تشكيلات الأجنحة في الحدائق فقد استطاع مجمع القصر الرئيس على قمة الجبل أن يجد صلة مع أكشاك شاطئ البحر والقصور الصغيرة. وقد خططت الحدائق في شكل ممرات مكشوفة ومطوقة القصر من الشمال والغرب والشرق. وتوجد هناك حدائق الأزهار والفاكهة والخضراوات، ومساحة واسعة من الأرض تركت للصيد وممارسة أنواع أخرى من الرياضة. ويحتوي القصر على خمس مجموعات من الشقق، ومجموعتين من المكاتب الحكومية، وخمس مدارس و١٢ مكتبة، و ٨ أحياء للخدم، إضافة إلى ٢٢ نافورة وعدة برك، كما تحتوي على أكشاك، سيتم التعرف إليها بشكل منفصل، ويحيط بها الحدائق، والأفنية، والأجنحة الخاصة (٢١).

كان يعمل بداخل هذا القصر ما يزيد على عشرين ألف موظف، ويبيت بداخله من هؤلاء نحو أربعة آلاف شخص. ويوجد لهؤلاء مهاجع وحمامات ومطابخ



جامع السلطان أحمد وآيا صوفيا

ومساجد ومكتبات، وغير ذلك، كما كان يوجد عدا هذا مبانٍ ودوائر خاصة لإدارة الدولة، وإقامة الاحتفالات والسهرات الخاصة، وأماكن للاستقبال. وخصصوا مباني مستقلة لخزانة السراي، والسلاحخانه والضربخانه. أما أهم المباني في السراي فهو مبنى الديوانخانه، الذي يقع في الساحة الثانية، ويجتمع فيه الصدر الأعظم مع أعضاء الديوان الهمايوني الآخرين لإدارة شؤون الإمبراطورية. ويمثل قصر طوب قابي مجموعة لا نظير لها، تلبي الاحتياجات الرسمية والخاصة على السواء، وتبرز ماضي العمارة المدنية العثمانية على مدى أربعمئة سنة تقريباً (٢٢).

محتويات القصر:

يحتوي القصر على عدد من الأجنحة والأكشاك أو القصور الموزعة في حديقة القصر، على شكل استراحات، نستعرض أهمها:

قصر الخزف: (جينلي كوشك)

يعدّ من أقدم المنشآت المعمارية وأهمها التي ترجع

يعدّ مجمع الفاتح أول مجمع معماري يظهر على أراضي الإمبراطورية في إستانبول. وهو الذي أقامه السلطان محمد الثاني عام ١٤٧٠م. وكان يتكون من عدة مبانٍ مختلفة، يتوسطها الجامع؛ لتلبي احتياجات متعددة في المجتمع، كالتعليم، وأعمال الخير

إلى أسلوب عصر محمد الفاتح، الذي يعود إلى سنة ٨٧٧ هـ/عام ١٤٧٢م. ويشغل هذا القصر جزءًا كبيرًا من الفناء الأول. ونلاحظ إلى جناح الخزف أن التوزيع التقليدي للبيت التركي قد انتقل إلى هنا، مع ترجمته إلى قصر كبير. فهو يتألف من طابقين اثنين، وله أربعة إيونات، تطل على قاعة مركزية فسيحة عليها قبة، ثم أربع غرف في كل ركن، على كل منها قبة بقطر السابقة. وهناك أربع غرف متتاليات ذوات قباب وعلى محور واحد. وهذه تبدأ من المدخل، وتنتهي إلى الخارج ببروز ذي خمسة جوانب. وواجهة المبنى لها صفة بعقود عالية، وأقواس مدببة، محمولة على أعمدة نخيلية تمتد بطول الواجهة، وتكسو الفسيفساء الخزفية الإيوان الكبير، الذي يتوسط جدار واجهة المدخل. ويعطينا هذا فكرة واضحة عن روعة التقاليد الفنية السلجوقية وفخامتها، وتخطيط الطابق الأول مماثل تماماً للذي يعلوه. ويشير كل جزء من أجزاء جناح الخزف إلى تأثره بالعمارة السلجوقية، والتركية القديمة، ولهذا يعدّ المبنى فريدًا في مذاقه المعماري العثماني، كذلك توحي قبته المركزية، بزخارفها من المقرنصات، وبعقودها الحاملة والممتدة على هيئة أبراج، بتأثيرات وسط آسيا وعمارة القره خانيين والتيموريين. والمبنى الآن متحف للخزفيات التركية، ويحتوي على مجموعة الأطباق والصحون والمزهريات والفناجين والأكواب، والسلطانيات والبلاطات (٣٣).

كوشك (استراحة) محمد الفاتح:

تأتي هذه الاستراحة بعد قصر الخزف أو الخزينة حيث الجانب الشرقي من الفناء الثالث بسيط في أسلوب عمارته، وأكثر وقاراً. ويمتد البناء بطول الفناء، وتعبر عمارة هذه الاستراحة عن فكر متفتح، باحث عن إمكانية استخدام كل الأشكال عن ثقة ومعرفة. والحقيقة أن عصر الفاتح كان عصرًا امتزجت فيه تأثيرات متعددة متنوعة. تحولت الاستراحة بقرار من السلطان سليم الأول، لتكون خزانة للمجوهرات والنفائس، ولا تزال تستخدم لهذا الغرض إلى الآن، كجزء من متحف طوب قابي (٣٤).

مبنى الأمانات المقدسة:

يعدّ مبنى الأمانات المقدسة من أهم المباني في قصر طوب قابي، فبعد أن نجح السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) في ضم الشام، ومصر والحجاز إلى الإمبراطورية العثمانية، أقام في القاهرة عشرة أسابيع، ثم عاد إلى إستانبول معه ألف جمل محمل بالذهب، والفضة، وغيرها الكثير من الغنائم. ومفاتيح الكعبة، التي بعث بها إليه أمير مكة المشرفة محمد أبو البركات مع ابنه أبي نمي، وكذلك مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم، التي تسلمها مع المفاتيح، وتلك التي حصل عليها من مصر، ومنها خرقة السعادة، ونعلان، وسجادة صلاة، وقبضة سيف، وسهم تخص جميعها النبي عليه الصلاة والسلام، وحجر يحمل أثر قدم النبي، وبعض من ماء وضوء النبي عليه الصلاة والسلام، وسجادة

لمبنى آياصوفيا أهمية تاريخية، لكونه أول كنيسة شرقية لها صبغة عالمية، وأكبر معبد للعالم المسيحي. وللمبنى أهمية معمارية أيضاً. فقد حاول جوستنيان في فترة حكمه الذهبية في بيزنطة أن يجعل من كنيسة آياصوفيا تحفة معمارية بيزنطية خالدة

تعود إلى الصحابي أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وعدد من سيوف الخلفاء الراشدين ومسبحاتهم، والمصاحف المشرفة، ومنها مصحف الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما اغتيل وهو يتلو فيه، وقميص حضرة سيدنا يوسف، وعصوان للنبي شعيب عليه السلام، ومزراب من الكعبة. وغيرها من الأمانات المقدسة الأخرى. وقد أمر السلطان سليم ببناء مبنى خاص في قصر طوب قابي لحفظ هذه الأمانات، ويحفظ معظمها في صناديق وعلب من الفضة، وكان السلاطين العثمانيون يذهبون إلى زيارتها والتبرك بها في الخامس عشر من شهر رمضان كل عام (٢٥).

كوشك (استراحة) روان:

بنيت هذه الاستراحة في عهد مراد الرابع، تخليداً لذكرى استيلائه على قلعة أروان عام ١٦٣٥م، وكان تمام بنائها عام ١٦٣٦م. وتخطيط هذه الاستراحة مثمن الشكل، تحيط به ثلاثة إيوانات، أسقفها خشبية، وتطل على غرفة رئيسة، تغطيها قبة، وفي الجهة الرابعة توجد مدفأة بارتفاع ١٥ متراً. وقد كست البهجة هذا المبنى من الخارج، بفضل روعة البلاطات الخزفية التي تغطي جدرانه، أما فخامته وقوة تأثيره من الداخل فتتركز في البلاطات الخزفية التي كست الجدران من الأرض إلى القبة، وفيما هناك من زخارف ناتئة من الملاط، حليت بها بواطن الأسقف، إلى جانب ما حليت به مصاريع الدواليب والنوافذ من أشغال التطعيم بالأصداف. وترجع زخارف هذه القبة إلى وقت متأخر من القرن التاسع عشر (٢٦).

كوشك (استراحة) بغداد:

خلد السلطان مراد الربع استيلاءه الثاني على

انتشرت الحمامات بكثرة في العهد العثماني، خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. ويعود انتشار الحمامات إلى سببين مهمين، هما: توافر المياه المعدنية الطبيعية من جهة، والدين الإسلامي الحنيف الذي يعتمد مبدأ: أن النظافة من الإيمان

بغداد عام ١٦٣٨م، ببناء الكوشك الذي عرف باسم كوشك بغداد المجاور لكوشك روان، وكان السلطان قد أصدر أمره بالبناء، والحملة العسكرية تتأهب للخروج، أما تمامه فكان عام ١٦٣٩م، وله تخطيط متماثل وإيوانات أربعة، أسقفها خشبية، وتطل الإيوانات على قاعة مركزية تعلوها قبة بقطر تسعة أمتار. ويمكن القول: إن هذا الكوشك يمثل تطويراً باروكياً، ظهر قبلاً وبوضوح في كوشك الخزف. ويحيط بكوشك بغداد من الخارج صف من البوائك ذات العقود المدببة قليلاً، والمحمولة فوق ٢٢ عموداً، وقد أضيفت إلى المبنى قاعة مستطيلة، في ركنه الجنوبي الشرقي. وتقع الأبواب في ثلاثة جوانب من الكوشك، وبين

يعدّ قسم الحرم من أهم أقسام قصر طوب قابي وأقدمها. وهو قسم مستقل بذاته. ويعود تاريخ بناء هذا القسم إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. فقد بني معظم أقسامه أيام السلطان سليمان القانوني. وتنسب معظمها إلى المعماري سنان

لقطة جوية لجامع السليمانية

الإيوانات من كل جانب. أما الجانب الرابع فيضم مدفأة لها مدخنة نحيلة، ترتفع إلى جوار القبة (٣٧).

قاعة الختان:

يحتفل العثمانيون بمناسبة ختان الأمراء، وذلك قبل بلوغهم سن الرشد، وقد شيد السلطان إبراهيم عام ١٦٤١ قاعة صغيرة تعرف باسم قاعة السنة أو الختان، وتزين هذه القاعة بلاطات خزفية كبيرة، وبها أشعار ومديح مطولة ترجع إلى القرن السادس عشر. ويوجد عند نهاية المدرج عريش للإفطار، وهو عبارة عن قبة صغيرة لها رفوف، تحمله أربعة أعمدة معدنية صغيرة (٣٨).

الاستراحة الجديدة:

بنيت هذه الاستراحة في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) وفق أسلوب أوربي، وتتميز بإطلالة على بحر مرمرة، وكانت أساسات هذه الاستراحة أساسات لبناء قديم يظن أنه يرجع إلى أيام الفاتح (٣٩).

قسم الحريم:

يعدّ قسم الحريم من أهم أقسام قصر طوب قابي

وأقدمها، وهو قسم مستقل بذاته، ويعود تاريخ بناء هذا القسم إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، فقد بني معظم أقسامه أيام السلطان سليمان القانوني، ونسب معظمها إلى المعماري سنان. ويتكون من ٢٠٠ غرفة تقريباً، ومن أهم أجنحته مقصورة السلطان مراد الثالث (٩٨٣هـ / ١٥٧٨م) التي نسبت إلى سنان، علت الصالة وحدة قببية مشابهة للمساجد العثمانية ذات الوحدة الواحدة، وزينت ببلاط أزرق زهري، وبأنماط أوراق الأزهار. في ركن الغرفة بعد النافذة يوجد فراغ صغير محدد بمظلة مدعومة بأعمدة في كل ركن. وفي إضافة بعد ذلك إلى المقصورة، هي حجرة قراءة السلطان أحمد الأول (١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م) وتوجد فيها دواليب ومصاريع، ونوافذ وأبواب مرصعة بعرق اللؤلؤ، وقشرة ذيل السلحفاة. أما حجرة طعام السلطان أحمد الثالث (١١١٧هـ/ ١٧٠٥م)، التي عرفت أيضاً بحجرة الفاكهة، فتقع بعد حجرة قراءة السلطان أحمد الأول، وقد قسمت جدرانها بلوحات خشبية مستطيلة، مرسومة عليها مزهريات الورد، وصحون الفاكهة. يوجد على التقاطع من الجناح الخاص للسلطان مراد الثالث شقق ولي العهد، وهي أجنحة مستقلة عرفت بالقفص. وقد زينت هذه الغرف بكثرة في القرن الحادي عشرالهجري/ السادس عشر الميلادي. أما شقة والدة السلطان فقد زينت جدرانها بالبلاط المزخرف برسومات الأوراق الزهرية والحدائقية. أما قاعة الإمبراطورية فهي أكبر غرفة في قسم حرم القصر. ويتم الوصول إليها عن طريق قاعة النافورة، وحجرة الفاكهة، وحجرة انتظار الجناح الخاص للسلطان مراد الثالث. قسم الفراغ إلى منطقتين: المنطقة الأولى مربع تعلوه أكبر قبة في القصر، وضعت تحتها مظلة السلطان، أما الثانية فعبارة عن ديوان تحت مظلة ذات سقف منخفض. وقد فرشت أرض الديوان بوسادات للجلوس، ومعظم زينته من الباروك والروكوكو، وهي زينة القرن الثاني عشرالهجري/الثامن عشر الميلادي (٣٠).

وكان القصر يضم عدداً من الورش والمعامل الخاصة، التي عُرفت باسم «بلوكات أهل الحرف»، في داخله مع وجود الأغلبية منها بالطبع خارجه. كما يتبين أن القصر كان يضم قسماً خاصاً لما عُرف باسم الـ (نقاشخانه) التي يقوم الخطاطون والمجلدون فيها بإعداد المخطوطات ذات الزخارف والزينات، وتعدّ فيها التصاميم المستخدمة في فروع الفنون الأخرى، كالنقش والخزف، والأقمشة والمفروشات. وخلال تلك الحقبة رسّخت الإمبراطورية العثمانية وجودها في ثلاث قارات، وشرعت في صنع توليفة من التقاليد الإسلامية والتركية والأوربية لصياغة أسلوب إمبراطوري تختص به في الفنون الجميلة (٣١).

ويعد قصر طوب قابي حالياً احد أهم المتاحف وأكبرها في الشرق الأوسط؛ إذ يعرض فيه الكثير من التحف النادرة، ذات القيمة المعنوية والدينية، مثل محتويات قسم الأمانات المقدسة، التي تعرض فيها، وكما ذكرنا، آثار وأشياء تعود إلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلى الخلفاء الراشدين. ويتم التعرف أيضاً من خلال زيارة هذا المتحف إلى الفنون العثمانية، مثل فن المنسوجات؛ فنجد بعض الملابس التي كانت تخص السلاطين العثمانيين، والمصنوعة من الحرير والمخمل والقطن، والمطرزة بخيوط الذهب، وبأشكال أزهار الرمان والقرنفل والخزامى، وبألوان مختلفة، إضافة إلى التحف الخزفية والمعدنية، سواء من الذهب أو الفضة أو البرونز، والتي كان يستعملها السلاطين العثمانيون، ومن أوان وأطباق وشمعدانات

ومجوهرات وهدايا قدّمها إلى بعض السلاطين العثمانيين بعض زعماء العالم، وهناك أجنحة للأسلحة والدروع والخوذات العثمانية، والكثير من الأجنحة الأخرى الموزعة ضمن مباني القصر، وتعرض جميع هذه التحف بأسلوب متحفي متقن، ومدروس بشكل جيد، يساعد الزائر على التعرف إلى المعروضات، مع توافر الشروحات لجميع المعروضات، وبعدة لغات، منها اللغة العربية.

المراجع والهوامش

١. تاريخ الدولة العلية العثمانية، تأليف الأستاذ محمد فريد بك المحامي دار النفائس الطبعة السابعة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م بيروت لبنان، ص ١٦٤ - ١٦٥

٢ . القسطنطينية تاريخ وحضارة، مجلة الحرس الوطني، العدد ٢٤٢ - جمادى الأخرة ١٤٢٣هـ/ أغسطس (آب) ٢٠٠٢م.

٣ . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د. إسماعيل أحمد ياغي مكتبة العبيكان الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، الرياض المملكة العربية السعودية، ص ٤٨.

٤ . القسطنطينية تاريخ وحضارة، مجلة الحرس الوطني، العدد ٢٤٢ - جمادى الأخرة ١٤٢٣هـ/ أغسطس (آب) ٢٠٠٢م.

٥ . المرجع نفسه.

٦ . القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، د. ثروت عكاشة، دار الشروق القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، الطبعة الأولى، القاهرة، ص ١١٧ - ١١٨

٧ . فنون الترك وعمائرهم تأليف أوقطاي أصلان آبا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول، ١٩٨٧، ص ١٨٥.

٨ . تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، د. خليل إينالجك، ترجمة د. محمد م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ٤٨.

٩ . موقع إسلام أون لاين، سعد عبدالمجيد . المسلمون الأتراك: (افتحوا آيا صوفيا للصلاة !).

١٠ . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد الثاني، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٧٠٣.

١١. المرجع نفسه، ص ٧٠٣.

١٢. شادروان: كلمة تركية، وذات أصل فارسي، والشادروان: هو الميضأة أو النافورة التي تتوسط صحن المسجد، وقد انتشرت في عمارة المساجد العثمانية، وتحولت إلى عنصر معماري أساسي، وقد حظي الشادروان بعناية فائقة من قبل المعماري المصمم، وتعددت أشكاله وأنموذجاته، علماً أن الشكل العام للشادروان إما دائري، وإما متعدد الأضلاع.

١٣. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد الثاني، إستانبول، ١٩٩٩، ص ٧٠٤.

١٤ . الدكتور جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، مارس ٢٠٠١م، ص ٨٨ - ٨٩.

١٥. الحمامات .. عودة إلى ماضي الذكريات، محمود زين العابدين، المجلة العربية، العدد ٢٥٨، رجب ١٤١٩هـ/نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٨م.

١٦. فنون الترك وعمائرهم تأليف أوقطاي أصلان آبا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول- ١٩٨٧، ص ٢٣١.

١٧ . المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

١٨. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد الأول، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ١٥٤.

١٩ . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد الثاني، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٧٠١.

٢٠ . فنون الترك وعمائرهم، تأليف أوقطاي أصلان آبا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول، ١٩٨٧م، ص ٢٢٥.

٢١ . التصميم الداخلي لقصر طوب قابي: د. عادل أحمد كليجال، د. أسامة محمد نور الجوهري، مجلة البناء: السنة السادسة، العدد ٣١ المحرم . صفر ١٤٠٧هـ/ أكتوبر. نوفمبر ١٩٨٦م، ص ٦٧ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢.

٢٢ . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد الثاني، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٧٠٢.

٢٣ . فنون الترك وعمائرهم، تأليف أوقطاي أصلان آبا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول، ١٩٨٧م، ص ٢٢٥- ٢٢٦.

٢٤ . المرجع نفسه، ص ٢٢٧.

٢٥ . إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، الدكتور محمد الصفصافي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦١-٦٢.

٢٦ . فنون الترك وعمائرهم، تأليف أوقطاي أصلان آبا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول، ١٩٨٧م، ص ٢٢٧.

٢٧ . المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

٢٨ . المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

٢٩ . المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

٣٠ . التصميم الداخلي لقصر طوب قابي: د. عادل أحمد كليجال، د. أسامة محمد نور الجوهري، مجلة البناء: السنة السادسة، العدد ٣١ المحرم . صفر ١٤٠٧هـ/ أكتوبر . نوفمبر ١٩٨٦م، ص ٧٤ - ٧٧.

٣١ . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد الثاني، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٧٠٢.





بمزاجي

عزت الطيري

نجع حمادي ـ مصر

بمزاجي
سوف أحكي لقطيعي
وجميلاتِ نعاجي
أنّ ريحَ العشق هَبَّتْ
كَسَّرَتْ أبوابَ رفضي
رغم أني
منذ ريحين ورعدٍ
كنتُ أحكمتُ رتاجي
أنني للمرة الألف سأرفو
رقعةَ الخوفِ وأبدي،
ما استطعتُ
من هتافاتِ احتجاجي
سوف أنضو
عن فتاة البرق ثوبًا
واسوّيها
على جمر ابتهاجي
ثم أعطيها دروسًا
وتمارينَ عصياتٍ
لعلمِ البوح،
هندسةِ التئام الجُرح
جَبْرِ الخاطرِ المكسورِ
كيمياءِ امتزاج الماء بالنارِ
إذا استشرت،
وفار النهرُ، أغوى العشبَ بالدفءِ
تسلّى
باشتعالاتِ الفِجاج
سوف أرشو نجمةَ الفجرِ
لتبقى لي دليلي
. بالقليل .
من عصير الفضة المسروقِ



من طفل المجرّاتِ
وأمضي
دون ركبانٍ ومرجانٍ
وياقوتٍ
وعاجٍ
بمزاجي
ساغني، عكس ما غنّى المفنّون الخليون
البهاليلُ، وأبدأ في النهايات
وأُنهي أغنياتي،
بافتتاحات الصباحاتِ
ويا عيني وليلي
إنّ هذا الليلَ
موصولٌ،
ومقتولٌ

وساجي
بمزاجي
سوف يغدو الغيم قُطنا
لمخدّاتي،
ويغدو القطن غيمًا باذخًا،
يمطر قمحًا، ويناديني
تعالَ
خُذْ خراجي
بمزاجي
سَوفَ...
لكنْ
بعد أن يرتدَّ لي
من بعدِ آلافِ العشياتِ
مزاجي

كينونة على المرآة أو موعظة الرماد

عبدالله السمطي
الرياض ـ السعودية

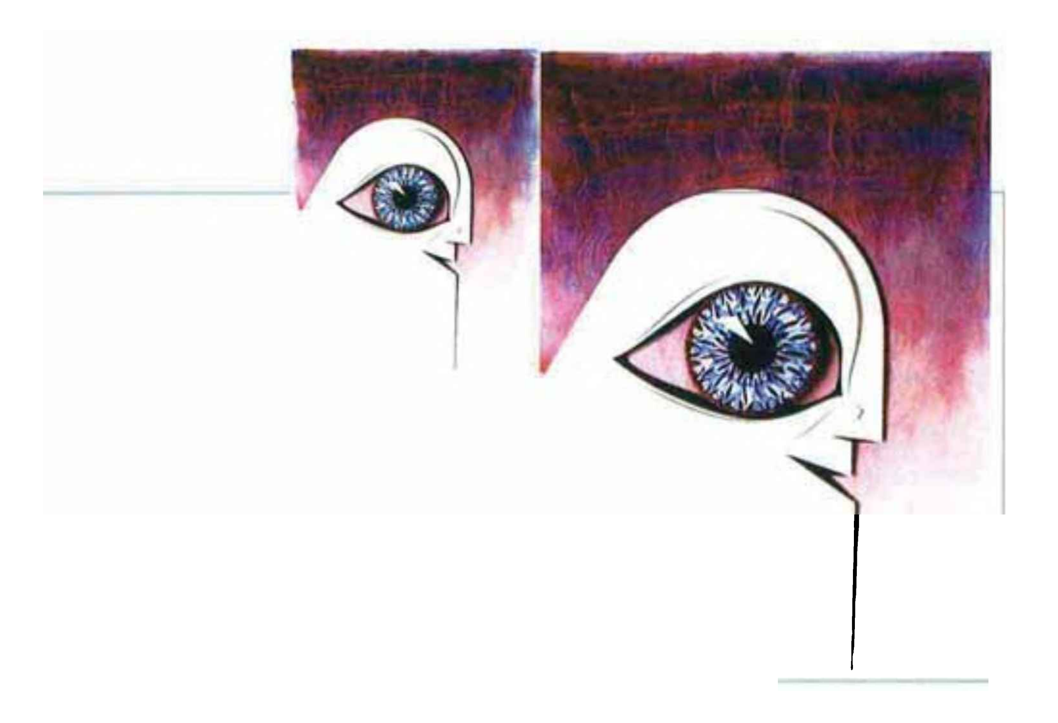
سيكون لي الا أكون. أنا التلا
شي والرماد الآن أبهى من وجودي
سيكون لي الا أرى شيئًا أما
مي غير إسمي في قيامات النشيد
ولعي يعذبني بتيه، أو بتر
حال بمنفى، لا شراع في حدودي
لا رأس لي هل قلت مشنقتي على
عتبات حلمي؟ قد تحلق في الوريد
سيكون لي الا أراني جيدًا
لي مطلق قيد، ولي زغب الجديد

(٢)

من أين جئت؟ دمي؟! أتذهل وردة
خلف السؤال إذا تمطى في قصيدي
منسوجة بلدي بأشلائي، وفي
صدري شهيق هارب، وغدي صعيدي
وأنا:؟ أنا المتوحش الأبدي. في
حريتي موتي، وراياتُ البعيدِ
مخبوزة في الناي إيقاعات شم
س الحزن، في مأساتها، ملهاة عيدي

(٣)

سيكون لي. ماضيّ لا يعظ المكا
ن، أفي المرايا سوف تكسرني قيودي
ذاتيتي منذورة للريح. رو
مانسيتي أعلى قليلاً من صعودي
ولذا سأترك ما يدلُ على هبا
ئي، في رصيف من عناوين الخمود



قـدري سـمـائي. لم أسـافـر بعـد. يسـ
ألني صـديقي عـدت؟! لي وجع الرعـود
ودمي هنالك أو هنا. لا فـــرق. صـــا
دقـــه التـــرابُ. وزهـرة بمدى الحـــديد
صـــارت خـــيـــالاتي بلادي. والمشـــرّ
د كالصبـاح القلب.. في عـمق الشـهـيدِ

(٤)

مـن أنت؟ لا لـغـــــة تطاوعـنـي.. ليـنـ
بعث اليـقـينُ. فـقـط. ينادمني شـــرودي
من أنت؟ ذاكـــرة تعـــزت. أم حـــمـــا
م زاجل بقـــيـــامـــة ألقى بريدي؟
لا تخـــذل المرآة. خـــمـــن. هل قـنا
ع مـــا ترى؟ هل جـثـة بغـد شـريدِ؟
سـيكون. كن. سـيكون لي. سـيكون لا.
لا بعث في العنقـاء أو شـجـر الخلود

(٥)

سيكون لي. أم لا يكون؟
سيكون لي. هل كان.
سيكون لك.
سيكون ل..
سيكون
كن
ك....
ن....
وجعي
وجودي



النمر

للكاتب السنغفوري: س. راجار اتنام

ترجمة: الحسان الرزاقي

تيزنيت ـ المغرب

شعرت فاطمة بماء النهر الأصفر البارد كصحيفة من الذهب المصقول تحت وهج الشمس. ترقرق الماء بتؤدة من حولها وهي تتشبث بحافة النهر. تحركت إلى الأمام إلى أن توقفت وقد بلغ الماء خصرها. التصق السارونغ(١) المبلل بوجهها البني مبرزًا جسدًا ممتلئًا لامرأة حامل. كان وجهها مستديرًا بعظام وجنية تميز أهل الملايو(٢) وأسبغت عليها مسحة الحزن الرقيقة في عينيها السوداوين هيئة من يهتم لرؤية داخلية خاصة.

بدفعة سريعة لرأسها إلى الخلف فكت شعرها الأسود اللامع، وتركت الريح تهسهس عبره. لم تستطع فاطمة رؤية ما يدور في القرية من مكان وقوفها أوسماعه. امتدت أمامها مساحة واسعة من أعشاب اللالانغ والأشجار العالية، ولم يعكر صفو المساء الهادئ إلا زعيق طيور الماء أحيانًا، وأحيانًا أخرى يسبح جرذ محدث طرطشة خفيفة وهو يخوض في النهر. ويمكن سماع حيوانات وجلة هلوعة بين الأعشاب الطويلة. كان الجو عبقًا بروائح الأزهار البرية والطين والعشب.

اجتاح فاطمة شعور بالوحدة والغرابة كأنها دخلت عالمًا لايزال في فجر الخلق وبدت لها الأرض مستنقعًا عظيمًا تحوم فيه وحوش قديمة وقبيحة. لذلك فحينما سمعت هدير النمر البطيء المقرقع مثل ذلك فقط إضافة إلى عالم أحلامها، لكن فجأة أتاها زئير كئيب وغاضب فادركت أنه ليس مخلوقًا من وحي خيالها بل أمر حقيقي.

كانت أعشاب اللالانغ تحيط بالنمر المنبطح على الأرض فحدقت فاطمة في رأسه وكتفيه الضخمتين. لم يكن على أبعد من عشرين ياردة منها، وأسبلت الشمس بريقًا شريرًا على عينيه الصفراوين المتيقظتين. أمال الحيوان أذنيه إلى الخلف مهددًا وأدار رأسه مزمجرًا، وحول لسانه الأحمر بدت أسنانه كجذوم أشجار مقطوعة.

جمّدت عينا النمر المتوقدتان فاطمة إلى امرأة يغمرها اليأس والخوف وخدر الجمود المفاجئ المحيط بها دماغها، ولم تجرؤ على الحركة. لم تستطع تحويل عينيها عن الحيوان. كان النمر هو الآخر ساكنا كأن هذا اللقاء المفاجئ مع إنسان قد جمده.

أخذت فاطمة والحيوان ينظرأحدهما إلى الآخر: كانت خائفة وكان هو مرتابًا. توالت زمجراته لكنها أخذت تقل غضبًا كل مرة. لم يبد أي دليل على أنه ينوي فعلاً مهاجمتها. وبدلاً عن ذلك، وبعد مدة بدا أقل اهتمامًا بها. مدد مخالبه ومرة بعد مرة أخذت تتغرز في العشب المبلل. وما خلا أثناء إتيانها بحركة، لا يبدو أن انتباه الحيوان مركز في مكان محدد. تحول بريق عينيه إلى تعبير مكتئب وممل أحيانًا، ولاحظت فاطمة تحولات مزاج النمر المفاجئة في عينيه.

في هذا الحين زحفت العتمة من أعلى التلال ومضت المناظر الملونة التي كانت قبل وقت قصير. انجرفت الظلال الرمادية فلفتها ظلمة حالكة، وانتشر الضباب



الرقيق الصادر من النهر على الأرض. وأبان نعيق بومة عن تحول النهار إلى ليل.

لم يتبق في نفس فاطمة الآن إلا خوف ساكن، وشعرت بالعياء يزحف عليها فارتجفت من البرد. ازداد إحباطها حينما لم يبد النمر أي علامة على الانصراف. احاطت بطنها بيديها إذ أدركت أنها كائن بروحين. ينبغي عليها أن تفر وليس أمامها إلا فعل ذلك ولا تزال عيناها تريان شكل النمر الظلي والليل يرخي سدوله.

تفحصت فاطمة الحيوان بإمعان، فبإمكانها معرفة متى يعتزم تحويل عينيه عنها، وانتظرت بجسد متوتر، وبقوة مخيفة في الماء. حينئذ غاصت تحت الماء بحركة يائسة. احتكت بقاع النهر وهي تسبح إلى الضفة المقابلة في اتجاه القرية.

لم تصعد إلى السطح إلا حينما أحست بأن رئتيها ستنفجران من قلة الهواء وشعرت بأنها ضائعة وسط النهر. وحينما سمعت الزمجرة بعيدًا أحست بخوف لم تعرفه حتى وهي على مقربة من النهر.

سبحت سباحة هوجاء نحو الشط. وأخيرًا بدت لها مصابيح القرية الزيتية المتلألئة . ساد الهلع القرية لما نشرت أم فاطمة رواية مبالغة فيها لما حكته ابنتها ضمت النساء أطفالهن بين أذرعهن ودعون الرجال ليفعلوا شيئًا حيال النمر فاندفع الرجال مسرعين وهم قلقون على أبقارهم وماعزهم، أما الشيوخ الذين يمضغون الفوفل فقد تساءلوا عن سر هذه الجلبة.

أخذ التعب من فاطمة كل مأخذ أكثر من أي وقت مضى فتمددت على حصيرة من القش. أتى شيخ القرية مع حشد من الرجال لسؤالها عن مكان النمر، فبدأت أم فاطمة في سرد قصة مثيرة وصاخبة عن لقاء ابنتها بـ «المكسو بالشعر». صار الشيخ نافد الصبر فأمر العجوز بالصمت لبرهة فتحول حينئذ لسؤال فاطمة. كانت نافدة الصبر وهي ترد على أسئلته.

ولسبب ما، وخلافًا للمحيطين بها، لم تكن تريد أن يصطاد النمر ويقتل. ولاحظ الشيخ التردد في صوتها فتجهم.

الله. هتفت العجوز آملة أن تصبح مرة أخرى محور الاهتمام. «إنه الله الذي أنقذ ابنتي من المكسو بالشعر».

ورفعت يديها العجفاوين السمراوين كأنما تشكر الله، بينما هز الشيخ كتفيه:

«قد يكون الأمر كذلك، لكن في المرة القادمة. ربما يكون النمر ثملاً برائحة اللحم البشري، وليس من الحكمة تركه وهو على أبواب القرية. يجب أن يصطاد

الوحش ويمزق بلا إبطاء.

نظر إلى وجوه الرجال فوجدها صامتة قلقة، فهم يدركون مخاطر مطاردة النمر في الليل وأعشاب اللالانغ الكثيفة الظليلة توفر الحماية للوحوش، وقد يضربهم بسرعة وهدوء.

حسنا. قال الشيخ.

أطرق الرجال إلى الأرض في صمت فاختلج وجه الشيخ. كان على وشك نعتهم بالجبناء حين دخل محمود وهو أكثرهم شبابًا.

ما هذا الذي أسمعه؟ سأل محمود بحماس، وكان وجهه ملتهبًا من الهيجان حاملاً بندقية على كتفه، أخبرتني النساء أن النمر هاجم فاطمتنا، فهل هذا صحيح؟.

أخبره شيخ القرية بما وقع فانصت محمود وهو يتحسس بأصابعه بندقيته الجديدة ذات الأنبوبتين. كان شديد الرغبة في اصطياد النمر في الحال، فهو يهوى الصيد وقد جعلته حقيقة أن الامر يتعلق بنمر أكثر حماسًا.

الآن، قال محمود حينما انتهى الشيخ من كلامه، من سيأتي لمساعدتي على قتل النمر؟ ساجر جثة الوحش إلى البيت قبل الغروب، لكن فقط إن ساعدتموني، تردد الرجال، لكن قبل مضي مدة طويلة عرض دستة منهم المساعدة وهم يعرفون أن محمودًا رام ماهر.

حسنًا صرخ محمود وهو يمرر أصابعه على طول أنبوبة البندقية. أعرف أنني يمكنني الاعتماد عليكم.

ثم بعدئذ غادر هو ورجاله.

صدقيني يا بنيتي، قالت أم فاطمة: إن محمودًا نفسه نمر متوحش، ثم أغلقت الباب خلف الرجال.

قامت فاطمة من على حصيرتها، ونظرت خارج النافذة الضيقة، والقى القمر نور لطيفًا على كل ما لمسه.

استطاعت رؤية القمر عبر أشجار جوز الهند الطويلة. تحرك الرجال تحت ضوء القمر مستعدين للصيد وهم ينادي بعضهم بعضًا فرمقتهم فاطمة بحزن.

حين غادر الرجال لم يعد هناك سوى الأشجار الرمادية وهسهسة الريح المضطربة. وبإذنين مشدودتين لم تسمع إلا صوت النهر الآتي من بعيد.

في مكان ما هناك يوجد النمر، فكرت في نفسها فأخذت تسأل نفسها عن النمر المساء بطوله وأملت أن يكون بعيدًا عن متناول الرجال.

يا الله. صرخت أمها وهي تدك بعض الجوز في وعاء خشبي. هذه ليلة الموت. فكر في أولئك الرجال وهم خارجون هنالك النمر أذكى من مئة ثعلب.

كان عليهم أن يتركوا النمر وشأنه. قالت فاطمة، وهي لا تزال تنظر من النافذة.

إن من الجنون قول ذلك. قالت المرأة: يجب أن يقتل النمر قبل أن يقتلنا. هذا عين العقل.

ربما ذهب بعيدًا.

حينما يقترب النمر من قرية ما فلن يذهب ببساطة، هكذا غمغمت العجوز، إنه يظل في الجوار إلى أن يحصل على ما يريد. إن النمور عادة قتلة يأتون إلى جوار القرية.

لكن هذا لا يبدو كقاتل. جادلت فاطمة.

زفرت العجوز، لكنها لم تقل شيئًا.

لم يبعد النمر عني أكثر من عشرين ياردة. قالت فاطمة: كان بوسعه أن يثب علي بسهولة، لكنه لم يفعل! لماذا؟ هل بإمكانك أن تفسري ذلك؟ كان يراقبني. تلك هي الحقيقة، لكنني بدوري كنت أراقبه. في البداية كانت عيناه تحدقان في اتجاهي لكن في آخر الأمر كانتا رفيقتين ضجرتين. لم يكن في الأمر أية شراسة!!

أنت الآن تتحدثين بجنون. قالت الأم، وهي تهرس الجوز بقسوة: تمامًا كما كان يتحدث والدك. لتغفر لي السماء إن ذكرت والدك المتوفى، لكنه كان رجلاً مجنونًا أحيانًا.

قطبت فاطمة في النافذة، وأصاخت السمع. كان

الهدوء يلف القرية. كانت يداها الحمراوان المنتفختان مكتوفتين بإحكام إحداهما فوق الأخرى وهي تجاهد لسماع أي صوت. رددت دقات قلبها صدى الضوضاء التي تسببها بالوعاء الخشبي، وبعد ذلك شعرت بألم حاد يخترقها فاتجهت يدها إلى معدتها.

فاطمة، ماذا هناك؟ قالت أمها، وهي تنظر في اتجاهها.

لا شيء، أجابت فاطمة بين شفتيها المضمومتين.

اتركي تلك الريح وتمددي على الأرض. قالت أمها.

واصلت فاطمة وقوفها بجانب النافذة، وشعرت بالألم يعلو ويهبط. أغلقت عينيها وتخيلت النمر. كان جاثمًا بين أعشاب اللالانغ، وعيناه تارة حمراوان متوقدتان وتارة أخرى ضجرتان رفيقتان.

سمعت فرقعة بندقية بعيدًا فتبعتها طلقة أخرى. ارتجفت فاطمة كأن الطلقات مصوبة نحوها. أتتها بعدئذ زمجرة النمر. ولم تكن كالهدير الذي سمعته ذلك المساء، لكنها زمجرة ملأى بالألم والغضب.

ولبضع ثوان بدا صراخ الحيوان وقد ملأ قلبها ودموعها. كان وجهها مشدودًا بالألم وتلألأ جسدها بالعرق فانفلت أنين من بين شفتيها المطبقتين.

الله الله، صرخت العجوز تبدين مريضة. ما الأمر؟ تعالي واضطجعي. هل هو ...؟

لقد شعرت بالآلام يا أمي. لهثت فاطمة.

قادت العجوز الشابة إلى الحصيرة وجعلتها تضطجع على الأرض.

«آه. آه. حان الوقت لتضعي طفلاً. صرخت الأم وهي فزعة شيئًا ما. تمددي هنا ريثما أحضر لك بعض الماء الدافئ لتشربيه. علي الانتظار إلى حين قدوم الرجال لأبحث عن قابلة.

اضطجعت فاطمة على الحصيرة، وعيناها مغلقتان بإحكام، أما أمها فأخذت تسخن الماء وهي تدمدم.

أنصتي، قالت العجوز: الرجال آتون. أستطيع سماع أصواتهم.

امتلأ الجو فجأة بأصوات الرجال والنساء المهتاجة في الخارج.

فتحت العجوز الباب بحذر ونادت أحدهم.

«مرحي لمحمود يا عمتي. هتف شاب وهو يندفع إلى الداخل ، لقد أطلق النار على النمر. كان حيوانًا ضخمًا، ولا عجب أنه قاتل بضراوة. ثم ما الذي تظنينه قد حدث؟.

نظرت فاطمة إلى الشاب باهتمام، وأدارت العجوز رأسها الصغير المتجعد بشوق إلى الفتى.

«حسنا. ماذا حدث؟»

«قالوا» شرح الفتى «بعد قتل الحيوان سمعت جلبة، ثم رأوا على ضوء مصابيحهم ثلاثة من صغار أشبال النمرة. كانت عيونهم لا تكاد تفتح. قال محمود: إن عمرهم لا يتجاوز بضع ساعات.

وليس مستغربًا أن الحيوان قاتل بشراسة»

أنت فاطمة من الألم ولمع العرق كلآلئ صفراء على جبينها.

«أمي» قالت فاطمة صارخة.

دفعت العجوز الفتى المذهول نحو الباب.

«أحضر القابلة يا فتى». صرخت المرأة «بسرعة! امض! القابلة».

شخص الفتى ببصره ولهث، ثم ركض لإحضار القابلة.

الهوامش

١. السارونغ: لباس بسيط يلف حول الجسم وهو شائع في جنوب شرق آسيا.

٢. الملايو: شعب يقطن شبه جزيرة الملايو في جنوب شرق آسيا.

٣. The Tiger, ashort story by: S. Rajaratnam, Globe literature Globe – BOOK Company Englewood Cliffs, USA 1990 PP233-237

عندما تنهزم الكبرياء

محمد الخير حامد
الخرطوم ـ السودان

أراك تخطو نحوي بسرعة وعجلة، حلتك السوداء تزيد من سخونة الجو عليك، أعرف أنك ستشمئز من شكلي.. وملابسي، ووقفتي في طريقك، لكنك لن تحتمل بالتأكيد جملته التي قالها!! جملته التي قطعت أمامي كل أمل في الحياة الهانئة، وجلبت لي شماتة أهلي... وإخواني.

. لقد صودرت حاجياتك جميعًا، وتفضلنا عليك.. بعدم دفع الغرامة المقررة، وهي مئة جنيه.

قالها هكذا.. كأنه يلقي إلي بخبر أو نبأ سعيد، لم ينتبه لحجم الأسى والحزن، والإحباط، الذي انتابني، مسحت دمعة كادت تتسلق جدران جفوني هاربة، بكيت من أعماقي أكثر، وتسللت دفقة وجع سحرية، غشت القلب، فأيقنت أنه قد ضاع، وتاهت أحلامه بين ماض كئيب قضيته حالمًا بضع لحظات، مرفوع الرأس، صافي الجبين، وحاضر مؤلم وردي، بدأت بتذوق مرارته بفاجعة عظيمة، تغتالني الكآبة، وأنا الذي ناضل وصارع، من أجل أن يعيش مستقيمًا، وقويمًا، سمحًا بين الناس.. وأعرف أيضًا أنك مثل غيرك.. ستحتار في قدميّ الحافيتين.. ووقفتي بهذا المكان الصعب، تمزقني الشمس بلهيبها وأشعتها الحارقة، فلا تجد مني غير الصبر..

أتذكر تمامًا ذلك اليوم، أسرتي بكاملها غاضبة مني، يريدونني أن أنضم إليهم في عملهم، حتى أصدقائي استهوتهم الفكرة، رأيتهم بعد أيام يقفون بالسوق الكبير، يلتقطون ما جادت به أيادي خلق الله.

وفي مرات أخرى ينالون سخط المارة واشمئزازهم .. أسرتي بكاملها تعيش في هذا الجو.. أما أنا.. فلم تعطلني يدي اليمنى، التي لم أعرف تاريخًا لفقدانها من جسدي عن التطلع، إلى ما هو أكبر وأسمى من انتقادهم، وترويعهم، قلت لأبي ذات مساء وهو جالس على سرير ممزق وبال.. يحْسِب ما قام بجمعه نهارًا:

. سمعت أحد الأئمة يقول: «لا تسأل الناس...».

وقبل أن أكمل الجملة رد عليّ بكل برود:

. عن ماذا؟! أسألهم؟

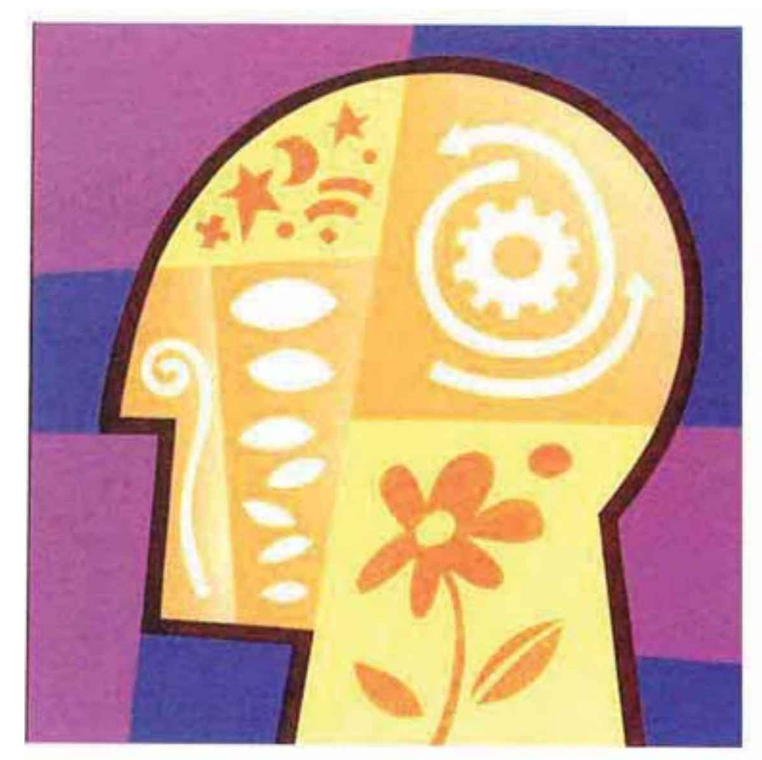
قلت متعمدًا: ألا أشرح ما مضى، لمعرفتي بأنه يعلم، لكنه يتجاهل حتى يخيب أملي في الحديث، ومناقشة الموضوع معه:

. لا تسأل الناس، حتى لا تأتي يوم القيامة، وليس في وجهك مزعة لحم.

فما كان منه إلا أن قال:

. لك أنت ذلك الطريق، هذا بدلاً من أن تفيدنا بيدك اليمنى هذي..

تركتهم، وعملت عند بائع الأزهار، أسقي له ورده، وأزهاره، أتنسم عطرها وعبيرها، فتنقى نفسي من الكآبة والحزن أحيانًا، وبينما كان هو يعاملني بفلظة



وضجر، كنت أستفيد من جنيهاته الخمسة التي كان ينفحني بها آخر الشهر، كنت فرحًا بذلك غاية الفرح، فها هو ذا نجمي يكاد فجره يبزغ من بعيد، ولا بد في يوم ما أن أصل إليه.

وظللت أعمل معه حتى جمعت لنفسي أكثر من خمسين جنيهًا، وفتحت متجرًا صغيرًا.. بالسوق.

أعطني سيجارة، قالها بائع الزهور لصاحب المتجر، ولم يكن قد انتبه إليّ تمامًا.. فإذا به يجدني أمامه، ألجمته المفاجأة، وكاد يعتذر عن خطئه في سؤالي.. ظنًا منه أنني لا علاقة لي بالمتجر.. إلا أنني قلت مثبتًا له ملكيتي:

ـ نحن هنا لا نبيع السجائر، نحن نقدم للناس ما يفيدهم فقط.. وكان متجري.. حافلاً بالحلوى، ولعب الأطفال، وغيرها من الأشياء، أما المزاج والدخان، فلم يكن لي رزق منه.

مشت أيامي هكذا، يتبعها الرضا، ويحفها الرخاء، حتى جاء ذلك اليوم الذي عمت فيه الفوضى، وضج السوق الكبير بالصراخ، تدافع الناس، الباعة المتجولون هربوا بأشيائهم، وسمعت صافرة غريبة وقوية، الكل هرب ممسكًا بأشيائه وحاجياته، إلا أنا لم أتمكن من الهرب، لم أكن أملك من القوة ما يمكنني من الهرب بما معي من أشياء.. ولِمَ الهرب وأنا الذي جمعت هذه الأشياء.. من عملي.. ورزقي.. حلالاً، وها أنا أبيع وأشتري.. على الملأ.. أمام الجميع.. مثل غيري من بقية المحترمين.

ولم أعِ بنفسي إلا ورجلان يقبضان علي، ويجمعان ما أعرض من أشياء، عطور، زينة، إكسسوارات.. ويرمي بي بظهر عربة بها مجموعة من البشر، يبحلقون في وجهي بكل غباء، وجنون، كنت أكثرهم حزنًا، ربما لأن بعضهم كان قد تعود ذلك.. وأنا أراها للمرة الأولى في حياتي!! ربما لأنني شعرت، بأنها قد تفقدني حلمي، وربما أشياء أخرى.. لم أدركها حينها!!

وعندما قيل لي: صودرت حاجياتك.. وتفضلنا عليك بعدم دفع الغرامة قلت في نفسي وكبدي تتحرق ألمًا.. ربنا كريم.. وكانت الجدران تردد معي وتقول بذات الخشوع.. ونعم بالله الوكيل.. ونعم بالله الوكيل.

وأنت.. تقترب. أراك تخطو نحوي بسرعة.. وتقترب أكثر.. وأكثر.. أترى ستمنحني شيئًا؟!.. أعرف أنك ستشمئز من شكلي ووقفتي.. أمد يدي إليك برجاء وتوسل، وكبرياء هُزمت ليلة أمس، تلتفت إليّ وتهمس شفتاك بكلمتين.. باردتين:

ـ ربنا كريم.. فتردد الجدران خلفك

.. ونعم بالله الوكيل.. ونعم بالله الوكيل.

أول يوم دراسي

عبدالله بن علي السعد
الرياض ـ السعودية

وقف بسيارته بجوار المبنى، وأخذ ينظر في صمت حزين إلى الباب الأسود الكبير.. شعر بتقازمه أمام هذا المارد.. أيعقل أن تمر الأوقات بهذه الصورة المرعبة في نفوسنا فتقتل كل لحظة جميلة عشناها؟.

التفت إلى الباب ثانية، لم يكن ينتظر خروج الأطفال، فهو يعلم أن المدرسة مغلقة في هذا الوقت.. كانت الساعة الواحدة ليلاً والشارع خال من المارة.. رجع بذاكرته إلى الوراء، وتذكر مدرسة القرية.. اليوم أول يوم دراسي له.. تذكر ابتسامته وهو يجري في الحديقة..

تحديه له في سباق يبدأ من مكان أمه، وينتهي بنهاية الشاطئ.. المرور بين العربات في المحلات التجارية وهو يرتدي حذاء التزلج الكحلي.. وكلما رجع إلى عربته يضرب ظهره في ابتسامة بريئة تعجز كل ريشة عن تصورها.

تذكر أنه لم يأكل شيئًا منذ الصباح.. تحرك بالسيارة، وتوقف أمام مطعم للوجبات السريعة.. نظر إلى المقعد الفارغ بجواره، وابتسم ودمعة تتحدر من عينيه، وخاطب المقعد.. ماذا ستأكل؟

لم يكن ينتظر الرد.. لكنه فعل كما كان يفعل دائمًا معه.. لم يكن يراه مجرد طفل.. بل كان طفله وزميل عمله وكل شيء في حياته.

أوقف السيارة ثانية على الشاطئ المظلم.. سكنت نفسه لصوت الأمواج.. وعادت الصور في ذهنه من جديد.. حمله على كتفه.. وضع يده الصغيرة على رأسه.. ووضع ذقنه فوق يده.. وبدأ يكلمه.

أبي.. أريد هذا القلم.. وأريد هذه الأوراق الملونة لأرسم فيها.. واو أبي أريد هذه الحقيبة الصغيرة لأضع فيها أوراق ميدو.. ميدو الدب الصغير الذي لا يفارقه حتى في منامه.

ويلتفت إلى ميدو المرتبط بصدره.. تريد هذه؟ سأشتريها لك.

أبي هذا اللون لا يصلح.. لا بد أن تغيره لي.. انظر

لدي هنا ملابس كثيرة تشبهه لماذا اشتريته؟.. المرة القادمة أنا سأذهب معك لأشتري بنفسي.. يتركه ويذهب يركض إلى الغرفة الأخرى.. يعود إليه مبتسمًا، ويختطف قبلة تطبعها شفتاه الصغيرتان.. أشكرك أبي.

. أبي.. أنت كبير؟

. نعم يا بني.

. يعود إلى ذهوله المفاجئ.. وأنا.. كبير، أم.. صغير؟

أنت رجل كبير جدًا.. انظر. ويقف الأب على ركبتيه ويقترب من الابن الجالس على السرير.. يساوي الرأس ثم يقول: انظر.. أنا أصغر منك.

. ويبتسم الابن.. وسأذهب إلى المدرسة؟

. نعم وستكون أفضل مني.

. وأشتري حذاء تزلج جديدًا؟

. تريد حذاء جديدًا؟.. لديك اثنان.

. أريد الفضي.. أعجبني، ويصلح مع هذا القميص.. وترتسم الابتسامة ثانية.

. حسنًا سأشتريه لك غدًا بإذن الله.. هيا الآن للنوم.

التفت إلى السماء.. النجوم تزهر.. وعادت ابتسامته ثانية..

. بابا.. أعطني حبلاً.

. لماذا؟

. الشمس ستختفي في البحر.

. ولماذا تريد الحبل؟

. سأرميه عليها وأرفعها فوق.. ليزداد النور.

آه. لو علمت بما حدث لأبيك يوم رحيلك يا بني.. عاد إلى الليل، والبحر يتأمل في سكونهما.. وصوت الأمواج الخفيف يضرب الشاطئ في لطف.. وأضواء صغيرة بعيدة على امتداد الأفق توحي بالمشاركة في هذا الملكوت.

. خلاص.. يكفي كلام.

. ما بك يا بني؟

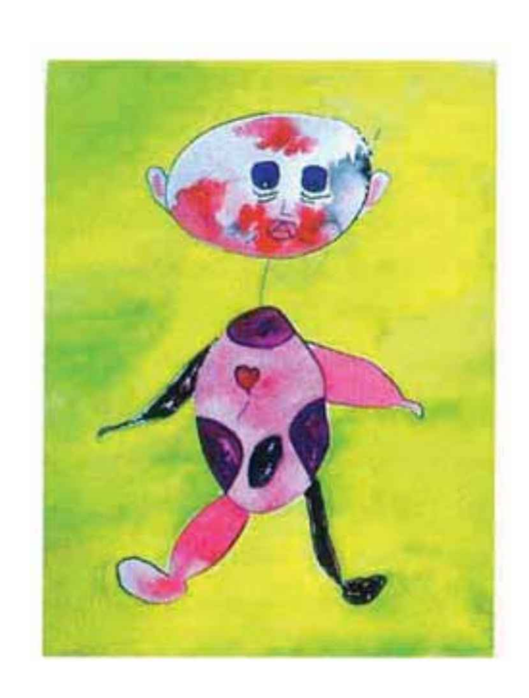
. أتعبوني بالكلام.. أوجعني رأسي.

يبتسم ثانية ابتسامة أقرب ما تكون إلى البكاء.. هذا الصغير.. واختفت الكلمات من شفتيه..وعاد ثانية إلى مكانه.

نزل من السيارة، وبدأ يمشي.. الرمل ناعم.. ورجله تغوص فيه.. عادت الذكريات إلى نفسه..

أبي انتبه لا تتسخ وإلا ستغضب أمي.. امش هكذا.. ويتحرك بهدوء على الشاطئ.. يعود مسرعًا إلى سيارته.. يرتمي على المقعد.. كل شيء كل شيء يذكرني به.

يتحرك بالسيارة.. الوقت قارب على الفجر.. يصل إلى بيته وقت الأذان.. يصلي الفجر ويعود إلى غرفته.. يمكنه أن ينام قبل أن يذهب إلى عمله.. يغمض عينيه وصورة الصغير ترتسم أمامه.





الأدب المقارن وحوار الحضارات

طالعت بمجلة الفيصل العدد ٣٤٩ رجب ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م، مقالاً للأستاذ عبده عبود، تحت عنوان «الأدب المقارن وحوار الحضارات». والحديث حول الحضارات، والأدب حديث شائك، بعد أن أفرزت المتغيرات العالمية نوعًا من التناقض الحضاري، وعالم اليوم يموج بمعدلات متنامية، مع التطور التكنولوجي والتقني، ووسائل الاتصالات.

ومع أن التعددية سنة كونية، إلا أن الزيف الغربي يتحرك بحملة تشويش تجاه حضارة الإسلام؛ تلك الحضارة التي هدفت إلى تحقيق نقاط، منها:

. الاهتمام بالعلم، ففي القرآن الكريم نحو ٧٥٠ آية تدعو الإنسان إلى التأمل والتدبر والتفكر في الطبيعة بلغة العلم؛ لأن مهمة الإسلام دعوة كل إنسان إلى الاستخلاف في الأرض، لتحقيق النماء العمراني، والعلم لا وطن له، ويمثل تراثًا مشتركًا بين كل الأمم والشعوب. وأي أمة تملك فكرًا وثقافة تستطيع أن تبني حضارة. قال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ الزمر:٩.

لغة الغرب في مسمى الحضارة لغة تنطلق من منهج امتلاك القوة الاقتصادية والسياسية. وهنا يبرز التساؤل: أين قوة الأمة العربية والإسلامية؟ ما قيمة تجديد العلم والمعرفة لإضافة الجديد إلى الأمة؟ لأن العقيدة لا تتشكل من أداء العبادات فقط، إنما هي سبيل من أجل تحقيق التمكين في الأرض.

والرسول صلى الله عليه وسلم منذ نحو ١٤٢٥سنة حذر الأمة من المأزق الحضاري المعاصر. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينتزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت» رواه أبو داود والطبراني.

إذن هناك ضعف في بلدان الأمة، ونموها السكاني نحو مليار ومئتي مليون مسلم!

فإذا نظرنا إلى قوة الاختلاف بين أمة وأخرى، نجد قيمة العمل، والتنظيم، وامتلاك العلم، والعلم نما من جهد العقل البشري، ثم يتجه إلى البشرية كافة في ظل الجهد المتواصل في اكتساب المعرفة، وكلما تقدمت المعرفة تحققت التنمية الحضارية، والعقل الإنساني منذ خلق الله آدم عليه السلام لم يكن خاملاً، والله عز وجل ميز آدم . عليه السلام . بالعلم.

قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ البقرة:٣١.

الأمة لا أقول في حوار الحضارات فقط، إنما أقول حاضرها بحاجة إلى ثقافة التغيير في كل مجالات الحياة؛ لأن ما من أمة إلا ولها موقع بين الأمم وتعددية شعوب عالم اليوم، وكلمة صراع الحضارات التي يتحدث عنها بعضهم، مثلما طرح (هنتنجتون) نظرية «صراع الحضارات» تمثل صياغة تعميم؛ لأن الإسلام لا يحمل عداء للآخر، لكنه يرفض الظلم والقهر، صراع الحضارات الذي يتحدثون حوله يهدف إلى:

إثارة الفزع في الغرب من حضارة الإسلام، وإثارة أحقاد دفينة كانت بين العالمين العربي والغربي بفعل الحروب الصليبية.

ثم نتأمل قوله تعالى: من أجل التدبر والخروج من المأزق المعاصر: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض

ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ القصص:٥.

. حضارة الإسلام جاءت لتبني نظام حياة للفرد والمجتمع؛ لأن في الإسلام دعوة إلى العمل والإنتاج، وإنه طريق لإقامة الحياة الفاضلة، وإن الإنسان لم يخلق عبثًا، ولم يخلق للاستمتاع بالحياة الدنيوية، مثلما نرى في الفكر الوضعي، وهو فكر حضارة تفكيكية؛ من أجل إضعاف العقيدة لدى الفرد والمجتمع بدعوى الحرية والتنوير.

وما حققه الغرب من مكاسب حضارية هدفه الاستغلال، ولغة المصالح والتبعية والهيمنة، وفي الغرب أيضًا أصوات أو أفكار تتنكر للأديان السماوية؛ مما فتح الباب أمام فلسفة معادية للدين، ولتعددية الأمم؛ من أجل نشر أنماط استهلاكية على المستوى العالمي. كما أن ثراء البلدان الصناعية نما من استغلال البلدان النامية. وللإسلام أيضًا نظرة في رفضه الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع، وهي حروب استعمارية، وفكرة السلم في الإسلام أن السلم قاعدة، والحرب ضرورة من أجل رفع البغي والعدوان، وليس لتحقيق مصالح دنيوية، والإسلام كفل حرية العقيدة.

لكن الزيف الغربي يتهم الإسلام بالإرهاب، وأنه سبب تخلف الأمة، وهي اتهامات باطلة؛ لأن الإسلام في حقبة زمنية قليلة أقام حضارة، كانت من أسمى الحضارات عمرانًا في حركة التاريخ الإنساني، بفضل دعوته إلى التقدم والرقي، والغرب ذاته لم ينكر تلك الحضارة، وكان أيامها يعيش في الظلمة والتخلف، والحضارة المعاصرة وإن كانت من صنع الغرب، وبلدانه هي الأكثر قوة وثراء، إلا أنها الأكثر أمراضًا مستعصية، والأكثر انحرافًا، والأكثر استغلالاً واحتكارًا.

وأرى أن الأمة بحاجة إلى وحدة الفكر، التي تحقق لغة التنمية والإبداع في كل مجالات الحياة، وأن تبتعد بلدان الأمة عن نقاط التمزق، والتشتت، والتحزب، وهي نقاط تساعد على إضعاف الحركة الإيجابية، فكيف تضعف أمة، ولها تصور بناء لصنع الحضارة بالفكر والمنهج، وبلغة التوازن بين الروح والمادة؟!

والحضارة في تكاملها بيان لامتلاك القوة الفعالة من أجل صنع التكامل البشري، وليست مجالاً لبسط السيطرة والنفوذ والعدوان، مثلما تفعل القوى العالمية اليوم.

حضارة الإسلام إن خضعت في بعض فترات التاريخية للضعف والوهن إلا أنها حضارة فاعلة، ولها تأثير زماني ومكاني حتى قيام الساعة.

مشكلة الأمة في الزمن المعاصر أنها خضعت بعض الشيء لسياسات الهيمنة من الآخر، الذي يعمل في السر والعلن لإضعاف تلك البلدان، حتى مع السعي لامتلاك بعض البلدان الإسلامية السلاح النووي، من هنا تجب النظرة: أين وحدة الأمة؟

وهي وحدة تولدت من طبيعة دولة الإسلام وفكرها.

والله عز وجل بيّن سنن التمكين، وهي لمن؟ لمن يتحرك بخصائص الإصلاح الإيجابي، والعمل بمنهج الإسلام يحقق عطاءً حضاريًا في شتى مجالات الحياة. والخطاب القرآني ربط بين الإيمان والقوة، واكتشاف سنن الكون. قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ الأعراف:٩٦.

وهناك ربط بين الإيمان والصبر الإيجابي، وتجاوز المحن والعقبات، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ البقرة:١٥٥.

وعقيدة الإسلام تعطي للعقل الإنساني قوة انطلاقة؛ لكي يتحرك الإنسان نحو تعمير الأرض وتنميتها بالعمل الصالح، والسلوكيات البناءة. ويجب ألا نغفل عن أن الحفاظ على الهوية بداية السبيل لامتلاك مقومات النهوض الحضاري، خاصة أن ثقافة الأمة تجمع بين الروح والمادة، والواجب الديني، والمنفعة العلمية، والتحرك بقيمة الدعوة على مستوى الفرد والجماعة والأمة؛ لأن الأمة خير أمة أخرجت للناس.

يحيى السيد النجار

مصر . دمياط

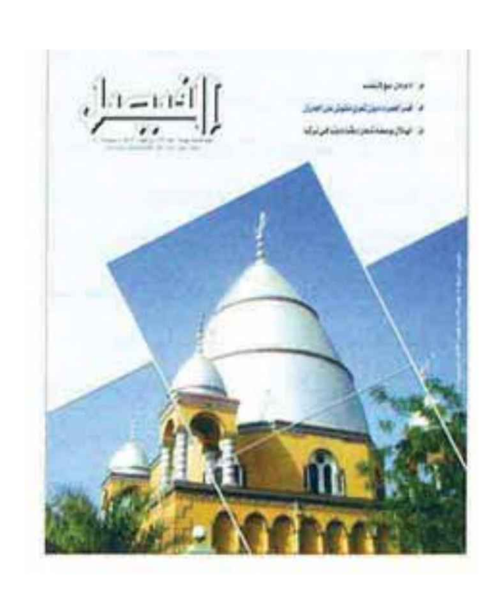
حول أم درمان نبع لا ينضب

جاء في الاستطلاع الجيد حول «أم درمان نبع لا ينضب» للأستاذ حاتم دينار بالعدد (٣٥٣) من الفيصل الغراء عدة نقاط واجبة الإيضاح:

. المسافة بالضبط بين ديم أبي سعد وأم درمان نحو عشرة أميال جنوبًا.

. ذكر بعض المؤرخين أن من أسباب اختيار الإمام المهدي لأم درمان عاصمة له، لموقعها العسكري الإستراتيجي، وكرهه أن الخرطوم كانت عاصمة الإدارة التركية في السودان، ثم تأسّيه بالنبي صلى الله عليه وسلم في بناء مدينة له، وكان الإمام المهدي كثيرًا ما يتأسى بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، ومنها حينما ألقت الناقة رحلها في ذلك المكان المرتفع شمال قلعة أم درمان، فضربت أطناب الخيام، وأقيمت أكواخ البوص، وسوّر مكان المسجد بالشوك، وصنعت للمهدي مقصورة من ألواح الزنك (جامع الصفيح) للوقاية من الجدري، ونقل منبر الخطابة الذي كان في الحكم إليها، وهذا المعسكر مكانه الآن قبة المهدي المشهورة (١).

. لم يكن تجار الغرب فقط هم الذين يقطنون أم



درمان قبل المهدية، بل كانت هناك عدة منازل لقبائل شتى، من الجعلية، والدناقلة، وغيرهما، وقد كان جد المهدي ذاته قد سكن على مقربة من تلال كرري شمال أم درمان وحطّ رحاله في سفره من دنقلة للسعي نحو الرزق بعد سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م (٢)

. لم يكن من أسباب مجاعة سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م (أم لحم) شحة الأمطار فقط، ومعها أسراب الجراد التي أكلت الأخضر واليابس، وإنما إلى جوارهما إهمال الخليفة عبدالله التعايشي للجانب الزراعي إذا ما قورن بالجانب الجهادي، فالخليفة لم يخطط حتى لتأمين معسكرات جيشه بوقفية معينة مثلاً أو قبلها بتنظيف الترع والمصارف وتطوير شؤون الري التي كانت غائبة عن تخطيطه آنذاك، فحدث ما حدث من مجاعة، فتكت بنصف سكان السودان آنذاك، كما جاء في تقارير مختلفة.

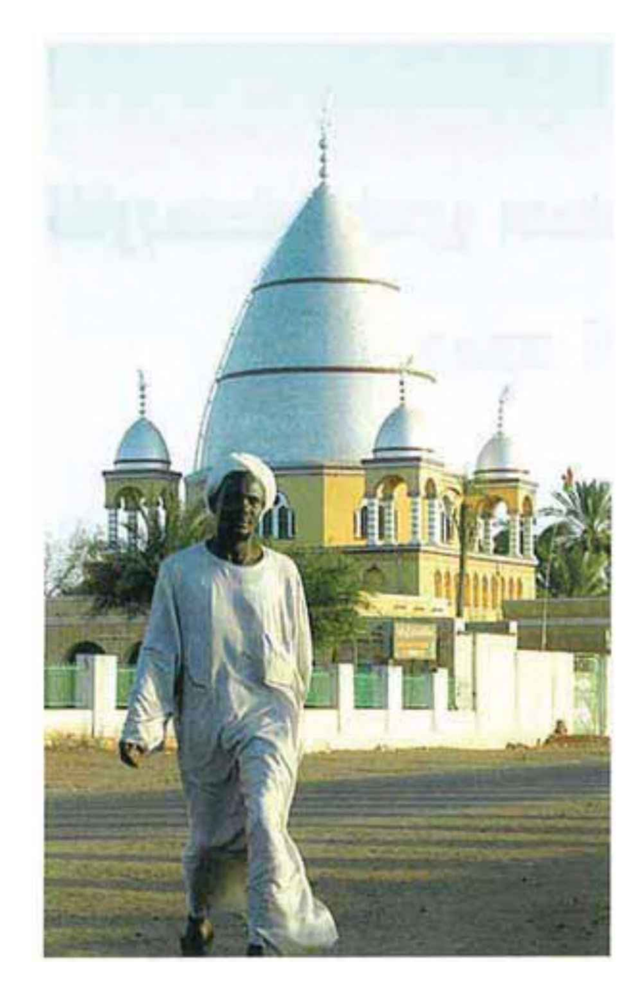
. من أحياء أم درمان الحديثة، حي الثورة، من أشهر الأحياء السكنية، أنشئ في عهد الفريق إبراهيم عبود عام ١٩٥٨ . ١٩٦٤م.

وقد رأيت إبّان زيارتي للسودان الشقيق في يناير / كانون الثاني عام ١٩٨٢م منازل بعض كبار الشخصيات السودانية، ومنها منزل السيد إسماعيل الأزهري في حي السيد المكّي، وهو منزل صغير بسيط (حوش) ينم على عبق ذلك الزمن الجميل.

ومن معالم أم درمان جامعة أم درمان الإسلامية . كلية الأحفاد . ومعهد تدريب المعلمات، وجامع أم درمان الكبير، وغيرها من المعالم الأثرية والحديثة (٣).

عبدالرحمن عوض

القاهرة . مصر



المراجع

١. تاريخ مدينة الخرطوم، د. أحمد أحمد سيد أحمد ص٤٤١، تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، القاهرة.
٢. السودان عبر القرون، د. مكي شبيكة، ص٢٠٩، ١٩٦٠م، القاهرة.
٣. مجلة الفيصل. د. عباس محجوب، ع٤٥. ص٢. فبراير١٩٨١م، المملكة العربية السعودية.
. كرري . عصمت حسن زلفو، ط٢، ١٩٧٨م . الخرطوم.
. حرب النهر، ونستون تشرشل، ترجمة عز الدين محمود، تاريخ المصريين ٢٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م القاهرة.



الأربطة في مكة المكرمة في العهد العثماني

فرّاج عطا سالم

الرياض ـ السعودية

ضمن فعاليات اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) وضمن موسوعة مكة المكرمة، والمدينة المنورة، التي تصدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن برئاسة معالي الشيخ أحمد زكي يماني، صدر عنها هذا الكتاب «الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني» تأليف الدكتور حسين عبدالعزيز حسين شافعي، مراجعة الدكتور: عباس طاشكندي.

وقد قدم للكتاب معالي الشيخ أحمد زكي يماني ـ راعي هذه المؤسسة الرائدة، وأحد أبناء مكة الكرمة البررة ـ الذي تربى وترعرع في ربوعها، وبين شعابها، وتفتحت عيناه على الحرم والمسعى والبيت العتيق، زاده الله عُلواً ورفعة وشرفًا وتقديرًا.

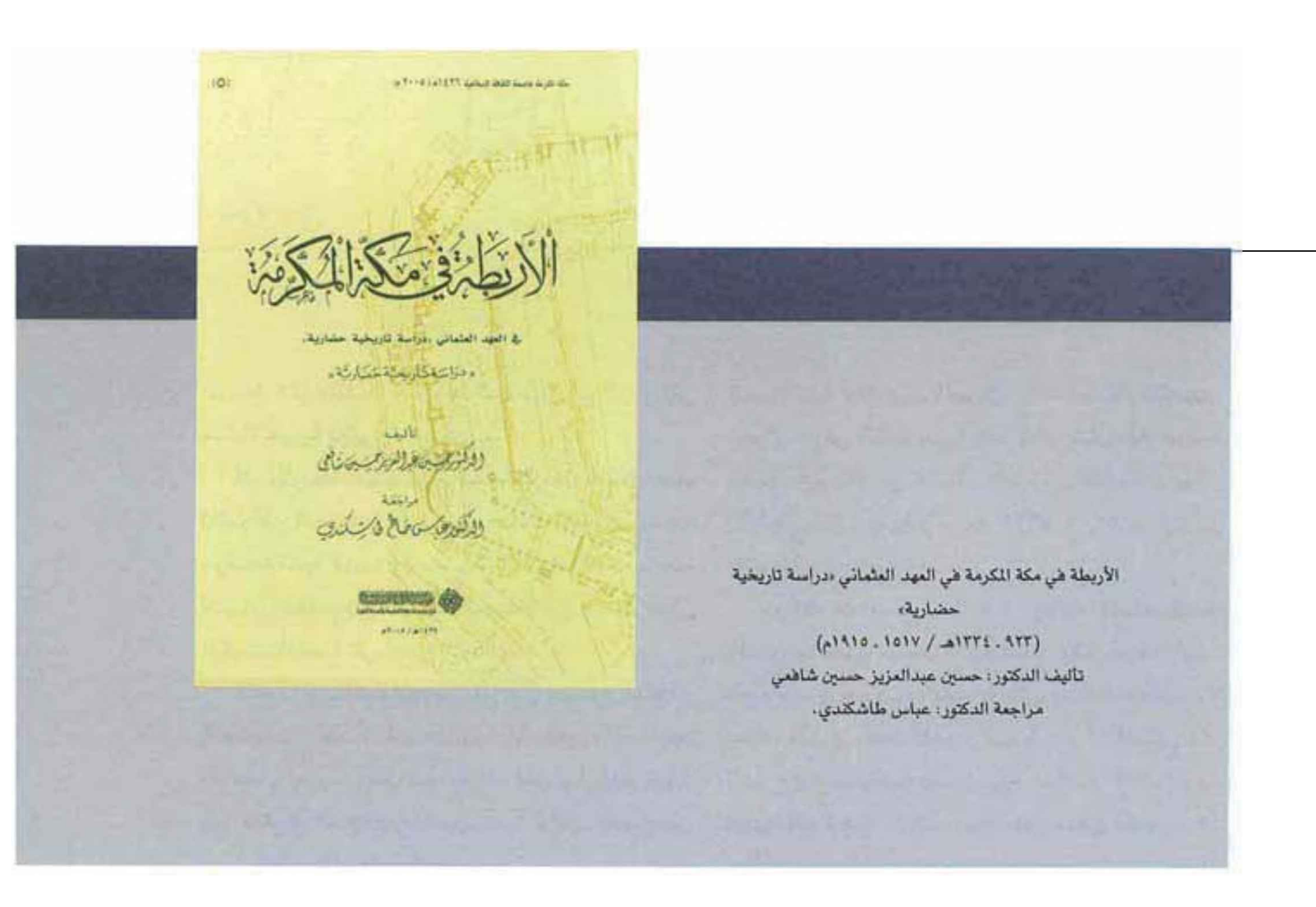
أما تقديم الباحث الكريم، وهو الدكتور حسين عبد العزيز شافعي لكتابه «الأربطة في العهد العثماني» الذي يعدّ استكمالاً لدراسته السابقة، التي نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، والتي تناولت الموضوع نفسه، ولكن في الفترات السابقة على العهد العثماني؛ أي: عن «الأربطة في مكة المكرمة منذ النشأة حتى نهاية العصر المملوكي» إذ إن الأربطة في مكة المكرمة في العصر المملوكي وصل عددها إلى ستة وأربعين رباطًا.

وقد قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول، وقسمه إلى فصلين:

الفصل الأول: عن الأربطة المكية الباقية حتى العصر العثماني، والتي استمرت في العهدين المملوكي والعثماني (وهي دراسته السابقة لمرحلة الماجستير).

الفصل الثاني وهو بعنوان «أربطة العهد العثماني



الأربطة في مكة المكرمة في العهد العثماني «دراسة تاريخية حضارية»
(٩٢٣ ـ ١٣٣٤هـ / ١٥١٧ ـ ١٩١٥م)
تأليف الدكتور: حسين عبدالعزيز حسين شافعي
مراجعة الدكتور: عباس طاشكندي.

(من سنة ٩٢٣ ـ ١٣٣٤هـ / ١٥١٧ ـ ١٩١٥م). وقد عرف فيه كل رباط على حدة من خلال اسم الواقف، ثم الموقع الجغرافي للوقف، ثم تاريخ الوقف، وشرط الواقف، وشرط النظارة، والأوقاف الموقوفة على الرباط، ثم أسماء النظار، وأسماء النزلاء، وأخيرًا الوصف المعماري للرباط.

أما الباب الثاني، وهو بعنوان الوقف على الأربطة، فقد اشتمل أيضًا على فصلين: يتضمن الأول وقف الأربطة، وشروط الواقفين، ومدى تطبيقها، ثم النواحي الشرعية في الوقف.

وتناول في الفصل الثاني جميع الأعيان الموقوفة على الأربطة على اختلاف أنواعها.

وفي الباب الثالث تناول إدارة الأربطة، وآثارها الإيجابية والسلبية، واشتمل على ثلاثة فصول:

الأول: تناول النظارة على الأربطة: وقد ربط فيه الأمور الشرعية المتعلقة بالنظارة والنظار. وقد عزز الدراسة بالنصوص التاريخية، كما زودها ببعض الإحصائيات عنها.

وفي الفصل الثاني تحدث الباحث عن الوظائف التي كان يعمل بها في الأربطة. واستخلص بعض الإحصائيات عنها.

أما الفصل الثالث فقد تناول فيه الآثار الإيجابية والسلبية لتلك الأربطة في المجتمع المكي. وسوف تعرض بشيء من التفصيل لما حوته الدراسة من موضوعات شائقة تتلخص فيما يأتي:

تعريف الرباط: عرف الباحث الرباط بأنه عبارة عن حصن كبير، يقام على الحدود مع العدو، يعمسكر فيه المجاهدون من المتطوعين في سبيل الله: أي: أن

الرباط كان منشأة حربية، ثم تحول مع الزمن إلى منشأة خيرية للإيواء والسكن.

أثر الأربطة: لقد كان لبناء الأربطة بشكل عام تأثير في المجتمع المكي. فقد كانت حلقات علمية موسعة تدور فيها ويحضرها العلماء وطلاب العلم لتبادل العلوم والإجازات، فضلاً عن وجود بعض المكتبات العلمية في بعض الأربطة.

كما كانت ذات أثر بارز في وجود التكافل الاجتماعي، فقد كفلت الفقراء والمساكين والمحتاجين والإماء والعبيد، وغيرهم. كذلك كان لها تأثير كبير في استقبال الحجاج والمعتمرين من قوافل الحجاج من أرجاء العالم الإسلامي كافة.

الأربطة المكية الباقية حتى العصر العثماني: بلغ عدد الأربطة الموقوفة بمكة المشرفة في العصور السابقة للعهد العثماني ثمانين رباطاً، واستمر منها في أداء وظائفها تسعة وثلاثون رباطاً موزعة على العصور الآتية:

. ما قبل العصر الأيوبي: بلغ عدد الأربطة المستمر منه إلى العصر العثماني خمسة أربطة.

. العصر الأيوبي: بلغ عدد الأربطة المستمر منها إلى العصر العثماني سبعة أربطة.

. العصر المملوكي: بلغ عدد الأربطة المستمر منها إلى العصر العثماني سبعة وعشرين رباطاً.

الأربطة المكية في العهد العثماني: استمر وقف الأربطة بمكة، وتزايد في العهد العثماني، حتى بلغ عددها مئة وخمسين رباطاً. وسوف نشير إلى نماذج منها بشيء من الإيجاز:

. رباط الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (حاكم مكة) من سنة ٨٦١ . ٩٣١هـ / ١٤٥٦ . ١٥٢٤م: وكان هذا الرباط يقع في خط الحزامية عند درب اليمن، خلف أجياد الكبير، بجوار حوش الكباريتي. وقد تولى مشيخة الرباط الفقيه أبو بكر بن عثمان الجبرتي الذي كان يؤدب الأطفال، وتوفي سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، وتولى المشيخة بعده ابنه محمد.

. رباط خاصكي سلطانة . رباط الخاصكية: وقفته خاصكي سلطانة بزم عالم. وقد عرفت أيضاً باسم بيرم خوجة، الصائر إلى أم السلاطين. ولا يعرف تاريخ محدد لوقف الرباط ولو أن الشلي ذكر أنها أوقفت التكية بعد (سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م) وقد تولى نظارة هذا الوقف ستة نظار. ومن أشهر نزلاء هذا الرباط الشاعر محمد بن حسن الملقب بجمال الدين بن دراز المكي الشافعي، الذي تولى القضاء خارج مكة المشرفة.

. رباط عبدالواسع العجمي الرومي قاضي العسكر: كان يقع في حي سويقة الشامي جهة زقاق الشرابي. ولعل واقفه أوقفه سنة (٩٤٥هـ/١٥٣٨م).

. أربطة أبي نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني من سنة ٩١١ . ٩٩٢هـ/١٥٠٥ . ١٥٨٤م: وهي أربعة أربطة: ثلاثة منها قرب السوق الصغير، والرابع قرب المسجد الحرام.

اختلفت مستويات واقفي الأربطة، وتوزعت على شتى وظائفهم من السلاطين والأمراء والوزراء والولاة والتجار والأغنياء والمحسنين وفاعلي الخير. كما اشترط الواقفون شروطاً في نظارة الوقف أن يكونوا من مساعديهم، ومن يثقون بهم، ومن يتصفون بالخصال الحميدة

ـ رباط داود باشا ـ رباط الداودية: وهو داود باشا ـ الخادم والي مصر من سنة ٩٤٥ ـ ٩٥٦هـ/١٥٣٨ ـ ١٥٤٩م: لم يحدد موقعه بالضبط، فبعضهم يقول: كان يقع عند باب العمرة، أو بين باب العمرة وباب إبراهيم، أو بين باب السدة وباب الباسطية، والأرجح بين باب العمرة وباب إبراهيم عند باب الداودية، وقد وقف هذا الرباط في سنة ٩٥٦هـ/١٥٤٩م.

هذا وقد نزل في هذا الرباط مجموعة من المشاهير، منهم على سبيل المثال:

ـ المحدث عبدالقادر بن محمد إمام المسجد الحرام؛ كانت له حلقة يدرِّس فيها صحيح البخاري.

ـ عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الثعالبي الهاشمي المغربي، درَّس بالمسجد الحرام، وله عدة مؤلفات، منها: «مقاليد الأسانيد»، و«فهرسة العاملي».

ـ عبدالكريم بن حمزة الداغستاني (١٢٦٧ ـ ١٣٣٨هـ/ ١٨٥٠ ـ ١٩١٩م): كان حافظًا للقرآن الكريم، وجاور بمكة المشرفة، ودرَّس بالمسجد الحرام.

ـ محمد بن علي الرهبيني الشافعي المكي (١٢٨٦ ـ ١٣٥١هـ/ ١٨٦٩ ـ ١٩٣٢م): كان حافظًا للقرآن الكريم، ولد بمكة المشرفة، ودرَّس بالمسجد الحرام، وحفظ كثيرًا من المتون.

ـ رباط الوزير محمد باشا بوسنوي الطويل: تولى الوزارة لثلاثة سلاطين عثمانيين (سنة ٩٧٢ ـ ٩٨٧هـ/ ١٥٦٤ ـ ١٥٧٩م): عرف هذا الرجل بحبه للخير وأعمال البر.

كان هذا الرباط يقع بالقرب من باب الزيادة أحد أبواب المسجد الحرام في الجهة الشمالية منه. وقد نزل في هذا الرباط بعض الشخصيات العلمية، منهم: الشيخ سليمان الشبل، والمؤرخ المكي عبدالله بن محمد غازي المكي (١٢٩٠ ـ ١٣٦٥هـ/١٨٧٣ـ ١٩٤٥م) الذي ولد بمكة المكرمة، وحفظ القرآن الكريم، ومن مؤلفاته «إفادة الأنام في أخبار البلد الحرام».

ـ رباط تاج الدين بن زكريا بن سلطان الهندي العثماني (٩٧٠ ـ ١٠٥٠هـ/١٥٦٢ ـ ١٦٤٠م): كان يقع في جبل هندي. وقد وقف هذا الرباط سنة (٩٩٤هـ/١٥٨٥م)، وهي السنة التي حج فيها السلطان مراد والتقى الشيخ تاج الدين، فأمر بوقف رباط له؛ محبة فيه.

ـ رباط محمد بن محمد بن سليمان بن طاهر البسوسي الروداني الفاسي المغربي (١٠٣٧ ـ ١٠٩٤هـ/١٦٢٧ ـ ١٦٨٢م): حفظ القرآن الكريم، وجاور بالحرمين الشريفين، وتولى منصب النظر في أمور الحرمين الشريفين، وإحياء الأوقاف الميتة. كان هذا الوقف يقع في الجهة الغربية من زيادة باب إبراهيم في الركن الشمالي منه. وقد وقف على أهل اليمن الفقراء، كما ذكر أنه وُقف على طلبة العلم على مذهب الإمام الشافعي من أهل السنة والجماعة من الفقراء دون الأغنياء، ومن العزاب دون المتزوجين.

ـ رباط البصري ـ رباط السادة: واقفة الإمام المحدث سالم بن عبدالله بن سالم البصري: أحد

اهتم واقفو الأربطة بتوفير جوّ مناسب للعلماء وطلاب العلم فوفروا لهم السكن المناسب والأطعمة اللازمة. كما أن بعض هذه الأربطة كان ملتقى العلماء والاستقرار بمكة المكرمة، والتدريس في الحرم، وحلقات العلم التي كانت تقام في الحرم

محدثي الحجاز الثلاثة، من أصحاب الأسانيد العوالي. كان إمامًا محدثًا جليلاً في الحرمين. كان هذا الرباط يقع في حي السوق الصغير بزقاق الحمرة. كان يحوي مرافق للخدمات كدورات المياه والمطابخ، ويحتوي على ثلاثين غرفة، إلى جانب غرفة شيخ الرباط، ولذلك يعدّ من الأربطة الضخمة؛ لعدد غرفه. وقد اشترط الواقف في وقفية رباطه أن يكون على آل با علوي (من السادة العلويين)، وكان ملك المغرب يرسل أموالاً نقدية للسادة العلويين.

. أربطة ذوي ثقبة: هي أربطة ثلاثة على اسم واقفها من ذوي ثقبة الأشراف، في ما يبدو، ولم تشر المصادر إلى اسم الواقف كاملاً. وكانت هذه الأربطة تقع في مواقع مختلفة: فالأول كان يقع بقرب الميضاة بباب العمرة؛ أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية منه، والرباط الثاني كان يقع بالسوق الصغير غرب رباط محمد خوجة الأزبكي، والرباط الثالث لم يعرف موقعه.

. رباط النساء الترك: كان هذا الرباط يقع بالقرب من بيت محمد دورلي، ولم يحدد موقعه في مكة بالضبط. وقد اقتصر هذا الوقف على النساء فقط من الأتراك.

. رباط النساء: وقد اقتصر اسم هذا الوقف على ساكنيه ولم يعرف اسم واقفه، وكان يقع في حي القرارة من جهة المروة في المسعى الشريف أي في الركن الشمالي منه.

. رباط بكير باشا، وهو أبو بكر باشا بن إبراهيم الرومي، كان يقع هذا الرباط في حي المسفلة، وقد وقف في سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م. وقد اشترط الواقف أن يوقف على نفسه وأولاده من بعده، وإلى ذريته ونسلهم حتى ينقرضوا، فيصير إلى عتقاء الواقف ونسلهم حتى ينقطع، ثم يوقف على فقراء الحرمين الشريفين، وعند ذلك يكون الناظر عليه دار السعادة، وهي دار العدل؛ أي: على إسلامبول، وهي عاصمة الخلافة الإسلامية.

ويشرف على هذا الوقف كل من كان حاكم الشريف بمكة المكرمة، ويؤجر الناظر على من كان واليًا بجدة إن طلب استئجارها، أو غيره إن لم يرغب في استئجارها. فالناظر يؤجرها سنويًا، ويصرف من غلتها لأربطة معينة في مكة المكرمة، مثل رباط الشيخ تاج، ورباط ذوي عمر، ورباط ذوي ثقبة، ورباط النسوان الترك، ورباط المغاربة، ورباط الحمرة، وغيرها.

الوقف على الأربطة: وقد ذكر أهل العلم أن الوقف الإسلامي ينقسم إلى قسمين رئيسين، هما:

. الوقف الخيري: وهو الذي وقف على جهة بر لا تنقطع، كالأربطة، والمساجد، والمدارس، وغيرها.

. الوقف الذُرّي أو الأهلي: وهو الذي أوقفه الواقف على نفسه، ثم على ذريته ونسله، أو على شخص معين وذريته وعقبه.

والأربطة هي جزء لا يتجزأ من الوقف الخيري الذي هو أحد أقسام الوقف.

كان لبناء الأربطة بشكل عام تأثير في المجتمع المكي، فقد كانت حلقات علمية موسعة تدور فيها، ويحضرها العلماء وطلاب العلم لتبادل العلوم والإجازات. فضلاً عن وجود بعض المكتبات العلمية في بعض الأربطة.كما كانت ذات أثر بارز في وجود التكافل الاجتماعي

وتعريف الوقف لغة: هو الحبس والمنع، وهو مصدر قولك. وقف الشيء إذا حبسه، وقيل للموقوف وقف، ويجمع على أوقاف.

أما تعريف الوقف شرعًا فهو، كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم «حبِّس الأصل وسَبِّل الثمرة» فهو حبس للعين الموقوفة عن ان تُملَّك لأي أحد من الناس، والتصرف فيها لجهة بر وعمل صالح.

الوظائف في الأربطة: بلغ عدد الوظائف ثلاثًا:

ـ وظيفة البواب: وهي حراسة المنزل، وما شابه ذلك من المعتدين. فعليه المبيت بقرب الباب ليسمع من يطرق الباب فيفتح له، ثم يغلقه خلفه. كما يعهد إليه تطهير المكان وكنسه وإماطة الأذى والقمامات عنه.

ـ وظيفة الخادم: ويقصد به كل من يقوم بالخدمة ذكرًا أو أنثى وتتمثل في الإتيان بالماء من البئر، ويملؤون للفقراء والمساكين ممن يأتى إليهم بدورق طوال اليوم شتاءً وصيفًا.

ـ المشرف: ومهمته المراقبة على جهة من الجهات بصفة عامة. كذلك إسراج الرباط وإضاءته وتوفير المياه للساكنين، وتوفير الفحم للوقود، ونزح المطاهر وإن كان رباط العمانيين هو الذي انفرد بهذه المهمة.

الآثار الإيجابية والسلبية للأربطة: قام الباحث بجمع هذه الآثار وغيرها مما ذكرته المصادر التاريخية، وقسمها إلى جانبين: إيجابي، وسلبي، نلخصها في ما يأتي:

الآثار الإيجابية:

ـ الجانب السكني: ساعدت الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني (٩٢٣ ـ ١٣٣٤هـ/١٥١٧ ـ ١٩١٥م) على توفير السكن المريح لمختلف مستويات النزلاء من السكان، فخصصت أربطة للعلماء ولطلاب العلم، وأربطة لجنسيات مختلفة، وأربطة للفقراء والمحتاجين، وأربطة للعوائل والمتزوجين، وأربطة خاصة بالسكان، وأربطة خاصة للحجاج القادمين لأداء مناسك الحج.

ـ الجانب العلمي: اهتم واقفو الأربطة بتوفير جوّ مناسب للعلماء وطلاب العلم فوفروا لهم السكن المناسب والأطعمة اللازمة. كما أن بعض هذه الأربطة كان ملتقى العلماء والاستقرار بمكة المكرمة، والتدريس في الحرم، وحلقات العلم التي كانت تقام في الحرم.

التكافل الاجتماعي: وقف الواقفون للأربطة كثيرًا منها للفقراء والمساكين والمحتاجين، وشمل الإماء والعبيد والعتقاء منهم أيضًا .

ـ توزيع الصدقات على الأربطة: اهتم الكثير من مختلف الطبقات والمستويات من أهل الخير والمحسنين بتوزيع بعض أموالهم ومحاصيلهم الزراعية على سكان الأربطة.

ـ الجانب الإداري والتنفيذي: اختلفت مستويات واقفي الأربطة، وتوزعت على شتى وظائفهم من السلاطين والأمراء والوزراء والولاة والتجار والأغنياء والمحسنين وفاعلي الخير. كما اشترط الواقفون شروطًا في نظارة الوقف أن يكونوا من مساعديهم،

أجمل الباحث الآثار السلبية للأربطة التي تمثلت في طمع ضعاف النفوس للاستيلاء عليها، وضمها إلى ممتلكاتهم الخاصة، وكذلك إهمال بعض الأربطة: ما تسبب في خرابها، وكذلك استيلاء بعض القائمين عليها على بعض الصدقات من غلال وحبوب وأموال

ومن يثقون بهم ومن يتصفون بالخصال الحميدة، كالعلم والصلاح والتقوى والأمانة؛ وذلك لضمان استمرارية أربطتهم في أداء وظيفتها الاجتماعية في أحسن شكل، والوقوف على ما يحتاج إليه الوقف من ترميم وعمارة، وما يضر بالرباط.

. الجانب الحضاري والمعماري: وهذا يوفر الكثير من الخدمات للسكان، مثل توفير الماء للساكنين، وتوفير سبل الطبخ، مثل: الفحم. وتوفير الإضاءة، إلى جانب اتساع الأربطة وحجمها وارتفاعها، وعدد الأدوار فيها، وعدد الحجرات والخلوات الخاصة بشيخ الرباط.

. التوزيع الجغرافي للأربطة: توزعت أربطة مكة المكرمة في العهد العثماني في مختلف أحياء مكة المكرمة: مثل حي أجياد، وحي الصفا، وجبل أبي قبيس، والشبيكة، وحي القشاشية، وسوق الليل، والشامية، وجبل هندي، والمسفلة، وكلها توزعت حول المسجد الحرام أو قريبًا منه.

. الآثار السلبية: وقد أجمل الباحث الآثار السلبية للأربطة التي تمثلت في طمع ضعاف النفوس للاستيلاء عليها، وضمها إلى ممتلكاتهم الخاصة، وكذلك إهمال بعض الأربطة؛ مما تسبب في خرابها، وكذلك استيلاء بعض القائمين عليها على بعض الصدقات من غلال وحبوب وأموال، وأخذ المقررات المعنية لسكان الأربطة لحساب شيوخ الأربطة.

مصادر البحث: عرض الباحث لمصادر بحثه ومراجعه في أول بحثه كما أعد لها قائمة مفصلة في نهاية الدراسة وقد قسم هذه المصادر والمراجع إلى قسمين:

. المخطوطات التي توفرت لديه في بحثه وأهمها على سبيل المثال: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لابن فهد، وخبايا الزوايا للعجمي، وتنزيل الرحمات، وإفادة الأنام في أخبار البلد الحرام وغيرها.

. المراجع والمصادر التي قسمها إلى قسمين:

أ. كتب التاريخ: ومن أهمها نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى لابن فهد، ومنائح الكرم للسنجاري، وإتحاف فضلاء الزمن للطبري، والتاريخ القويم للكردي.



د. أحمد زكي يماني

هذا الكتاب يعد أول دراسة علمية تؤرخ للأربطة بمكة المكرمة في العصر العثماني، كانت بياناتها وموضوعاتها خبيئة ومتناثرة بين دفتي الكتب والمصادر والملفات، واستطاع الباحث تجميعها فسد فراغًا في المكتبة العربية والإسلامية يفيد منه طلاب العلم

ب - كتب التراجم: ومن أهمها تراجم الأعيان للبوريني، والمنح الرحمانية وذيله للبكري الصديقي، وخلاصة الأثر للمحبي، ونزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر للحضراوي، وغيرها.

كما عرض الباحث إلى مصادر بحثه الأخرى والمهمة من كتب الرحلات أمثال الرحلة الحجازية البيانية ونماذج الوقفيات والوثائق، وكذلك اللوحات والصور الفوتوغرافية لبعض الأربطة التي ما زالت على عمارتها منذ نشأتها وتأسيسها.

والخلاصة أن هذا الكتاب يعد أول دراسة علمية تؤرخ للأربطة بمكة المكرمة في العصر العثماني، كانت بياناتها وموضوعاتها خبيئة ومتناثرة بين دفتي



د. عباس طاشكندي

لأولياء حلبي، والحج قبل مئة سنة ليفيم ديرفان، وصفحات من تاريخ مكة لسنوك هورخرونيه، وغير ذلك من الكتب الاجتماعية والدوريات والمعجمات اللغوية والجغرافية. ولم ينس الباحث أن يزود بحثه القيم بكثير من الملحقات والوسائل التوضيحية، مثل خرائط الأربطة الأربعة التي وضّح وبيَّن الباحث عليها معظم الأربطة المذكورة. هذا علاوة على الجداول الكتب والمصادر والملفات، وغيرها، واستطاع الباحث تجميعها كالبناء الماهر في بناء شامخ كبير، سد فراغًا في المكتبة العربية والإسلامية يفيد منه الدارسون وطُلاب العلم، ويُعدّ نموذجًا يحتذى للدراسات التاريخية والحضارية المعاصرة. وما قدمناه في هذه الخلاصة ما هو إلا قطرة في بحر ومدخل لدراسة فسيحة جيدة متطورة.

هيمنة الإعلام: الإنجازات المذهلة للدعاية

نايف الضيط

قسم التحرير

نعوم تشومسكي من أكثر الشخصيات الأمريكية شهرة في العالم، فهو صاحب أهم النظريات اللغوية في العصر الحديث، التي تستخدم بعضها في مجال التقنية، ولعل أشهرها نظريته اللغوية «النحو التوليدي أو التحويلي»، وله نظرية «الداخلية».

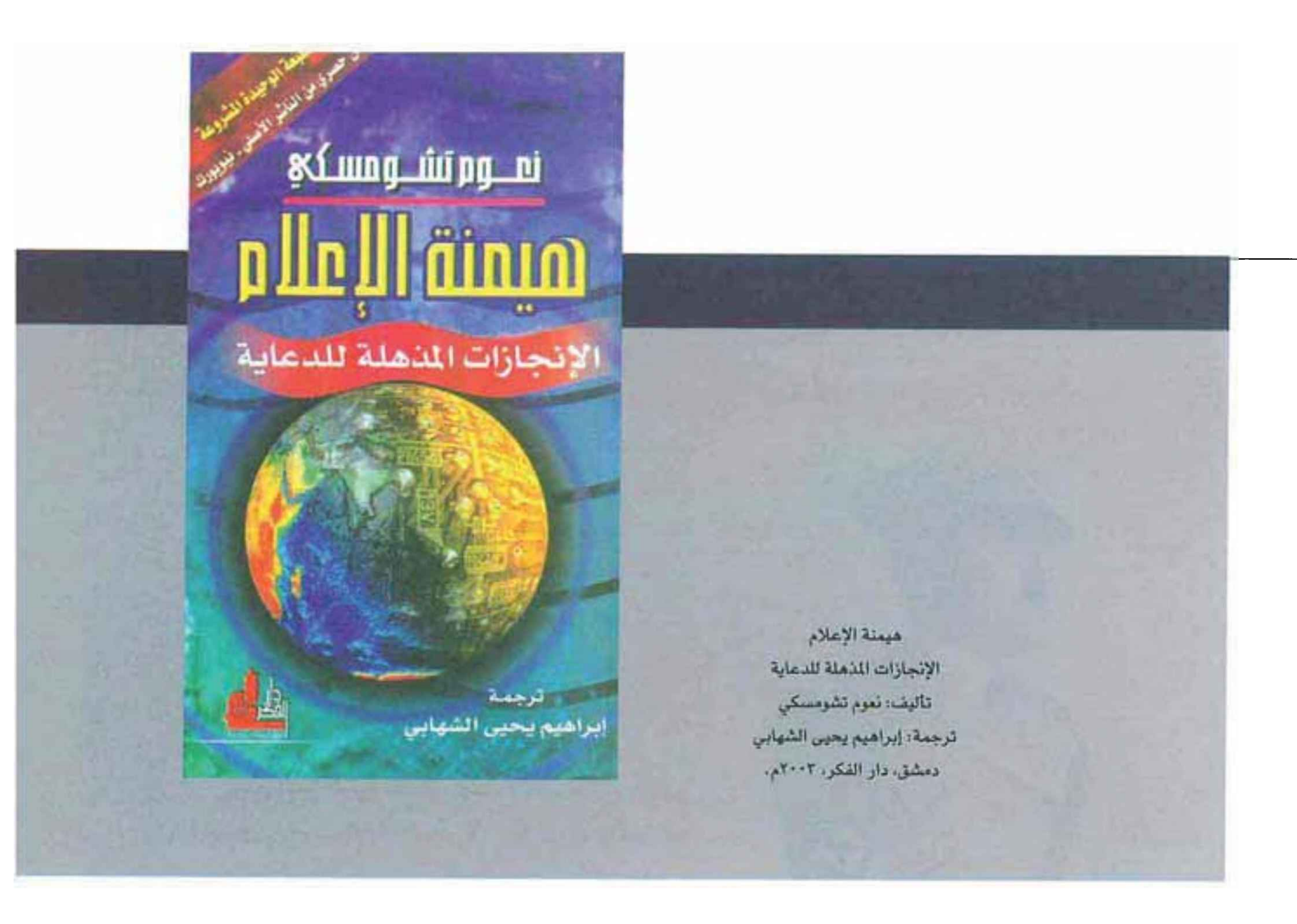
وأول مؤلفاته في اللغويات كتاب «البناء السياقي»، وهو مرجع مهم في علم اللغويات، ومن مؤلفاته الأخرى: «اللغة والعقل»، و«القواعد والتمثيلات»، و«دراسات سيمانطيقية في النحو التوليدي».

ولد تشومسكي عام ١٩٢٨م، وحصل على الدرجة العلمية في اللغويات عام ١٩٥١م من جامعة بنسلفانيا، وكان يشارك في إعداد الشباب اليهودي، وإرسالهم إلى فلسطين عبر منظمة «هاشومير هاتزائير»، بعدها سافر إلى إسرائيل ليعيش فيها، ثم اختلف مع الصهاينة بسبب دعوته إلى دولة ثنائية القومية، ورفضه فكرة الدولة اليهودية الدينية، وعاد إلى أمريكا، وعمل في جامعة هارفارد، ثم انتقل إلى معهد ماساتسوشتس للتكنولوجيا، وهو يعمل فيه حتى الآن.

ووصفته منظمة «بناي بريث» (أبناء العهد)، اليهودية ذات الميول الصهيونية بأنه أشد الأمريكيين عداء لإسرائيل، كما وصفه آخرون بأنه «يهودي يكره ذاته»، وهو مصطلح يطلق على اليهود الذين يعارضون السياسات الإسرائيلية.

امتازت كتابات تشومسكي بالصراحة في آرائه؛ مما جعله يتعرض لضغوط من الطبقات السياسية، والمنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية.

وله مؤلفات، مثل: «مثلث الشؤم»، و«إعاقة الديمقراطية»، و«النظم العالمية قديمها وحديثها»،



هيمنة الإعلام
الإنجازات المذهلة للدعاية
تأليف: نعوم تشومسكي
ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي
دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٣م.

و«قراصنة وأباطرة»، و«الدول المارقة»، و«حكم القوة في الشؤون الدولية»، و«الحادي عشر من أيلول الإرهاب والإرهاب المضاد»، و«القوة والإرهاب جذورهما في عمق الثقافة الأمريكية»، و«النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة»، و«الحادي عشر من أيلول والعولمة»، و«الحرب الأمريكية على العراق»، و«سنة ٥٠١ الغزو مستمر»، و«ماذا يريد العم سام؟».

سلام بدون انتصار

وفي هذا الكتاب يتصدى تشومسكي، الذي يعد من أبرز منتقدي السياسة الأمريكية، لهيمنة الإعلام الأمريكي، التي تنجح في صرف أنظار الناس عن المشكلات، وفي طمس الحقائق، واختلاق البدائل، وتزيينها في أعين الناس.

ويؤكد أن أول عملية دعاية حكومية كانت في عهد الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون، حينما انتخب عام ١٩١٦م، تحت عنوان «سلام بدون انتصار»، وكان الشعب الأمريكي نزاعًا إلى الهدوء في الحرب العالمية الأولى، ولا يرى سببًا في التورط في حرب نووية، وكانت إدارة ويلسون التزمت الحرب، فأسست لجنة دعاية حكومية باسم «كريل»، ونجحت هذه اللجنة في ستة أشهر في أن تقلب الشعب الهادئ إلى شعب هستيري يتاجر بالحروب، ويروج لها، ويريد تدمير كل شيء ألماني، وتمزيق ألمانيا. واستخدمت التقنيات لإثارة الرعب الأحمر الهستيري، ومن الوسائل المستخدمة اختلاق قدر كبير من الأعمال الوحشية التي ارتكبها الألمان، ومن صور الأطفال البلجيكيين الذين مزقت أذرعتهم، ومن كل الأمور المرعبة، وقد

اختلقت وزارة الدعاية البريطانية آنذاك هذه الأمور، وتهدف إلى توجيه تفكير معظم العالم، والشعب إلى الهيمنة على تفكير عدد من المفكرين في المجتمع الأمريكي، الذين سينشرون الدعاية، فدعاية الدولة عندما تدعمها الطبقات المثقفة، وعندما لا يسمح بالانحراف عنها، تحقق نتائج مهمة، وأول من توصل إليها هتلر، ولا تزال تمارس حتى الآن.

صناع القبول

ومن أبرز الذين تأثروا بهذه النجاحات وولتر ليبمان ـ عميد الصحفيين الأمريكيين، إذ يقول: إنه بالإمكان استخدام ما يسمى بـ (الثورة في الديمقراطية) لصنع الإجماع؛ أي: الحصول على موافقة الشعب على أمور لا يريدها، ويرى أن المصالح العامة تغيب عن الرأي العام كلياً، ولا يمكن أن يفهمها أو يتعامل معها سوى طبقة المتخصصين من المسؤولين الأذكياء جدًا، الذين يستطيعون تحديد معالم الأمور، وهذه النظرية مشابهة للمفهوم اللينيني القائل: إن طليعة المفكرين الثوريين يستولون على سلطة الدولة باستخدام قوات شعبية توصلهم إلى السلطة، ومن ثم يدفعون بالجماهير الغبية نحو مستقبل، هم أغبى وأعجز من أن يتصوروه، وحسب رأي ليبمان، فإن الديمقراطية تتضمن وظيفتين: الوظيفة التنفيذية التي يقوم بها مسؤولون من طبقة متخصصة؛ أي: أنهم يفكرون، ويخططون، ويفهمون المصالح العامة.

ووظيفة الرعاع: وهي مشاهدة ما يجري دون المشاركة فيه، وتقتصر وظيفته على انتخاب الأعضاء في الطبقة المتخصصة، وتسمى الثورة الجديدة في فن الديمقراطية «صناعة القبول»، ولا بد من تقسيم وسائل الإعلام، والمدرسة، والثقافة الشعبية، فتقوم



هتلر

الطبقة السياسية، وصناع القرار بتزويد الرعاع بإحساس ما بالواقع، يمكن تحمله، ولا بد من غرس المعتقدات الملائمة في عقولهم.

العقلانية والأوهام

ويرى رينهولد نيبور ـ عالم اللاهوت البارز، والناقد السياسي ـ «أن العقلانية مهارة ضيقة


وولتر ليبمان

ومحدودة جدًا، إذ لا يتمتع بها سوى قلة قليلة من الناس: فمعظم الناس توجههم النوازع والعواطف، والذين يتمتعون منا بالعقلانية عليهم أن يبتدعوا أوهامًا ضرورية، وأن يفرطوا في تبسيط الأمور تبسيطًا قويًا وعاطفيًا من أجل إبقاء البسطاء السذج ضمن السياق تقريبًا»، وأصبح ذلك جزءًا جوهرياً من علم السياسة المعاصر.

وفي فصل بعنوان «العلاقات العامة»، يوضح المؤلف أن الولايات المتحدة تعد رائدة صناعة العلاقات العامة، لالتزامها «السيطرة على الرأي العام»، كما قال زعماء هذه الصناعة، إذ ينفق عليها حتى الآن نحو مليار دولار سنويًا، وهمها الوحيد هو السيطرة على الرأي العام، ففي عام ١٩٣٧م أضرب عدد كبير من عمال الفولاذ في بنسلفانيا، وقد ابرم رجال الأعمال وسيلة الدعاية الذاتية، إذا سطعت فكرة ابتكار وسائل لتحريض الشعب ضد الاضطرابات، وإظهار المضربين كمشاغبين يسببون الأذى والضرر للشعب، وللمصالح العامة، فالمصالح العامة هي «مصالح رجال الأعمال، والعمال، وربات البيوت»، فهؤلاء المضربون يسعون إلى شق الوحدة الوطنية، وخلق المشكلات، وانتهاك الولاء لأمريكا (الأمريكانية)، وقد نجح هذا الأسلوب وسمّي: (صيغة وادي موهوك)، التي طُبّقت مراراً وتكراراً لتحطيم الاضطرابات وتفكيكها.

فالمسؤولون عن صناعة العلاقات العامة يعملون بجد، ويحاولون غرس القيم التي يؤمنون بها، ولديهم مفهوم عما ينبغي أن تكون عليه الديمقراطية، أن تكون نظاماً تتدرب فيه طبقة المتخصصين على خدمة السادة الذين يملكون الشعب، أما بقية الشعب فينبغي تحييدهم عن أي أشكال التنظيم؛ لأن التنظيم يخلق المشكلات، وما عليهم إلا أن يجلسوا وحيدين أمام التلفاز، ويغرسوا في أذهانهم الرسائل القائلة: «القيمة الوحيدة في الحياة هي أن يمتلك المرء مزيدًا من السلع، ويحيا كما تحيا أسرة الطبقة المتوسطة التي يشاهدها المرء، وأن يتمتع بقيم جميلة، مثل: الانسجام والأمريكانية، فذلك كل ما في الحياة».

وقد أنشئ ادوارد بيرنز - أحد أعضاء لجنة «كريل» - ما أسماه «هندسة القبول»، التي وصفها

بأنها جوهر الديمقراطية، فالقادرون على «هندسة القبول» هم الذين يملكون الموارد والسلطة لإنجاز ذلك، إنه مجتمع رجال الأعمال، الذين تعمل أنت لمصالحهم.

هندسة الرأي

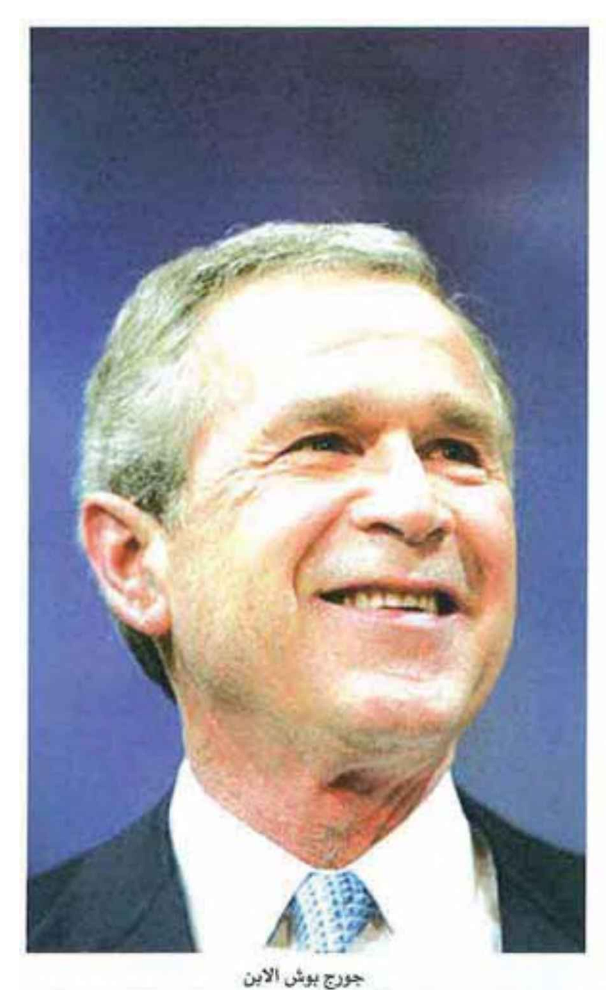
ويوضح تشومسكي في فصل بعنوان «هندسة الرأي» كيف أدارت الولايات المتحدة حملة شركة الفواكه المتحدة عام ١٩٥٤م، عندما تحركت الحكومة للإطاحة بحكومة غواتيمالا، وفي برامج ريفان كان أغلب المقترعين عام ١٩٨٤م يأملون ألاّ توضع سياسة ريفان موضع التنفيذ، فإذا وضع ريفان برنامجاً معيناً مثل برامج التسلح، وتقليص الإنفاق الاجتماعي، فإن الشعب يعارض، ولكن بما أن الشعب مهمش ومشتت، ولا يملك وسيلة لتنظيم عواطفه، أو حتى لمعرفة أن الآخرين يملكون هذه العواطف، فإن الذين قالوا: إنهم يفضلون الإنفاق الاجتماعي على الإنفاق العسكري، والذين ثبتوا ذلك في استفتاءات، كما فعلت أغلبية الشعب، كانوا يفترضون أنهم وحدهم الذين تدور في رؤوسهم تلك الفكرة، فهم كما يسمعونها من أي شخص، وليس هناك من يفترض أنه يفكر كذلك، ولهذا عندما تفكر في ذلك، وتثبت رأيك في استفتاء تظن أنك غيرعادي، نظرتك غير عادية، وبما أنه ما من وسيلة لكي تلتقي بالآخرين، الذين شاركوك في الرأي، وساعدوك على التعبير، فإنك تشعر بأنك شاذ، لذلك تبقى متنحيًا لا تولي اهتماماً بما يجري، بل تنظر إلى شيء آخر كالمباراة.

وفي عام ١٩٧٠م أطلق المفكر الريفاني نورمان رودهوريتز مفهوم «تناذر فيتنام»، وتعني هذه الكلمة: «نهي مرضيّ عن استخدام القوة العسكرية»، إذ كان جزء كبير من الشعب يشعر بضرورة الكف عن استخدام العنف، فلم يفهم الشعب لماذا نجوب العالم، ونعذب الناس، ونقتلهم، ونمشط أراضيهم بالقصف. من الخطير أن تهزم المشاعر المرضية للشعب، كما فهم غوبلر؛ لأن ذلك يضع حدًا للمغامرات الخارجية. لذلك لا بد من غرس فكرة «احترام القيم العسكرية» في نفوس الشعب، كما قالت صحيفة «واشنطن بوست» بافتخار في أثناء هستيريا حرب الخليج: ذلك امر مهم، وإذا ما أريد خلق مجتمع عنيف يستخدم القوة في جميع أنحاء العالم لتحقيق غايات نخبته المحلية؛ فلا بد من أن يكون هنا إعجاب مناسب بالقيم العسكرية، وإزالة هذه المشاعر المرضية ضد استخدام القوة هذا «تناذر فيتنام»، ولا بد من التغلب عليه.

الروس قادمون

وعن المزاعم التي يقدمها الإعلام بوصفها حقائق، تكشف دراسة أن معظم المشاهدين يقدرون إصابات فيتنام بنحو مئة ألف، أما الرقم الرسمي فهو مليونان، في حين أن الرقم الأساسي ٤ ملايين. ومثل موضوع الشرق الأوسط والإرهاب الدولي، وأمريكا الوسطى فإن صورة العالم المعروضة على الشعب هي أبعد ما يكون عن الحقيقة، ويستخدم الإعلام في صرف

أطلق المفكر الريفاني نورمان رودهوريتز مفهوم "تناذر فيتنام". وتعني هذه الكلمة: "نهي مرضيّ عن استخدام القوة العسكرية". إذ كان جزء كبير من الشعب يشعر بضرورة الكف عن استخدام العنف. فلم يفهم الشعب لماذا نجوب العالم، ونعذب الناس، ونقتلهم؟



جورج بوش الابن

يتصدى تشومسكي، الذي يعد من أبرز منتقدي السياسة الأمريكية، لهيمنة الإعلام الأمريكي، التي تنجح في صرف أنظار الناس عن المشكلات، وفي طمس الحقائق، واختلاق البدائل، وتزيينها في أعين الناس

الشعب عن مشكلاته الداخلية، مثل: البطالة والتشرد، وتعاظم السكان، والفقر، والدين، ولا بد من إثاره الخوف في نفوسهم من الأعداء، وفي السنوات الماضية كان هناك عدو جاهز هو «الروس»، فكانت الدعاية: «الروس قادمون»، ثم تحولت إلى الإرهابيين الدوليين، وتجّار المخدرات، والعرب المجانين، وصدام حسين الهتلر الجديد، بأنهم سيغزون العالم ويحتلونه، ولا بد من عرض هؤلاء الأعداء الواحد تلو الآخر لإبقاء الشعب خائفا مرتعبًا، يهيمن عليه الجبن، ويخشى السفر، ويظل جائماً منكمشاً.

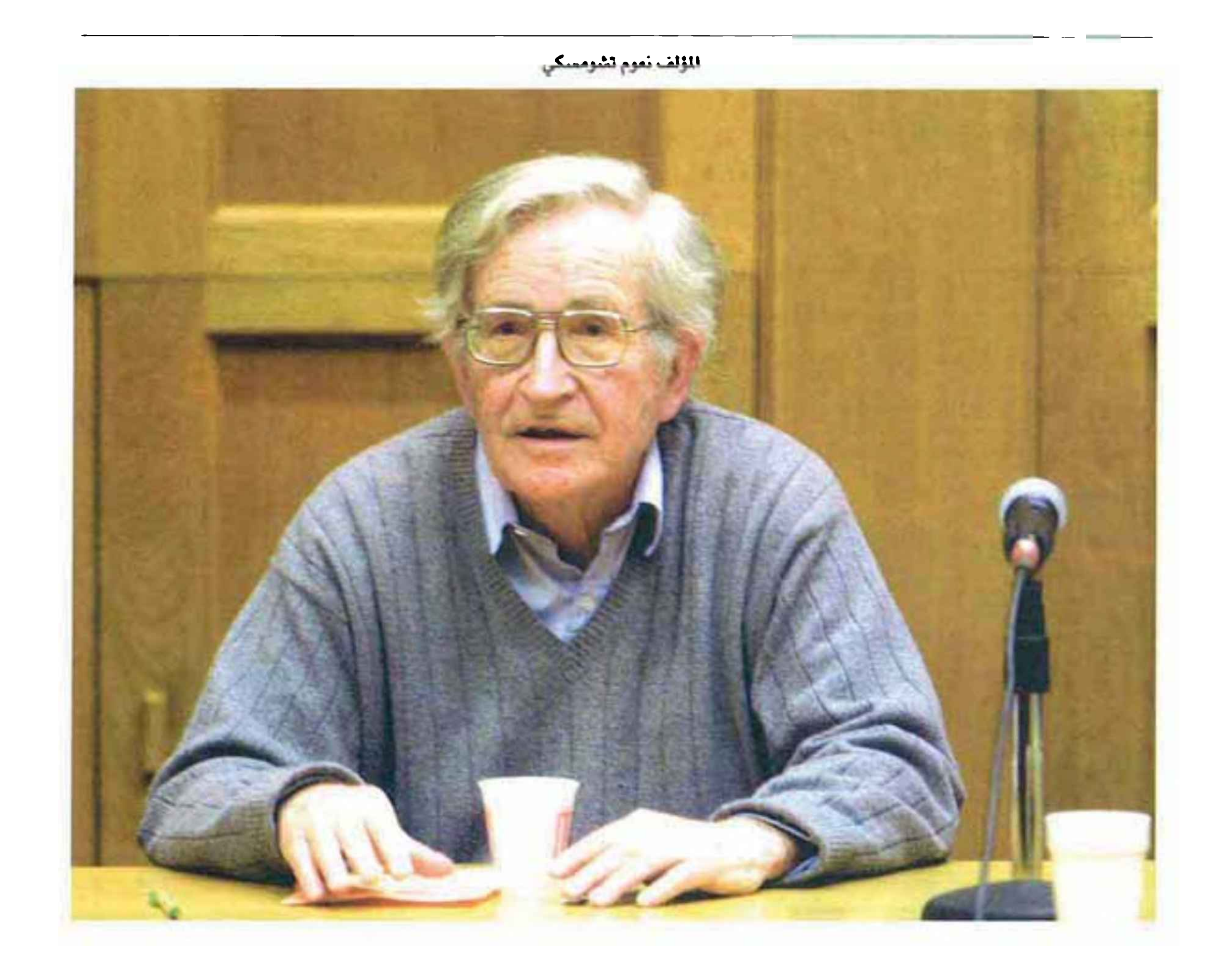
وتقوم وسائل الإعلام بالإدراك الانتقائي، فقد أظهرت الصحف الأمريكية الكاتب الكوبي فالاداريز، الذي أطلق سراحه، وكتب مذكرات، وقامت الصحف بإبراز حديثه عن السجون والتعذيب في السجون الكوبية. وقال الرئيس ريغان عنه: إنه الرجل الشجاع لتحمله أهوال الطاغية الكوبي، ثم عيّن ممثلاً لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، ثم رئيساً. في حين لم تنشر وسائل الإعلام أن مجموعة المدافعين عن حقوق الإنسان السلفادوريين الذين أرسلوا إلى السجن، ووقعوا شهادات من ٤٣٠ سجينًا تحت القسم بمصداقية ما يقولون، والعذاب الذي تعرضوا له على يد ميجور أمريكي شمالي بالزي الرسمي، وقد رفضت الصحافة المحلية الأمريكية تغطيته.

ويركز المؤلف في حرب الخليج، وتغطية الإعلام الأمريكي، والانتقائية التي تمارسها وسائل الإعلام. وقال إن ٢٠ ألف قتيل راح ضحية غزو إسرائيل للبنان عدة مرات، وقصفها بيروت، ودمرت مستشفيات وجرت عمليات إرهاب ضد اللبنانيين، وعمليات نهب وسلب، ولم نر شيئًا في الإعلام، ولم نسمع أحدًا يطالب بضرورة قصف تل أبيب، مع أن ذلك احتلال وانتهاكات لحقوق الإنسان.

ويبيّن تشومسكي أن الحرب على الإرهاب لم تعلن في الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠١م، بل أعيد إعلانها باستخدام منطق الإعلان الأول نفسه قبل عشرين عاماً، إذ بدأت في عهد ريغان، ويقول: إن المذهل أن الأشخاص أنفسهم ما زالوا في موقع القيادة، فدونالد رامسفيلد يدير الجانب العسكري في المرحلة الثانية للحرب على الإرهاب، وكان ذلك في عام١٩٨٥م. أما جون نيغروبونت، فكان يشرف على

يكشف المؤلف ازدواجية المعايير في ما يسمى "بالحرب على الإرهاب". فالهجوم الأمريكي ضد نيكاراغوا كان أشد وحشية من هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وراح ضحيته عشرات الآلاف من القتلى، ودمرت البلاد، ومع ذلك لا يسمى إرهابًا. كذلك غزو لبنان، وقتل نحو ثمانية عشر ألف شخص

المؤلف نعوم تشومسكي



> المسؤولون عن صناعة العلاقات العامة يعملون بجد، ويحاولون غرس القيم التي يؤمنون بها، ولديهم مفهوم عما ينبغي أن تكون عليه الديمقراطية، أن تكون نظاماً تتدرب فيه طبقة المتخصصين على خدمة السادة الذين يملكون الشعب. أما بقية الشعب فينبغي تحييدهم عن أي أشكال التنظيم

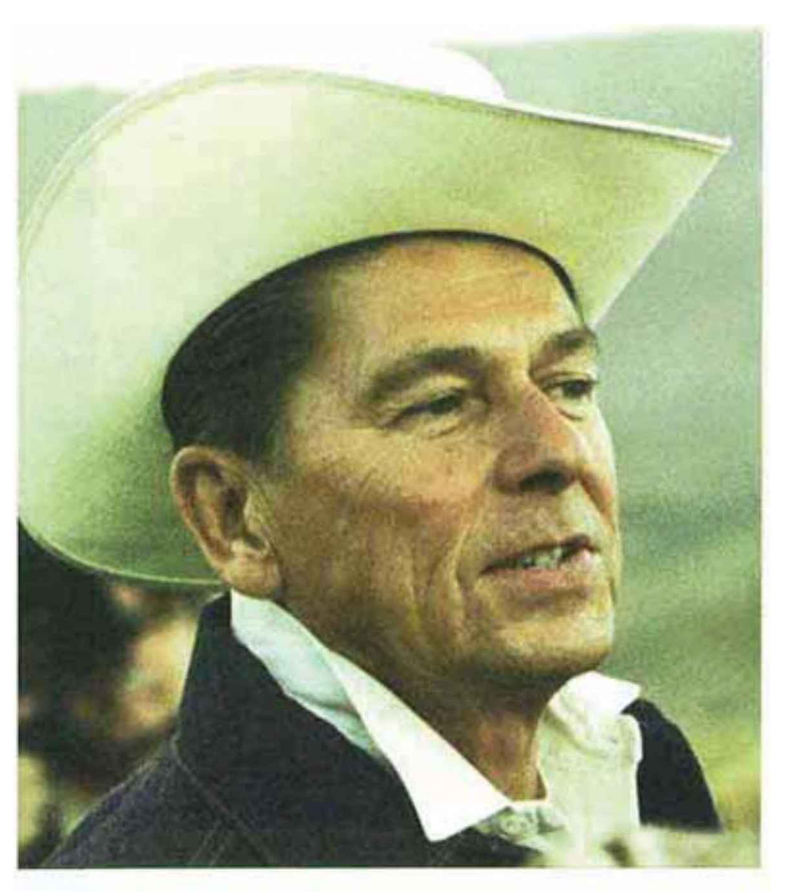
عمليات الولايات المتحدة في هندوراس التي كانت القاعدة الرئيسة لحربها على الإرهاب في المرحلة الأولى، وعين سفيراً للولايات المتحدة في العراق، ثم رئيساً للاستخبارات القومية.

ويكشف المؤلف ازدواجية المعايير في ما يسمى «بالحرب على الإرهاب»، فالهجوم الأمريكي ضد نيكاراغوا كان أشد وحشية من هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وراح ضحيته عشرات الآلاف من القتلى، ودمرت البلاد، ومع ذلك لا يسمى إرهابًا، كذلك غزو لبنان، وقتل نحو ثمانية عشر ألف شخص، واحتلال جنوب البلاد لنحو عشرين عاماً لم يسجل على أنه إرهاب؛ لأن الولايات المتحدة كانت تدعمه وتؤيده، كذلك الأعمال الوحشية التي تقوم بها إسرائيل في الأراضي المحتلة، ومهاجمة الفلسطينيين العزل بالصواريخ والمروحيات ذات الصناعة الأمريكية يسمى دفاعًا عن النفس.

وأخيرًا إننا مطالبون في العالم العربي والإسلامي بفهم الأهداف الحقيقية وراء الحملات الإعلامية التي تشن ضد كل ما هو إسلامي، وبفهم دور الإعلام الأمريكي وطرائقه وآلياته، الذي يعدّ جزءًا أساسيًا من الهيمنة الأمريكية.

وليس أدل على ذلك مما قامت به وسائل الإعلام الأمريكية في الدعاية للحرب على العراق، والتضليل، وخلق الانطباع بأن العراق يقف خلف هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ويمتلك مخزوناً للأسلحة النووية، وساعدت على ذلك شركات العلاقات العامة التي تدير جزءًا كبيرًا من السياسة الأمريكية، وأدت دورًا مهمًا في حرب العراق.


رونالد ريغان





رحيل آخر الموسوعيين العرب
د. حسين مجيب المصري

صلاح حسن رشيد
القاهرة ـ مصر

«سيمفونية من العبقرية والذكاء الوقّاد، والموسوعية، والتفوق العلمي، يقابلها، على النقيض، دراما الأحزان المتشحة بسواد أيام العذاب، والنسيان والمعاناة»!. هذا هو ملخص حياة فقيد الأمة العربية، والمدافع الأول عن العروبة والإسلام، الدكتور حسين مجيب المصري (١٩١٦ ـ ٢٠٠٤م) عميد الأدب الإسلامي المقارن، والدراسات الشرقية في مصر والوطن العربي، والأستاذ بكليات الآداب والألسن والبنات بجامعة عين شمس، واللغات والترجمة والدراسات الإنسانية، والبنات بجامعة الأزهر.

قضى عمره الطويل، في مناغاة المعرفة، والزواج بالعلم، أنّى استطاع إلى ذلك سبيلاً، والانعزال عن الأهل والمسامرات واللهو، قابعًا في صومعته، ومحراب علمه؛ ليدشن للأجيال الحالية والتالية، صرح التراث العربي والإسلامي عبر اللغات: العربية، والفارسية، والتركية، والأردية. فهو جاحظ القرن العشرين، والسيوطي الجديد، في نبوغه واتساع محصوله الثقافي والفكري والأدبي!. وإجادته التامة لعشر لغات

وآداب مختلفة، شرقية وغربية، هي: العربية، والفارسية، والتركية والأردية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، واللاتينية.

حلقة اتصال حضارية

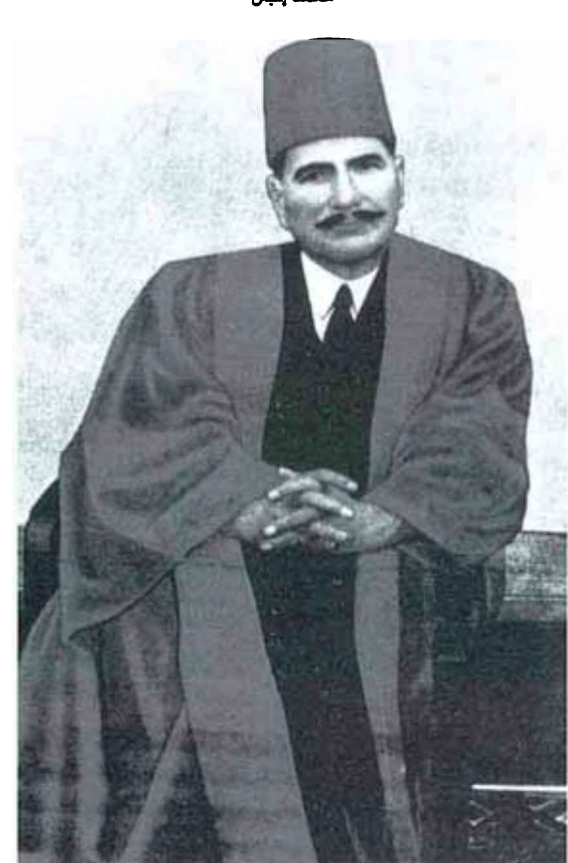
ولذلك كان اطلاعه وتبحره في آداب الأمم المختلفة، شرقًا وغربًا، مدعاة لإحداث نوع من الحوار الحضاري المثمر والفاعل، الذي يظهر بجلاء عبر مؤلفاته التسعين، التي يدعو فيها إلى الوحدة الثقافية بين العرب والمسلمين، بعد أن استحال ذلك على الصعيد السياسي؛ وذلك للمكونات الضخمة الجامعة فيما بيننا، ثقافيًا، وتاريخيًا، ودينيًا، وحضاريًا. كما أن الدكتور حسين مجيب المصري دعا أيضًا إلى الانفتاح على الآخر، والإفادة من ثقافته، وإمداده بروائع إبداعنا وفكرنا، من خلال الأدب المقارن، الذي هو لُب التلاقح، وأساس التواصل، وركيزة الالتقاء الحضاري بين الشرق والغرب.

من هنا، فإن مكانة ما تركه حسين مجيب المصري

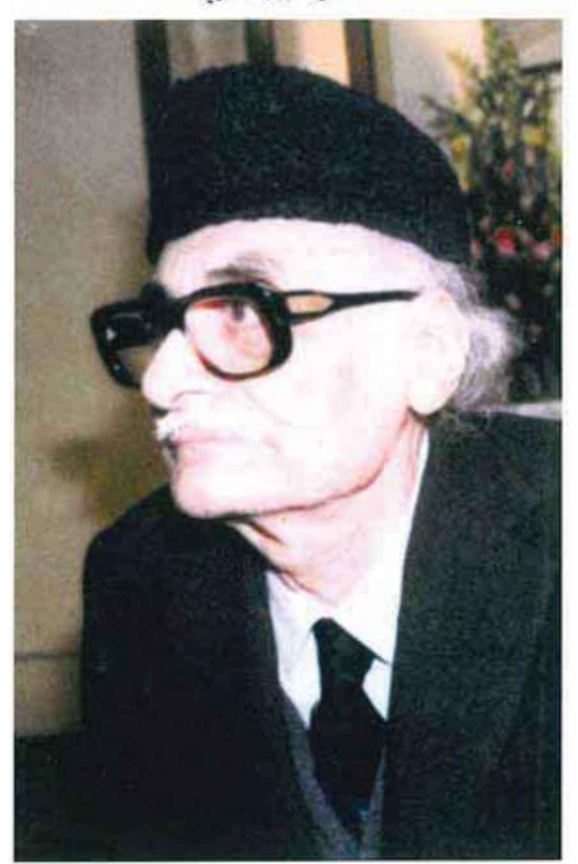
وقيمته تتعاظمان كلما طالعنا صفحته البهية، وسيرته العلمية، وعرفنا مقدار ما أسداه إلينا عندما بنى جسور التواصل بين آداب الشعوب الإسلامية - وعرَّفنا بإبداعات مجهولة، تمتّ إلينا بوشائج من الحنين الروحي، عبر مقارناته الفذة. كذلك تبرز كتاباته عندما أكدّ رحابة الثقافة الإنسانية، التي لا تعرف وطنًا، ولا جنسًا، ولا لونًا، ولكنها تنهل من هنا وهناك، وهو ما أنجزه المصري

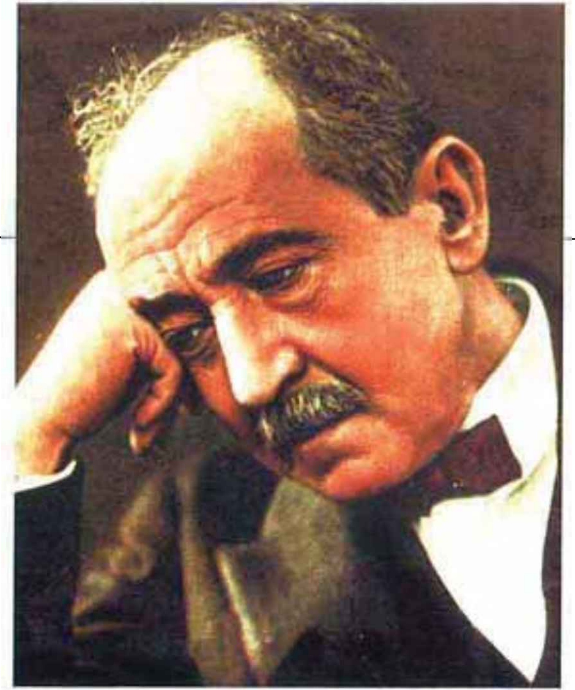
كان منسيًا يقبع في غياهب المجهول والإهمال في البيئة العربية، في حين أنه وجد الحفاوة والرعاية من الدول الأخرى: فقد منحه الرئيس الباكستاني ضياء الحق أعلى وسام، وأعطاه الرئيس التركي وسام الجدارة، ومنحته مؤسسة رضا خان بجنوب إفريقية وسامها

محمد إقبال



د. حسين مجيب المصري





احمد شوقي

عندما اتحفنا في مؤلفاته وإبداعه الذي استقى من الآداب الأوربية والشرقية، ما يعينه على إنجاز مشروعه الفكري الرائد؛ فكانت معرفته بهذا الكم الضخم من الثقافات والآداب، دليلاً على قدرة حضارتنا على التحاور بقوة واقتدار مع الآخر، تأثرًا وتأثيرًا.

صمام الأمان

من هذا المنطق، تأتّى لهذا الرجل أن يكون صمام الأمان، وحجر الزاوية، والترس المصوبة في وجه العولمة القبيحة بشرورها وأوزارها، والحداثة بأمراضها، والصهيونية العنصرية الإرهابية؛ فهو لم يترك شاردة يمكن أن يصل إليها قلمه وعلمه من تراثنا الشرقي، إلا ولفت أنظارنا إليه، وأرشدنا إلى طريقه.

والدليل على ذلك أنه أرسى معالم وقواعد لمدرسة فكرية وثقافية كشف خلالها الخبيء من درر العرب والمسلمين ونفائسهم وجواهرهم، وهو ما لم يتوصل إليه قلم عالم آخر في ثقافتنا الشرقية خلال القرن الأخير!. ولهذا فإن مدرسته العامرة امتدت شرقًا وغربًا في: مصر، والسعودية، والكويت، والعراق، والأردن، والجزائر، والمغرب، وباكستان، وتركيا، وإيران، والمجر، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، ورومانيا، وإسبانيا، والبرازيل. كما أن تلاميذه ومريديه موجودون في أكثر من خمس وعشرين جامعة عربية وعالمية!.

بداية العبقرية

ولد الدكتور المصري في ١٩ فبراير عام ١٩١٦م، في قصر جده محمد ثاقب باشا - وزير الأشغال في عهد الخديوي إسماعيل - بشبرا في القاهرة.. وكان له مُربية نمساوية علمته الفرنسية والألمانية، وهو طفل صغير. واتفق أن كان أمام قصره، دكان لحلاّق لبناني، لم يدرس في مدرسة، وكان يقول «لم أدرس نحوًا ولا صرفًا» إلا أنه كان يحب الشعر والأدب حبًا جمًا، وهو ما أثّر في الطفل حسين، وجعله يحفظ مئات الأبيات قبل أن يلتحق بالمدرسة!. ومن حينها جعل يطالع كتب الأدب قديمها وحديثها؛ فقرأ لجبران خليل جبران، ومي زيادة، ومصطفى صادق الرافعي، وحفظ كثيرًا من الشعر العربي قديمه وحديثه؛ وبذلك أدركته حرفة الأدب!.

ثم انتقل حسين إلى المدرسة الثانوية «السعيدية» وكان ينال أعلى الدرجات النهائية في الإنشاء، حتى إن وكيل المدرسة استدعاه ذات يوم ليقرأ على طلاب المدرسة أحد موضوعاته الإنشائية؛ لأنه كان رفيع المستوى! كما استدعاه الناظر، وأشاد به وبوالده الذي رحل وهو ما زال في المهد؛ لأنه كان عميدًا لمدرسة دار العلوم في عام ١٩١٩م قبل أن تصبح كلية. وكان حسين مجيب المصري.. في هذه الأثناء يجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية إلى جانب العربية، كما كان ينظم الشعر بالفرنسية، وعكف على قراءة أمّات كتب الأدب واللغة، مثل: الأمالي، والعقد الفريد، والأغاني.

ومن مستطرف ما وقع له، وهو في السنة الأولى من تعليمه الثانوي، أن مدرس الإنجليزية، وكان مصريًا،

طلب إلى تلاميذه أن يكتبوا بالإنجليزية رحلة متخيلة إلى كوكب المريخ. وكتب حسين موضوعه، واطلع عليه المدرس؛ فأعجب به الإعجاب كله، وقال له: سوف تكون أديبًا عظيمًا، ذا شأن في مقبل الأيام»!. وهو ما تحقق بالفعل للدكتور المصري، ولكن بعد سنوات!.

وفي هذه الفترة؛ أي: في التعليم الثانوي، توفر حسين مجيب المصري على قراءة كتب الأدب العربي والفرنسي والإنجليزي. واتفق أن وجد القدوة في أديب مصر والعروبة الكبير «الدكاترة»: زكي مبارك؛ وهذا ما شحذ همته في الرغبة في القراءة، وحرك رغبته في أن يكون موسوعيًا!. فهو كان يصل الليل بالنهار في المطالعة والكتابة والقراءة. كما ازداد ولوعًا بشراء الكتب؛ فقد كان يتردد على مكتبة الجامعة بشارع محمد علي؛ ليشتري منها كل قديم وجديد من الكتب.

وفي جامعة فؤاد الأول «القاهرة» الآن، درس في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية. وأظهر عظيم الحفاوة بتحصيل الفارسية والتركية والأوردية، وجعل يقرأ وحده فيهما كتبًا وصحفًا ومجلات، حريصًا كل الحرص على المزيد، فاتسع أفقه، وعرف ما لم يعرفه زملاؤه!.

وعندما كان يدرس الألمانية رافقه الروائي نجيب محفوظ عدة شهور، لكنه لم يستمر؛ لأنه اتجه ناحية الرواية والقصة بدلاً من الدراسات الأكاديمية الجادة!.

وفي أثناء دراسته في الجامعة في العشرينيات، وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، درس الدكتور المصري اللغات الروسية والإيطالية واللاتينية التي أجادها نطقًا وتأليفًا، وقرأ فيها عيون الشعر والمسرح والقصة والفلسفة والتاريخ والحضارة بهذه اللغات.

عاصفة الحرب العالمية!

ثم عقد العزم على الرحيل إلى أوربا بعد أن أنهى دراسته الجامعية بامتياز؛ لينال درجة الدكتوراه من جامعة بال بسويسرا عام ١٩٣٩م، لكن قيام الحرب العالمية حال دون ذلك، فأكمل دراسته في معهد الدراسات الشرقية بالقاهرة، ومنه نال الماجستير، ثم الدكتوراه عام ١٩٥٥م عن «فضولي البغدادي.. أمير الشعر التركي القديم» دراسة في الأدب الإسلامي المقارن. وهو أول عربي ينال الدكتوراه في الأدب التركي.

مؤلفاته وإبداعاته

طوال حياته كان غزير الإنتاج، وافر المؤلفات، حتى في أحلك لحظات حياته، عندما فقد بصره منذ خمسة عشر عامًا، ورفضت جامعة عين شمس أن تعالجه على نفقتها، وتدهورت أحواله الصحية والمعيشية.. كان المصري مواصلاً للتأليف والكتابة؛ لدرجة أنه نشر خمسة وأربعين كتابًا نفيسًا خلال فترة عماه!.

ومن مؤلفاته: كتاب فارسيات وتركيات الصادر عام ١٩٤٨م، وتاريخ الأدب التركي عام ١٩٥١م، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، وكربلاء بين شعراء الشعوب الإسلامية، وفي الأدب الشعبي الإسلامي المقارن،

> من حسنات الدكتور المصري أنه كان يستقبل تلاميذه ومريديه من الباحثين، من طلبة الماجستير والدكتوراه في منزله، من أقصى صعيد مصر حتى الإسكندرية؛ طلبًا للنصيحة والتوجيه وأخذ رأيه أو حتى المساعدة على إعداد الأبحاث والرسائل

وترجماته لجميع أشعار شاعر الإسلام وفيلسوفه محمد إقبال عن الأردية والفارسية، كما أنه أخرج عنه أحد عشر كتابًا منها: إقبال والقرآن، وإقبال والعالم العربي، وإقبال بين المصلحين الإسلاميين، والأندلس بين شوقي وإقبال، وترجمته لديوان المولد الشريف لسليمان شلبي التركي، والإسلام بين مد وجزر لألطاف حالي الهندي، والأدب الفارسي القديم ترجمة عن الألمانية، وصلات بين العرب والفرس والترك، ومصر عبر التاريخ، والأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية ترجمة عن الإنجليزية، وبين الأدب العربي والفارسي والتركي دراسة في الأدب الإسلامي المقارن، ومصر في الشعر التركي والفارسي والعربي، والأسطورة بين الأدب العربي والفارسي والتركي، ومعجم الدولة العثمانية، والمعجم العربي الفارسي الجامع، والمرأة في الشعر العربي والفارسي والتركي دراسة في الأدب الإسلامي المقارن، والقدس الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية، وأدب الفرس في حضارة الإسلام، وأثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية، والفلاَّح في الشعر العربي والفارسي والتركي، والمنظومة الإسلامية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم

> قضى عمره الطويل في مناغاة المعرفة، والزواج بالعلم، أنَّى استطاع إلى ذلك سبيلاً، والانعزال عن الأهل والمسامرات واللهو، قابعًا في صومعته، ومحراب علمه؛ ليدشن للأجيال الحالية والتالية، صرح التراث العربي والإسلامي عبر اللغات

لأحمد رضا خان، وصفوة المديح في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وآل البيت والصحابة والأولياء لرضا خان، وبين والد وولده في العربية والفارسية والتركية والأوردية، وترجمته الدقيقة لموسوعة الرحالة التركي أيوب صبري باشا بعنوان «مرآة الحرمين الشريفين: مكة والمدينة وجزيرة العرب» في خمسة مجلدات، وله تحت الطبع كتاب الرحلة إلى مصر للرحالة التركي أوليا شلبي، وله ستة دواوين شعرية بالعربية، وديوان بالفارسي ترجمه إلى العربية وآخر تركي ترجمه إلى الشعر العربي الموزون المقفى، وقصائد كثيرة بالفرنسية.

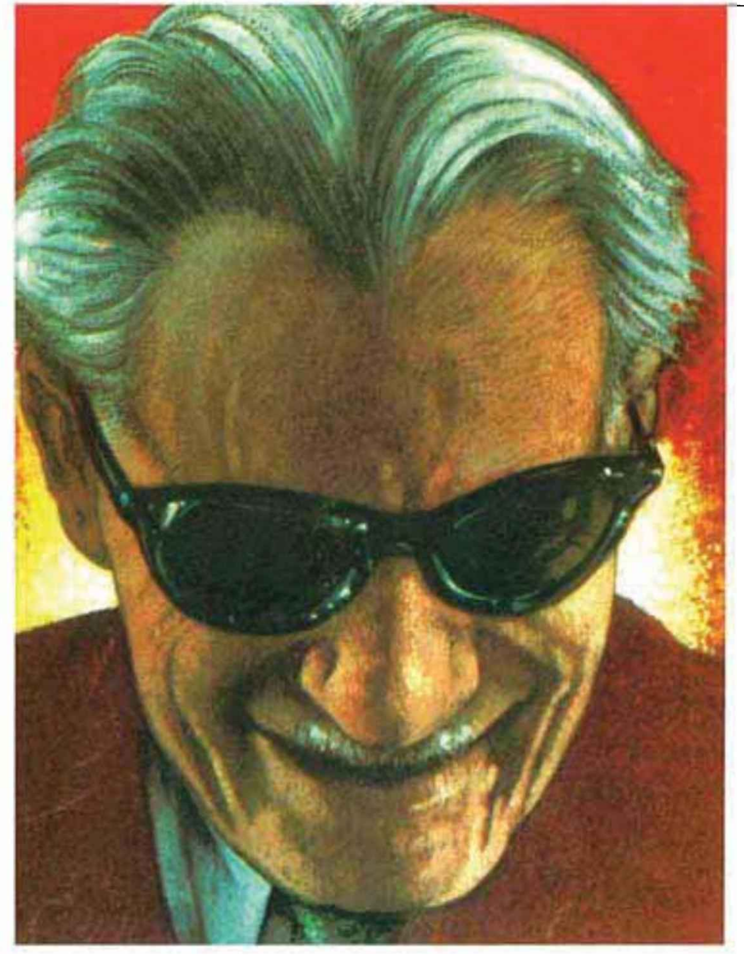
الجوائز والتكريمات

ومما يُؤسى له أن الدكتور حسين مجيب المصري كان منسيًا يقبع في غياهب المجهول والإهمال في البيئة العربية، ولم ينل أية جائزة مصرية ولا عربية.. في حين أنه وجد الحفاوة والرعاية من الدول الأخرى؛ فقد منحه الرئيس الباكستاني ضياء الحق عام ١٩٨٨م أعلى وسام، وأعطاه الرئيس التركي وسام الجدارة والاستحقاق في الثمانينيات، ومنحته مؤسسة رضا خان بجنوب إفريقية وسامها منذ عدة سنوات، ونال الدكتوراه الفخرية من جامعة مرمرة بتركيا في عام١٩٩٥م..

لكنه وجد الصدود والنكران من بني قومه، ولم تطبع المؤسسات الثقافية العربية أي عمل له! وعاش منعزلاً في صومعته، راهبًا في محراب العلم. والأعجب أنه كان ينال معاشًا من جامعة عين شمس لا يتعدى ٣٠ دولارًا في الشهر!

جامعة علمية

ومن حسنات الدكتور المصري أنه كان يستقبل



د. طه حسين

تلاميذه ومريديه من الباحثين، من طلبة الماجستير والدكتوراه في منزله، من جميع الجامعات المصرية والعربية، من أقصى صعيد مصر حتى الإسكندرية؛ طلبًا للنصيحة والتوجيه وأخذ رأيه أو حتى المساعدة على إعداد الأبحاث والرسائل، دون مقابل، ولكن حبًا في العلم وإرساءً لمعالم جامعة علمية جديدة أنشأها المصري في بيته العام، الذي يحوي مكتبة نفيسة من الكتب النادرة في العلوم والآداب العربية، واللغات الشرقية والأوربية، ودواوين الشعر بلغاتها الفارسية والتركية والأردية. وهو تراث بحاجة إلى العناية به، وتحويله إلى مكتبة عامة، يستفيد منها الجميع؛ وذلك لأن السوس والرطوبة قد يصيبان المكتبة في مقتل، إن لم يفطن إليها المسؤولون عن الشأن الثقافي مصريًا وعربيًا!.

حرب "الخالدين"!

ومن الحروب التي خاضها الدكتور المصري تلك المعركة التي شنُّها عليه أعضاء مجمع العربية

د. زكي مبارك



طوال حياته كان غزير الإنتاج، وافر المؤلفات، حتى في أحلك لحظات حياته، عندما فقد بصره منذ خمسة عشر عامًا، ورفضت جامعة عين شمس أن تعالجه على نفقتها، وتدهورت أحواله الصحية والمعيشية، وكان المصري مواصلاً للتأليف والكتابة، لدرجة أنه نشر خمسة وأربعين كتابًا نفيسًا خلال فترة عماه



العربي الوحيد الذي أفردت له دائرة المعارف التركية خمس عشرة صفحة للحديث عن إسهاماته العلمية والأدبية، ودائرة المعارف الباكستانية ثلاثين صفحة للإشادة بمشروعه الفكري والحضاري على الصعيد العالمي

«الخالدين» بالقاهرة، عندما رفض أمينه العام الأسبق الراحل إبراهيم الترزي عضويته بحجة انه ضرير، في حين أن الدكتور طه حسين رئيس المجمع الأسبق كان ضريرًا، ولم تمنعه العاهة من رئاسة المجمع!. بينما كان الدكتور المصري خبيرًا بالمجمع طوال سبعة وعشرين عامًا، وانجز خلالها خمسة معجمات لغوية في العربية والفارسية والتركية والأوردية، وهو ما لم يستطع أن ينجزه أعضاء المجامع العربية مجتمعين حتى الآن!.

وهو العربي الوحيد الذي أفردت له دائرة المعارف التركية خمس عشرة صفحة للحديث عن إسهاماته العلمية والأدبية، ودائرة المعارف الباكستانية ثلاثين صفحة للإشادة بمشروعه الفكري والحضاري على الصعيد العالمي!.

الحروب التي خاضها الدكتور المصري، تلك المعركة التي شنَّها عليه أعضاء مجمع العربية "الخالدين" بالقاهرة، عندما رفض أمينه العام الأسبق الراحل إبراهيم الترزي عضويته؛ بحجة أنه ضرير، في حين أن الدكتور طه حسين رئيس المجمع الأسبق كان ضريرًا، ولم تمنعه العاهة من رئاسة المجمع

من أقواله

ومن كلماته الخالدة قوله: «إن الحضارة العربية الإسلامية قادرة على التواجد على الصعيد العالمي، وإثراء المعرفة الإنسانية، بشرط إخلاص أبنائها، وتبحرهم في ميادين الابتكار والإجادة».

وقوله قال المعري: «لو كنت مبصرًا، لبلغت مؤلفاتي ٣٠٠ كتاب، ولأعدت سيرة أجدادنا الأعاظم كالجاحظ، والغزالي، والسيوطي، وابن سينا، وابن رشد».

وقوله كذلك: «إن تعلم الآداب واللغات أمر واجب على المثقفين والعلماء؛ لأنه يفتح المجال أمام حضارتنا وإبداعنا لالتقاء الآخر، وإحداث المعرفة الإنسانية القائمة على التحاور وليس التصادم»!.

مي زيادة




الفيصل
الفيصل
الفيصل
الفيصل
الفيصل
الفيصل
تعلن دار الفيصل الثقافية عن رغبتها في التعاقد مع شركة تسويق وإعلان ذات
خبرة واسعة في مجالها لتتولى الجوانب التسويقية والإعلانية في مجلة
الفيصل الثقافية، والفيصل العلمية، والفيصل الأدبية وتسويق إصدارات
دار الفيصل الثقافية
تقدم الطلبات إلى دار الفيصل الثقافية على العنوان الآتي:
ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١
فاكس: ٤٦٤٧٨٥١
للاستفسار: ٤٦٥٣٠٢٧



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٣) ذو القعدة ١٤٢٦هـ / ديسمبر ٢٠٠٥م

الفائز الأول: حنان محمد أوان ـ مكة المكرمة ـ السعودية.
الفائز الثاني: محمد غازي الكيلاني ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الثالث: هبة محمود عبدالهادي زيان ـ دمنهور ـ مصر.
الفائز الرابع: جميل سعيد عبده الحاج ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الخامس: رقية صالح طه ـ دمشق ـ سورية.
الفائز السادس: رضا عشي ـ جندوبة ـ تونس.
الفائز السابع: حمزة أحمد علي ـ المنامة ـ البحرين.
الفائز الثامن: حسين سلام الرومي ـ أبو ظبي ـ الإمارات.

حلّ مسابقة العدد (٣٥٣)

١- «عرار» لقب اشتهر به مصطفى وهبي التل.
٢- «مجنون إلسا» لقب اشتهر به لويس أراغون.
٢- د. جمال حمدان هو مؤلف كتاب «شخصية مصر».

أسئلة مسابقة العدد (٣٥٦)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) ماذا تعني كلمة لونا؟
(٢) ماذا تعني كلمة فيدا؟
(٣) ما أشهر كتب البلاذُري؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء، المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة. ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣). الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- المهرجان الوطني للتراث والثقافة " الجنادرية"
- معرض الرياض الدولي للكتاب
- وفاة المفكر السوداني عون الشريف قاسم
- غوانتنامو وشرف الدفاع عن الحرية

●● خاتمة المطاف: معجزة أحمد .. متى نمزق أقنعة العناوين؟



المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته "٢١"

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز انطلق المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية» في دورته الحادية والعشرين في السادس عشر من المحرم الماضي «الموافق الخامس عشر من شهر فبراير/شباط ٢٠٠٦م»، وقد جاء الموضوع الرئيس للنشاط الثقافي الذي تدور حوله المناقشات والطروحات هذا العام تحت عنوان: «وحدة الأمة العربية والإسلامية: رؤية مستقبلية».

واشتمل المهرجان على انطلاق سباق الهجن السنوي الكبير، وشارك في سباق هذا العام عدد من المتسابقين من دول مجلس التعاون الخليجي، وحفل خطابي كبير من ضمن برامجه تقديم أوبريت الجنادرية «وفاء وبيعة»، وهو من تأليف الشاعر فهد عبدالله المبدل، وصاغ ألحانه الفنان الدكتور عبدالرب إدريس، والغناء للفنانين: محمد عبده، وعبدالمجيد عبدالله، وراشد الماجد، وعباس إبراهيم، وتضمن الاحتفال قصيدة فصحى للدكتور ناصر الزهراني، وقصيدة نبطية للشاعر خلف بن هذال العتيبي.

وكانت الشخصية السعودية الثقافية التي تم تكريمها هذا العام هو الأديب الكبير عبدالله بن أحمد العبدالجبار.

ومن ضمن فعاليات الاحتفال هذا العام مسابقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لحفظ القرآن والسنة والنبوية للطلاب والطالبات، وشارك فيها أكثر من ٢٠٠٠ طالب وطالبة.

وشهد مهرجان هذا العام قيام معرض للكتاب، بمشاركة عدد من القطاعات الحكومية، ودور النشر المختلفة، بالإضافة إلى معارض للفنون التشكيلية، والأنشطة المسرحية والتراثية، والشعر الشعبي، كما كان للمرأة دور كبير، وحضور مميز في فعاليات الاحتفالات التي أقيمت هذا العام.



خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز

وكالعادة ضجت القرية الشعبية بأهل الحرف والمهن الشعبية الذين أبدعوا في عكس عناصر التراث السعودي في هذا الاحتفال.

واشتمل المهرجان، الذي حضره مفكرون غربيون، توزيع كتيب عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما خصص محور لقضية الإساءة إلى الرسول الكريم. وقال رئيس اللجنة المنظمة أن دعوة علماء من الغرب من غير المسلمين للمشاركة في فعاليات المهرجان تأتي امتدادًا لحوار تعنى به الجنادرية التي كانت سباقة إلى تفعيل الحوار بين الحضارات بتنظيم ندوات تناولت «الإسلام والغرب»، و«الإسلام والشرق».

وشارك في المهرجان ١٥٠ أديبًا ومفكرًا من السعودية، ومثلهم من خارجها في المهرجان.

٥٠٠ دار نشر في معرض الرياض الدولي



تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، تشارك ٢٠ دولة في معرض الرياض الدولي للكتاب الذي انطلقت فعالياته في الثالث والعشرين من المحرم سنة ١٤٢٧هـ، وقال الدكتور سليمان العقلا . مدير معرض الرياض الدولي للكتاب: إن من الدول المشاركة: بريطانيا، وألمانيا، وتركيا، وإيران، وإندونيسيا، ومصر، ولبنان، وسورية، وتونس، وسلطنة عمان، بالإضافة إلى١٩٢ مشاركاً دولياً، و٥٥ مشاركاً بتوكيل. وبيَّن العقلا أن عدد دور النشر المصرية المشاركة يبلغ ٦ دار نشر، تتلوها لبنان، وسورية، وكل دولة منها ممثلة بـ ٥١ دار نشر.

واضاف العقلا: أن المشاركات العالمية تتمثل في بريطانيا بداري نشر، وبقية الدول العالمية بدار نشر واحدة، واشار إلى أن المملكة العربية السعودية هي أكبر الدول الخليجية مشاركة وتمثلها ٨٨ دار نشر، تتلوها دولة الكويت بـ ٩ دور نشر. وأضاف: أنه من المتوقع أن تشارك في المعرض أكثر من ٥٠٠ دار نشر عربية وأجنبية، تعرض ما يزيد على ١٥٠ ألف عنوان عربي، و١٠٠ ألف عنوان أجنبي، إضافة إلى مشاركة اتحادات دور النشر والأجنحة الحكومية، كما حرصت وزارة التعليم العالي على إشراك أكبر عدد من الدوائر الحكومية، والمؤسسات، والشركات الخاصة، ومراكز البحوث العلمية، والجامعات السعودية، ودور النشر السعودية الخاصة، التي تصدر سنوياً مئات الكتب والمجلات، في مختلف التخصصات العلمية، والأدبية، والثقافية، والدينية، والاقتصادية.



السينما وجرائم الشرف

من المقرر أن يبدأ في منتصف العام الحالي تصوير فلم «ياسمين» الذي تتجه الإماراتية نايلة الخاجة بتمويل كندي - ألماني. وتحكي أحداث الفلم قصة فتاة فلسطينية على علاقة صداقة قوية مع أحد الأمريكيين الفلسطينيين، الذين يزورون الضفة الغربية، وفي أثناء حوار الفتاة مع الشاب الأمريكي يقوم الأخير بتصويرها بالفيديو، وهي تتحدث إليه، وسرعان ما ينتشر الشريط في القرية، وتتطور أحداث الفلم حتى يتقرر مصير الفتاة ما بين أخ متطرف فكريًا، وأب حنون يخاف على ابنته الوحيدة.

وقالت الخاجة: إن قصة الفلم حقيقية، وقد حصلت فعلاً في إحدى القرى الفلسطينية. وأردفت الخاجة: الأطراف التي ستقوم بتمويل الفلم تشجعت كثيرًا للفكرة بسبب انتشار ظاهرة جرائم الشرف حول العالم، وخصوصًا في الشرق الأوسط، وأضافت: نحن بحاجة إلى هذا النوع من الأفلام التي تتصدى للظواهر السيئة في مجتمعنا، كي يمكن معالجتها.

ويذكر أن نايلة الخاجة كانت قد قدمت مسودة عن الفلم لمعهد الفلم الألماني، وصندوق دعم الفلم الكندي، وحصلت على موافقة من الجهتين لرعاية الفلم ماليًا، ولا تزال الخاجة بانتظار حصولها على تمويل من إحدى دول الشرق الأوسط. ويذكر أن نايلة الخاجة قد درست الإخراج السينمائي في جامعة إيرسون في كندا، لتصبح أول إماراتية تمتلك شركة إنتاج سينمائي.

وفاة المفكر السوداني عون الشريف

توفي في الخرطوم في ١٩ يناير/كانون الثاني الماضي العالم السوداني البروفيسور عون الشريف قاسم بعد عناء طويل مع المرض عن عمر يناهز ٧٣ عاماً، وشيّعه عشرات الآلاف من سكان العاصمة السودانية، في مسقط رأسه بضاحية الحلفاية شمال الخرطوم، وشارك في التشييع الرئيس عمر البشير، وكبار رجال الدولة والمثقفون والأدباء وأساتذة الجامعات.

وكان الراحل قد شغل عددًا من المناصب الرفيعة، من بينها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كما عمل رئيسًا لمجلس إدارة جامعة الخرطوم، ورئيسًا لمجلس إدارة صحيفة الصحافة الحكومية، إبان عهد الرئيس الأسبق جعفر نميري، ورئيسًا لتحرير مجلة الدراسات السودانية، ومديراً للجامعة الأهلية، ورئيسًا لاتحاد الكتّاب السودانيين، كما عمل أيضًا أستاذاً في معهد الدراسات الإفريقية والشرقية بلندن، وأستاذاً للأدب العربي بجامعة الخرطوم، وعميداً لمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

وقد نال الراحل خلال مسيرته العلمية أرفع الأوسمة على

عون الشريف قاسم

جهوده العلمية والفكرية من السودان، ومصر، وغيرهما، وألّف نحو ٧٠ كتابًا في مجالات الفكر والأدب، أشهرها «موسوعة القبائل والأنساب»، و«الإسلام والبعث القومي»، و«الإسلام والثورة الحضارية»، و«الإسلام والعربية في السودان»، ويعرفه الأدباء والنقاد بأنه واحد من أهم أعمدة الثقافة والفكر والأدب في السودان، إلى جانب الراحلين، البروفيسور عبد الله الطيب، والبروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم.

مقبرة فرعونية جديدة في مصر

أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية أن بعثة أمريكية للتنقيب عن الآثار تابعة لجامعة ممفيس، اكتشفت أخيرًا مقبرة تضم خمسة توابيت خشبية تعود إلى الأسرة ١٨ على بعد خمسة أمتار من مقبرة توت عنخ آمون، في وادي الملوك، غرب الأقصر «٧٠٠ كيلومتر جنوبًا». وقال زاهي حواس ـ الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار: إن البعثة عثرت على المقبرة خلال عمل روتيني لها في منطقة تقع في مدخل وادي الملوك، بالقرب من مقبرة توت عنخ آمون، على عمق ثلاثة أمتار. وأشار إلى أن المقبرة مستطيلة الشكل، ومنحوتة في الصخر، ويبلغ عرضها ١.٥٣ مترًا، وطولها ١.٩٥ مترًا، وعشر في الجهة الغربية منها على ثماني حفر، طول الواحدة منها ٢٦ سنتمترًا، وهي سلالم حفرت في الصخر.

وأكد منصور بريك ـ المشرف العام على آثار الأقصر ـ أنه تم الوصول إلى المقبرة عن طريق فتحة في الجهة الغربية من الجزء الجنوبي من المقبرة حيث عثر على التوابيت الخمسة الخشبية الملونة، وحولها ٢٠ إناء من الفخار مغلقة

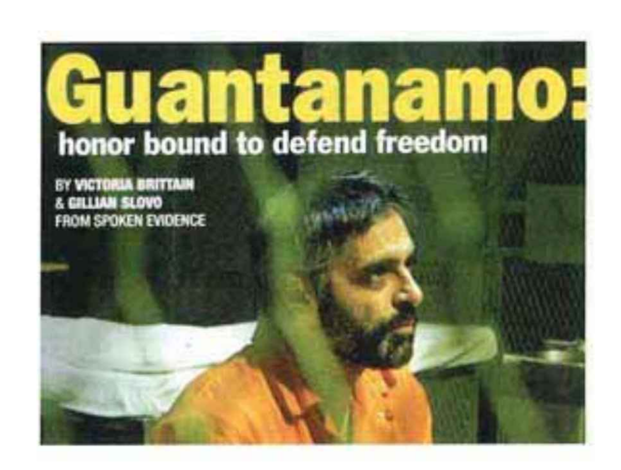
غوانتانامو: التزام شرف الدفاع عن الحرية

يعرض نشطاء حقوق إنسان مسرحية تحت عنوان «غوانتانامو: التزام شرف الدفاع عن الحرية»، في الأيام القادمة في إحدى قاعات البرلمان البريطاني أمام مدعوين من البرلمانيين والمحامين ومنظمات حقوق الإنسان، ويهدف هذا العرض إلى زيادة الاهتمام بهؤلاء السجناء على جدول العمل السياسي.

وقال المحامي كليف ستانفورد سميث، الذي عمل محاميًا قانونيًا عن محتجزين في قاعدة خليج غوانتانامو بكوبا: «إن هذه المسرحية هي محكمة الرأي العام»، مضيفًا: «أن هذا الأمر لا يدخل ضمن اهتمامات بعض السياسيين.. نحن نتحدث هنا عن حقوق الإنسان، وينطبق ذلك على جميع البشر».

وكان تسعة بريطانيين قيد الاحتجاز في سجن غوانتانامو، الذي أنشأته الولايات المتحدة عام ٢٠٠٢م، لاحتجاز مشتبه فيهم تم اعتقالهم في أفغانستان، وآخرين يشتبه في أنهم قدموا مساعدات للقاعدة، وقد تم الإفراج عن خمسة من بين هؤلاء المحتجزين في عام ٢٠٠٤م، وأطلق سراح الأربعة الآخرين في شهر يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٥م، ويعد ستانفورد استمرار الضغط السياسي أمرًا أساسيًا.

وتستند المسرحية، التي كتبتها الصحفية البريطانية فيكتوريا بريتين والكاتبة ذات الأصل الجنوب إفريقي جيليان سلوفو، إلى شهادات تم الحصول عليها من أسر سجناء بصورة شخصية، ومن تصريحات تم الحصول عليها من محامين ومتحدثين حكوميين وخبراء في المجال الطبي.



بإحكام، كما تركها الذين قاموا بدفن هذه المومياوات.

وتوقع أتو شادن - رئيس البعثة الأمريكية - أن تكون عملية الدفن تمت بسرعة، وذلك استنادًا إلى شكل الأواني الفخارية المحيطة بالتوابيت لسبب غير معروف حتى الآن، ولكن قد نستطيع معرفة الأسباب بعد تنظيف المقبرة من الردم الذي يملؤها. يشار إلى أن أول خبيئة ضمت أربعين مومياء ملكية عثر عليها عام ١٨٨٧م، والخبيئة الثانية التي عرفت باسم خبيئة «كهنة آمون» عثر فيها على مئة مومياء لكهنة الإله آمون عام ١٨٩١م، وأخيرًا خبيئة مقبرة أمنحتب الثاني التي عثر فيها على ١٢ مومياء في عام ١٨٩٨م، وهي الخبيئة التي شهدت خلافًا بين باحثة بريطانية وحواس حول إمكانية أن تكون إحدى مومياواتها للملكة الشهيرة نفرتيتي.



معرض القاهرة للكتاب بين السلبيات والإيجابيات

عقد الدكتور ناصر الأنصاري - رئيس معرض الكتاب في القاهرة، حوارًا مفتوحًا قدم خلاله كشف حساب لأهم ما شهده المعرض من ظواهر هذا العام. وقال الأنصاري: أولاً إن المعرض هذا العام تعرض لتظاهرات وهجمات من بعض الأقلام، وأضاف: أنه على الرغم من إقامة بطولة كأس الأمم الإفريقية خلال فترة إقامة المعرض، إلا أن عدد زائريه لم يتأثر، إذ بلغ عددهم ما يقرب المليون و٧٥٠ ألف زائر، بزيادة ربع مليون على العام الماضي، وأردف الأنصاري: إن أهم ما تميز به المعرض، هو حرص شخصيات رسمية كبيرة على زيارته، بلغ عددهم ٤٠٢، منهم ٢٠ مديرًا لأشهر معارض الكتاب في العالم.

وتحدث الأنصاري عن التعاون والتنسيق المستمرين **مع الناشرين والعارضين؛ بهدف ظهور المعرض بالمظهر اللائق، وأضاف: أنه بهذا التعاون أمكننا تلافي الكثير من المشكلات والمعوقات، ومنها: استجابة إدارة المعرض لرغبات الجمهور، وعدد من الناشرين المشاركين لإزالة اللوحات الجدارية الفنية التي كانت تزين طرقات المعرض وأروقته؛ لأنها كانت تحجب الرؤية عن أجنحة هؤلاء الناشرين، كذلك مدّ فترة العمل بالمعرض حتى التاسعة في الصالات المغلقة، والحادية عشرة في المعرض المكشوف.**

وفي ما يخص السلبيات قال الأنصاري: إن أهمها شكوى بعض الناشرين والعارضين من المساحات المخصصة لهم، وسنحاول توفير مساحة أكبر في الأعوام المقبلة، أما الشكوى بخصوص ارتفاع أسعار الكتب، فليس لنا دخل فيها، ولكننا راعينا أن تكون هناك تخفيضات في منافذ بيع هيئة الكتاب، بالإضافة إلى كتب مشروع مكتبة الأسرة، التي تباع بأسعار مخفضة جدًا.

معرض ماسترز ـ دبي ٢٠٠٦م

تنظم شركة البحوث والمعارض ماركيتينغ بيفوت معرض ماسترز - دبي ٢٠٠٦م الفني، وذلك في منتجع ون آند أونلي رويال ميراج في دبي، تحت رعاية الشيخة منال بنت محمد بن راشد آل مكتوم، وبالتعاون مع مجلس دبي الثقافي. ويضم المعرض الذي افتتح في الخامس من فبراير/شباط الماضي، واستمر حتى العاشر منه، عدداً من أبرز الأعمال الفنية الشهيرة لكبار الفنانين التشكيليين العالميين من منحوتات، ولوحات، وأعمال زجاجية، أمثال: بيكاسو، وبيزار، وبيريفيجل، وغيرهم من أشهر فناني العالم.

ويمثل التعاون بين مجلس دبي الثقافي وشركة ماركيتينغ بيفوت، الذي كان نتاجه هذا المعرض، وهو يجري للمرة الأولى على مستوى دولة الإمارات وإمارة دبي، فرصة كبيرة للمهتمين بالفن التشكيلي العالمي من فناني الدولة والمقيمين والفنانين من الدول الخليجية الأخرى، للاطلاع على عدد من الأعمال العالمية، التي لا تتوافر الفرصة لرؤيتها كثيراً، إذ إنها من مقتنيات عدد من المتاحف العالمية. وصرح خليل عبد الواحد - منسق الفنون التشكيلية في مجلس دبي الثقافي.

هيرتا موللر تفوز بجائزة الأدب الأوربي

منحت لجنة التحكيم جائزة الأدب الأوربي هذه الدورة للكاتبة الروائية والباحثة الرومانية المولد هيرتا موللر، إضافة إلى مكافأة مالية مقدارها ٢٥ ألف يورو. ومن المقرر أن يقام الاحتفال الرسمي لتسليم الجائزة، في ٢٣ فبراير/شباط الحالي في مدينة شتوتجارت الألمانية.

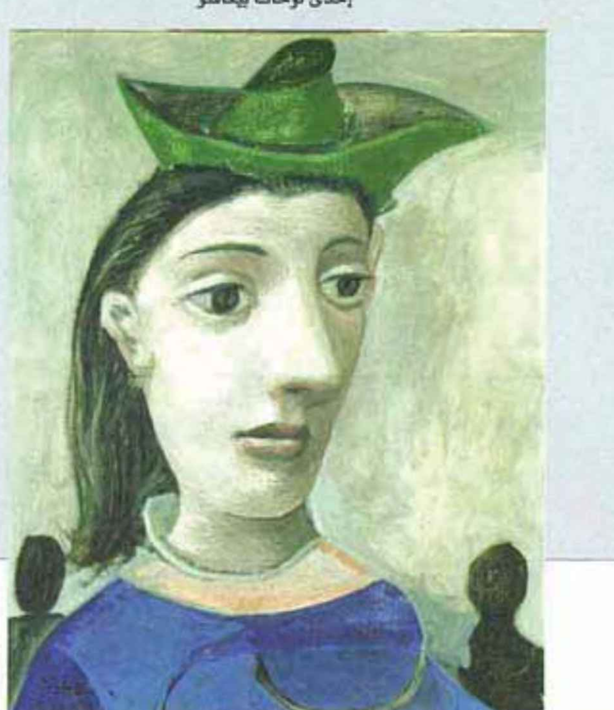
وقالت لجنة التحكيم عن سبب اختيار موللر للفوز بهذه الجائزة: إن لغتها الرشيقة التي تستخدمها في كتابة نصوصها النثرية، والتي تتميز بالأناقة اللغوية، والإيجاز، والعاطفة القوية الصادقة، وموسيقية المفردات، كانت السبب وراء اختيار موللر.

ويذكر أن هذه الجائزة تمنح مرة كل عامين منذ عام ١٩٩٨م، ومن ضمن الذين فازوا بها كل من: هيرمان لينز، وكلوديو ماغريس، وكلود فايجبي.

ولدت موللر في عام ١٩٥٣م في مقاطعة بانات الرومانية، التي تتحدث اللغة الألمانية، ودرست الأدب الروماني، والأدب الألماني، وبعد تخرجها عملت مترجمة في مصنع للآليات، إلى أن فصلوها من العمل؛ لأنها لم تتعاون مع البوليس السري. ونشرت موللر أولى قصصها عام ١٩٨٢م تحت عنوان «نيديرونجين»، بعدها نشرت كتابًا آخر بعد عامين بعنوان «دروكيندر تانغو». وتعكس معظم كتاباتها تجربتها في أثناء إقامتها في دولة رومانيا الشيوعية، وبالذات الدمار الذي أحدثته الديكتاتورية، وتجربة الضياع الناجمة عن النفي السياسي.




إحدى لوحات بيكاسو



بمناسبة تنظيم المعرض قائلاً: إن هذا واحد من المعارض المهمة جداً، والأحداث الفنية الممتازة لدبي ولدولة الإمارات بشكل عام، لأسباب متعدّدة، أهمها: السمعة الطيبة التي تجنى من إقامة مثل هذه المعارض، التي تضعنا كأفضل الخيارات الممكنة لاستجلاب مثل هذه اللوحات العالمية وعرضها. وأضاف: أن المعرض يوفر فرصة ممتازة للفنانين من داخل الدولة وخارجها، وللمشاهدين والمهتمين بالفنون التشكيلية العالمية للمتابعة والاطلاع على عدد من أبرز التجارب في الفنون التشكيلية، وهذا بدوره فائدة مقدرة من التعاون المثمر بين مختلف الجهات الداعمة للمعرض.



ديوان الحسين بن الضحاك

صدر حديثًا عن منشورات الجمل «كولونيا - ألمانيا» ديوان الحسين بن الضحاك المتوفى سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، بتحقيق الباحث العراقي جليل العطية، ويشتمل الديوان، الذي يقع في ٢٤٦ صفحة، على ٢٠٨ من القصائد والمقطوعات جمعها وحققها العطية من عشرات المخطوطات، والمصادر النادرة.

ويعدّ الضحاك، الذي كان يلقب بالخليع، من أبرز شعراء العصر العباسي الأول، إذ إن أبا نواس «الحسن بن هانئ» كان يسرق منه! ولشهادة أبي نواس قيمة فنية لها ثقلها.

ولد الضحاك في البصرة، وعُمِّر، وعاش أكثر من تسعين عامًا، وقد عرف الضحاك بنديم الخلفاء العباسيين: وأول هؤلاء هارون الرشيد الذي نفر منه بسبب رثائه للبرامكة، ومنهم: الأمين، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، ويشير صاحب «الأغاني» إلى أن الضحاك حاول الاتصال بالمأمون، لكن المأمون رفض ذلك بسبب رثائه للأمين.

وقد قدّم لنا الضحاك وصفًا دقيقًا لمجالس الخلفاء الستة الذين عاشرهم، وأطلعنا على جوانب اللهو والعبث والمرح التي كانت سائدة أيامئذ.

وكان ديوان الضحاك متداولاً بين القرنين الثالث والسابع الهجريين، ويقال: إنه كان يشتمل على ستة آلاف بيت، كما ذكر «الفهرست»، ويبدو أنه ضاع على أثر سقوط بغداد بأيدي المغول سنة ٦٥٦هـ. وفي عام ١٩٦٠م تولى عبدالستار فراج إصدار «أشعار الخليع» وضم باقة من أشعاره. أما طبعة العطية فتشتمل على زيادات كثيرة انتزعها من المخطوطات التي لم تصل إليها يد المرحوم الفراج، وكتب مقدمة ضافية لها، وختم الديوان بفهارس فنية.



جليل العطية

شركة غوغل تقتحم السوق الصينية

وافقت شركة غوغل لخدمات البحث عبر الإنترنت على فرض الحكومة الصينية رقابة على المعلومات التي تظهر على صفحتها الإلكترونية في الصين، وذلك مقابل تحسين خدماتها في السوق الصينية التي تنمو بشكل سريع في السنوات الأخيرة. وأعلنت الشركة أنها بصدد إصدار نسخة جديدة من محرك البحث على الإنترنت خصيصى للسوق الصينية، وذلك تماشيًا مع القرار الجديد. وتأمل غوغل من هذه الخطوة في توسيع رقعة عمل محرك البحث على الإنترنت، وتسهيل خدماتها أمام المستخدمين في الصين.

وكانت الرقابة الصارمة التي فرضتها الحكومة الصينية على الموقع، تسبب الكثير من المشكلات التقنية للمستخدمين في السابق.

ومع تساهل الحكومة الصينية في السنوات الأخيرة، وتخفيفها القيود على حرية الراي في الصين، إلا أن هناك عددًا من الموضوعات التي ما زالت تعدّ

قلعة البحرين ضمن الآثار العالمية

أعلنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» إدراج قلعة البحرين كموقع أثري عالمي ضمن نحو ٨١٢ موقعاً مدرجاً مسبقاً من مختلف دول العالم. وقال وزير الإعلام ووزير الدولة للشؤون الخارجية محمد عبد الغفار: إن إدراج القلعة ضمن القائمة العالمية للتراث الإنساني حدث تاريخي للبحرين، يدل على الاهتمام بالتراث الإنساني، موضحاً أن العمل حالياً قائم على إدراج مواقع أخرى أثرية في البحرين تعود إلى أكثر من ٣ آلاف سنة، يمكن تحويلها إلى مزار للسياح الذين يهتمون بالتراث.

وكشفت وكيلة الإعلام المساعد للثقافة والتراث الوطني، الشيخة مي بنت محمد آل خليفة عن نية قطاع الثقافة إنشاء متحف في موقع القلعة تقدر كلفته بنحو مليون و٥٠٠ ألف دينار، مشيرة إلى أن هناك فكرة تتمثل في إنشاء مركز لدخول الزوار إلى القلعة.

لوحات إدفارد مونش في مزاد علني

بيعت في مزاد بصالة سوثبي للمزادات في لندن أخيرًا ثماني لوحات للرسام النرويجي الشهير إدفارد مونش، الذي عاش في الفترة من عام ١٨٦٣- عام ١٩٤٤م، من المجموعة الخاصة لمالك سفن ثري مقابل ١٧ مليون جنيه إسترليني، وكانت هناك تقديرات بإمكانية بيع هذه المجموعة الفنية، التي وصفت بأنها أعظم مجموعة من رسومات مونش حتى الآن تعرض في السوق الدولي، مقابل مبلغ ١٢ مليونًا إسترلينيًا على أقصى تقدير.

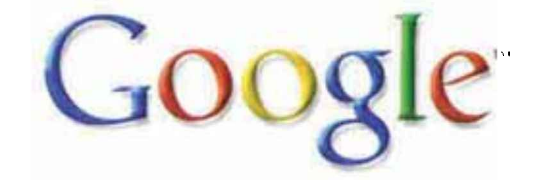
وكانت ملكية هذه المجموعة تعود في السابق إلى مالك السفن النرويجي توماس أليسون، الذي اشترى هذه اللوحات من معرض للفنون في برلين في الثلاثينيات من القرن الماضي، بعد أن عدّها النظام النازي فنًا منحلاً.

كذلك بيعت لوحة أخرى لمونش تحمل اسم «يوم صيف» رسمت في عام ١٩٠٤م لمشترٍ لم يتم الكشف عن هويته مقابل سعر قياسي بلغ ١ر٦ ملايين جنيه إسترليني، متجاوزة بدرجة كبيرة سعرها التقديري البالغ ٥ر٣ ملايين جنيه إسترليني.

موضوعات محرمة، وصرحت شركة غوغل بأن موافقتها على فرض رقابة ذاتية على المحتوى المعلوماتي كانت أمرًا صعبًا، إلا أن ذلك سيضمن وجودها في السوق الصينية.

وأضافت الشركة أن تعابير مثل استقلال تايوان، ومذبحة ساحة تيان، سوف تحجب من الموقع لعدم موافقة الحكومة الصينية على نشرها.

وتضم الصين أكثر من ١٠٠ مليون مستخدم لشبكة الإنترنت، ويتوقع أن يزداد هذا الرقم بشكل كبير في المرحلة القادمة.







نظيـر تورياكولوف: مبعوث الاتحاد السوفييتي في المملكة العربية السعودية ١٩٢٨ـ ١٩٣٥م (رسائل ـ يوميات ـ تقارير)، جمع مادتها باللغة الروسية: طاهر منصوروف، وأعدها للعربية وعلق عليها: ماجد بن عبدالعزيز التركي ـ الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٥٥٤ص.

يضم هذا الكتاب مجموعة كبيرة من الوثائق المرتبطة بنشاط نظير تورياكولوف المبعوث الدبلوماسي فوق العادة، والقنصل العام للاتحاد السوفييتي في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، ثم في المملكة العربية السعودية خلال المدة من ١٩٢٨ـ ١٩٣٥م، ومعظم هذه الوثائق محررة بقلم نظير تورياكولوف نفسه.

إضافة إلى مجموعة من الوثائق الأخرى المرتبطة بمهام عمله، ومنها مخاطبات وتقارير الجانب السوفييتي فيما يتصل بالمملكة، والخطابات السعودية في النشاط ذاته، لذا فإن هذا الكتاب يمثل مجموعة فريدة لم يسبق نشر مادة حية مماثلة لهذه المادة المتكاملة في موضوعها، ونوعيتها وتناولها.

وقد صدرت هذه المادة باللغة الروسية، وأعيد إصدارها باللغة العربية في هذه الطبعة، مضافًا إليها فهرسًا تفصيليًا دقيقًا بجميع المحتويات، وأرشيفًا خاصًا بالصور والوثائق، ومعظمها لم يرد في الطبعة الروسية.

وقدّم لهذا الكتاب في طبعته العربية صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، كما قدّم له في طبعته الروسية نور سلطان نزار باييف، رئيس جمهورية كازاخستان.

الرازي، محمد بن زكريا/مقالة في النقرس، تحقيق: يوسف زيدان، تقديم: إسماعيل سراج الدين ـ الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ١٥٩ص، (سلسلة النشر التراثي متعدد اللغات؛ ١١).

صدر هذا الكتاب عن مكتبة الإسكندرية ضمن سلسلة «النشر التراثي متعدد اللغات»، التي تقوم بها المكتبة، وهو الكتاب الثاني في هذه السلسلة بعد الكتاب الأول «رسالة ابن الهيثم: مقالة في ماهية الأثر الذي يبدو على وجه القمر»، وصدر الكتاب بعد تحقيق نصه العربي، وإنجاز ترجماته الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وإعداد نسخة طبق الأصل من مخطوطته النادرة المحفوظة بالمكتبة. وصدّر للكتاب الدكتور إسماعيل سراج الدين، وحققه الدكتور يوسف زيدان، وأنجزت ترجمته الإنجليزية أمنية نوح، والفرنسية منى فرحات، والألمانية



الدكتور محمد سليمان بدر.

وأورد الرازي مقالته عن النِّقْرس بطريقة منهجية في تناول موضوعها، مستفيدًا من الأسلوب الفلسفي في البحث الطبي، وذلك بإيراد الأسئلة والإجابة عنها، كما لو كانت محاورة بين سائل ومجيب، وهي طريقة سقراطية تذكر محاورات أفلاطون التي سجل فيها حوارات أستاذه سقراط.

وقد «فصَّل الكتاب فصولاً، بقدر انفصال معانيه وأغراضه»، كما يقول، فجاء في عشرين باباً هي: ما النِّقْرسُ، وما الفرقُ بينهُ وبَيْنَ وجع المفاصل؟، وعماذا يتولد النِّقْرسُ؟، ولماذا صار بعض المنقرسين يتخلصون سريعًا من النِّقْرس، ويعودون إلى حالِ الصحة، وبعضهم يَعْرِضُ لهُم مِنَ النِّقْرسِ أن يقعدوا، ولا يُمكنهم المشيُ في جميع أيامهم؟، وكَمْ هي أصناف النِّقْرس؟، ولماذا لا يُنَقْرَسُ النِّسَّاءُ؟، وما العِلةُ التي مِنْ أجلها لا ينقرسُ الخِصيان؟، وما العِلَّةُ التي لا يحدثُ النِّقْرسُ بالصبيان قبل وقت الحلْم؟، وما دليل النِّقْرسِ الذي يحدث عن الدَّم المرّيّ؟، وما دليل النِّقْرس الذي يحدث عن الدَّم البلغمي؟، وكم الأشياء التي يُحتاج، وكيف ينبغي أن يُدبَّرَ المنقرسُ بالمطْعمِ والمشْربِ؟، وكيف ينبغي أن يَجري الأمر في علاج المنَقرسين بالإسهال؟، وكيف ينبغي أن يَجري الأمر في علاج النِّقْرسِ بإخراج الدم؟، وكيف ينبغي أن يَجري الأمر في علاج النِّقْرسِ بالقيء؟، وكيف ينبغي أن يُدَبَّرَ المُنَقْرَس بصب الماء على قدميه؟، وكيف ينبغي أن يُدَبَّرَ المُنَقْرَس بالأطلية والضِّمادات؟، وكيف ينبغي أن يُدَبَّرَ المُنَقْرَس بالحمَّام؟، وكيف ينبغي أن يُعالج المُنَقْرَس إذا ابتدأ بما يقاومهُ ويُسكِّنهُ حتى لا يقوى ولا يستحكِم؟، وكيف ينبغي أن يُحذر من مُعاودة النِّقْرِسِ بعد سُكُونِه؟

وكانت إجابات المؤلف عن هذه الأسئلة تمثل متن الكتاب.



بنبين، أحمد شوقي/ دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي، ط٢ ـ مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٤م، ٣٠٦ص.

تعالج أبحاث هذا الكتاب موضوعين مهمين من الموضوعات المتعلقة بالتراث العربي لم ينالا حظهما من البحث كما يرى المؤلف، وهما: علم المخطوطات، والبحث البيبليوغرافي.

فبالنسبة إلى المخطوط العربي أو الكوديكولوجيا، فلم تتعد ما كتب فيه بعض المحاولات الفردية التي ظهرت عند مستشرقين قلائل، كتبوا بلغات أجنبية، فالكتابة في هذا العلم قد تمكننا من الإجابة عن عدد كبير من الأسئلة التي لا

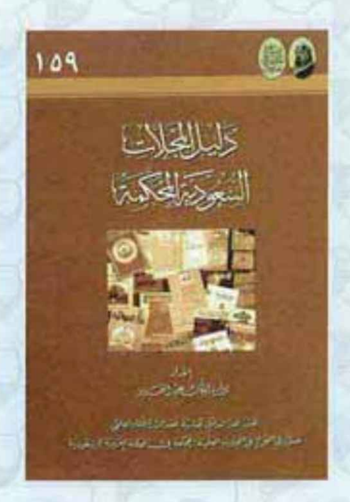
نعرف الإجابة عنها حاليًا، مثل: الكراس أو الكراسة، التي هي عند بعض ناسخي المخطوطات العربية عشر ورقات، ومنهم من يراها إحدى عشرة ورقة، وفريق ثالث يجعلها ثماني ورقات، كذلك قضية التعقيبة، إذ لا نعرف حتى الآن متى بدأ استعمال نظام التعقيبة في النساخة العربية، وكذلك قضية وقف الكتب وغيرها من القضايا.

كذلك الأمر بالنسبة إلى البحث الببليوغرافي وما يعانيه الباحثون في مختلف الجامعات وعلى جميع المستويات، من عجزهم عن العثور على مصادر أبحاثهم ومراجعها، ويرجع ذلك أساسًا إلى عدم الإلمام ببعض الأساليب الببليوغرافية التي تعدّ اليوم مهمة جدًا في مجال البحث العلمي الحديث.

وأوضح المؤلف أن أبحاث هذا المحور لا تعالج كليًا هذا المشكل، بقدر ما تهدف إلى تحسيس الباحثين بأهمية البحث الببليوغرافي وضرورته في البحث العلمي الحديث.

وقد جاءت موضوعات الكتاب تحت عدد من العناوين، منها: ما المخطوط؟، وعلم المخطوط العربي، وعلم المخطوطات والتحقيق العلمي، وفهرسة المخطوط العربي في بعض البلدان المتوسطية: مكتبة الفاتيكان والمكتبة الوطنية الفرنسية ومكتبة الإسكوريال، والفهرسة وعلم المخطوطات، وظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية، وغيرها من الموضوعات.

وجاء هذا الكتاب في طبعته الثانية بعد مضي عشر سنوات على صدوره في طبعته الأولى، وجاءت هذه الطبعة مزيدة ومنقحة.



السالم، سالم بن محمد/ دليل المجلات السعودية المحكّمة ـ الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ، ٣١٧ص.

صدر هذا الدليل بمناسبة عقد الدارة اللقاء العلمي لمسؤولي التحرير في المجلات العلمية المحكّمة في المملكة العربية السعودية، وذلك من أجل تبادل الخبرات، وتطوير البحث العلمي، ومناقشة الإنجازات، ودراسة تذليل الصعوبات، وطرح الحلول الملائمة، وبسط جسور التعاون، وكل ما يمكن تفعيله لخدمة المجلة العلمية وإيصالها إلى القارئ والباحث العربيين.

ويرصد هذا الدليل مختلف الجوانب التي تهمنا معرفتها عن كل مجلة، بما في ذلك الجهة الناشرة، والعنوان البريدي والإلكتروني (إن وجد)، ورقم الهاتف والناسوخ، وطريقة صدورها، وأهدافها، واهتماماتها الموضوعية، ولغة النشر

فيها، ونطاق توزيعها، وشروط النشر فيها، وكيفية ترشيح أسماء المحكمين، واختيار الهيئة الاستشارية، ومصادر الدعم المالي.

وقد بلغ عدد المجلات العلمية المحكّمة التي ضمها هذا الدليل أربعًا وستين مجلة، رتبت بطريقة هجائية حسب عنوان المجلة، وسرد تحتها المعلومات المهمة التي تخدم الباحث الذي يريد الانتفاع من تلك المجلات.

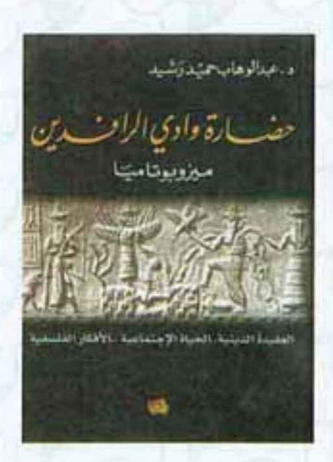
وقد تم الاكتفاء في هذا الدليل بحصر المجلات العلمية الجارية فقط، بينما استثنيت المجلات التي توقفت عن الصدور، مثل رسالة الخليج العربي، ومجلة جامعة الملك عبد العزيز: علوم الإرصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة، ومجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

ماندل، جيِّ آر/ العولمة والفقراء، تعريب: وليد شحادة ـ بيروت: شركة الحوار الثقافي، ٢٠٠٤م، ٢٤٠ص.



يحاول هذا الكتاب إنقاذ العولمة من منتقديها ومعارضيها، وكذلك من مناصريها والمنادين بها على حدّ السواء، ويشير المؤلف إلى أن العولمة تترافق مع النمو الاقتصادي الذي يراه ضروريًا لتخفيف حدة الفقر، ومن هذا المنطلق ينبغي تشجيع العولمة، وفي الوقت نفسه يجب على الحكومات، كما يقول المؤلف، أن تتبنى سياسات تنظر في حاجات الذين يقعون ضحية فقدان العمل بسبب العولمة، لهذا يمكن القول: إن الكتاب، في رده على خصوم العولمة، يؤكد الإمكانات الكامنة فيها لتخفيف حدة الفقر، لكنه يوجّه النقد إلى المدافعين عن العولمة، الذين لا يقرون بالتكاليف التي تفرضها هذه العملية على الضحايا الأبرياء، ويؤكد المؤلف في خطابه إلى المعارضين الناشطين، أن عليهم ألا يرفضوا الاندماج العالمي لأسواق العالم بدافع حرصهم على العدالة، وبدلاً من أن يقفوا ضد العولمة، أو يدافعوا عن أحادية الولايات المتحدة في صوغ اقتصاد العالم، يجب عليهم أن يدافعوا عن مصالح فقراء العالم، وذلك عبر القيام بحركات سياسية تنادي باتفاقيات دولية تعمل على تحقيق الاستقرار في الاقتصاد العالمي وضمان حقوق العمال.

وقد وصف لويس فِرلغر أستاذ التاريخ في جامعة بوسطن هذا الكتاب بأنه: «دراسة علمية ذكية ومتأنية للتكاليف والمنافع التي تجلبها العولمة إلى مواطني العالم أجمع. فالمؤلف يتصدى بقوة إلى الحركة المناهضة للعولمة، ويكشف كثيرًا من المغالطات الأساسية الشائعة في كثير من الانتقادات الموجهة إلى العولمة.



ويؤكد أن عملية العولمة قد تحقق المنافع من خلال سياسات معينة ومحددة. فهو يحلل ويسلط الأضواء على كيفية إصلاح العولمة وأين يجب إصلاحها؟، باسم العدالة الاقتصادية، وفي الوقت نفسه تشجيع النمو الاقتصادي وتدعيمه. ويوضح كتاب ماندل بكل جلاء لماذا يعدّ تشجيع الأسواق المفتوحة عاملاً مفيدًا في انتشار العولمة؟ كما يبين كيف يمكن للأسرة الدولية أن تضع سياسات تؤثر في درجة الضرر الذي قد ينجم عن الفصل غير اللازم من العمل».

كما وصفه بيتر كوكلانيس من جامعة كارولاينا: بأنه «بحث علمي بارع، يثير الاهتمام، ويغوص في أعماق موضوعه، وله أهميته البالغة، وبخاصة في توقيت صدوره. ففي عصر اشتدت فيه قوة الرفض للعولمة، ولاسيما من جانب من يدعون أنهم تقدميون، يجد المرء فائدة في قراءة دفاع جادٍ وهادفٍ عن العولمة يأتي من اليسار».

رشيد، عبدالوهاب حميد/ حضارة وادي الرافدين: ميزوبوتاميا «العقيدة الدينية .. الحياة الاجتماعية .. الأفكار الفلسفية».- بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٤م، ٢٣٨ص.

يحاول المؤلف في هذا الكتاب تقديم قراءة موضوعية لأولى الحضارات البشرية التي بناها الأسلاف، وظهرت متكاملة ناضجة في حدود ٣٠٠٠ ق.م، ويهدف المؤلف من ذلك إلى المساهمة في التوعية الثقافية، وبناء وعي نقدي موضوعي باتجاه مراجعة الذات، وقد حاول المؤلف الإجابة عن عدد من الأسئلة منها: ما هو موقع هذه الحضارة في الحضارات السابقة واللاحقة والكتابة؟ وكيف نشأت هذه الحضارة وماتت، ولماذا؟ ومن هم السومريون الذين أسسوا هذه الحضارة التي استمرت في أفكارها ومعتقداتها وإنجازاتها في مختلف المراحل التالية لحضارة وادى الرافدين، على الرغم من غيابهم عن المسرح السياسي، وتولي أقوام أخرى زمام هذه الحضارة؟ وكيف كانت حياة إنسان حضارة وادي الرافدين ومعيشته، وأفكاره، ومعتقداته، ومزاجه وسلوكه؟ وغير ذلك من الأسئلة.

وجاءت الدراسة في سبعة عشر فصلاً هي: البيئة الطبيعية، وعصور ما قبل التاريخ، وعصر بحر السلالات (عصر دول المدن السومرية)، والعصر الأكدي (سرجون)، وسلالة (إمبراطورية) أور الثالثة (أور - نمو)، والعصر البابلي القديم (الأموريون - حمورابي)، والعصر البابلي الوسيط (الكشيون)، والعصر الآشوري (القديم والوسيط والحديث)، والعصر البابلي الحديث (العصر الكلدي)،

والمؤسسة الدينية، والمؤسسة السياسية، والنظام الاقتصادي، والقانون ـ القضاء والعدل، والحياة الاجتماعية، والعلوم والمعرفة، والأدب (الملاحم والقصص والأساطير)، والمعتقدات والخرافات ـ الأفكار والفلسفات.

وجاءت الخاتمة عن الخلاصة والاستنتاجات.

عزب، خالد، وأحمد منصور/ مطبعة بولاق، إشراف وتقديم: إسماعيل سراج الدين ـ الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ١٨٥ص.

يجيء هذا الكتاب ضمن الجهود التي تقوم بها مكتبة الإسكندرية من أجل إنشاء معرض متكامل يضم آلات مطبعة بولاق القديمة وملحقاتها، من مكنات تنضيد وجمع الحروف، وآلات الطباعة، ونقوش التأسيس والتجديد، ومكنات للتذهيب، والخزانة الحديدية التي كان محمد علي باشا يودع فيها أختامه...إلخ.

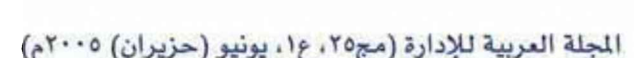
ويتناول هذا الكتاب الدور الذي قامت به مطبعة بولاق، التي أنشأها محمد علي باشا حاكم مصر أول مرة من أجل خدمة مشروعه الحربي، في الحياة المصرية خلال القرن التاسع عشر، إذ أسهمت المطبعة في طباعة كثير من الكتب في مختلف ضروب المعرفة، وكان الطب من أكثر العلوم التي اقتربت منها المطبعة، إذ شهدت مدرسة قصر العيني في بدايتها كتبًا طبية معربة «كالدور الفعال في أمراض الأطفال» لكلوت بك، الذي ترجمه محمد الشافعي، وحرره محمد التونسي، ونشر عام ١٨٨٤م، كما كان للجغرافيا نصيب مثل كتاب مالطبرون «الجغرافية العمومية» الذي ترجمه رفاعة رافع الطهطاوي عام ١٨٣٣م، بل امتد الأمر حتى وصل الصناعة كصناعة الحرير التي نشرت لها المطبعة كتابًا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نرى كتب الأدب مثل كتاب «ألف ليلة وليلة»، والتاريخ «كخطط المقريزي»، و«موسوعة القلقشندي»، و«صبح الأعشى في صناعة الإنشا».



وجاء الكتاب في خمسة فصول، وتقديم وتمهيد، تناول فصله الأول «بزوغ فجر الطباعة في العالم»، وجاء الفصل الثاني بعنوان «ظهور الطباعة في مصر»، وأرّخ الفصل الثالث لـ «المطبعة في عهد أسرة محمد علي»، وتناول الفصل الرابع «إصدارات مطبعة بولاق وقواعد النشر الخاصة بها»، وختم الكتاب بالباب الخامس الذي تتبع «الوقائع المصرية ونشأة الصحافة في مصر».

وورد في الكتاب عدد من الأشكال والجداول والصور الفوتوغرافية التي توثّق لعدد من الحقائق التاريخية الواردة في الكتاب.







المجلة العربية للإدارة (مج٢٥، ع١، يونيو (حزيران) ٢٠٠٥م)

مـجلة نصف سنوية مـحكّمـة متـخـصـصـة في التنمـيـة الإدارية، والعلوم الاجتماعية ذات العلاقة، تصدرها المنظمة العربية للتنمية الإدارية بجامعة الدول العربية في القاهرة.

زخـر هذا العـدد من المجلة بعدد وافـر من البحـوث التي تهدف إلى تنمية آفـاق علميـة جديدة للإدارة العـربيـة، وتبـادل المعـرفـة، وتعـزيز الاتجـاهات الحـديثـة وإبرازها في الإدارة وتطبيـقـاتهـا، وإثراء تجـاربهـا المعـاصـرة في المنطقة العربية.

وجـاءت بحـوث العـدد المحكّمـة كـالآتي: «المشـروعـات الصـغـيـرة: مـاهيـتـهـا والتـحـديات الذاتية فيـهـا مع إشـارة خـاصـة لدورها في التـنمـيـة في الأردن» للدكتور محمود حسين الوادي، و«مدى تطبيق ركـائز إدارة الجودة الشـاملة في الشـركـات الصناعيـة الصـغـيـرة في دولة قطـر» للدكتـور مؤيد سـعـيـد السـالم، والدكـتـور مـحـمـد المري، و«تقـيـيـم مـسـتـوى ممارسـة التـخـطيط الإسـتـراتيـجي في إدارة الموارد البـشـرية: دراسـة مـقـارنة بين منظمـات القطاعين العام والخاص الأردنية» للدكتـور جمـال أبو دولة والدكتـور لؤي محمد صالحية، واختتمت البحوث ببحث باللغة الإنجليزية بعنوان:

(The Role of Government and private Bodies in the Regulation Of the Public Auditing Profession of the United Arab Emirates) by: Dr. EL-Khider Ali Musa.

وجـاء في عـرض الكتب كـتـاب «الحكم المحلي في الوطن العـربي واتجاهات التطوير» للدكتور محمد الطعامنة، والدكتور سمير عبدالوهاب.

وختمت المجلة بـ «ملخصات الرسائل الجامعية»، وجاء فيها ملخص لرسالة: «صنع القرار الإستراتيجي: العوامل المؤثرة والنتائج» للدكتور سعيد محمد البنا، وهي رسالة دكتوراه حصل عليها الباحث من جامعة برمنجهام بالمملكة المتحدة عام ٢٠٠٤م.

العنوان:

ص.ب ٢٦٩٢ بريد الحرية

مصر الجديدة . جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٥٨٠٠٠٦ (٢٠٢)

ناسوخ: ٤٥١٢٧٩٩ (٢٠٢)

e-mail: arado @ arado.org.eg. www. arado.org.eg





الثقافة العالمية (س ٢٤، ع١٣٣، نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٥م)
حفل هذا العدد من الدورية بعدد كبير من البحوث والدراسات الثقافية والعلمية المترجمة عن عدد من اللغات العالمية، بدأت بموضوع غائتان شابيل بعنوان «أية غايات تنشدها المدرسة؟» ترجمة: محمد ميلاد، و«حرية الوصول إلى المعلومات» بقلم إيلينا تروشينا، ترجمة: الدكتور محمد إبراهيم حسن، و«نحن ... وهواتفنا الخليوية» لكريستين روسين، ترجمة: فوزي يوسف قشوع.

وجاء ملف العدد عن الأسلحة النووية، وكانت موضوعاته: «الإرهاب النووي» بقلم فرانك برنابي، ترجمة: إهاب عبدالرحيم، و«دور أسلحة أمريكا النووية» لجوشان جابل، ترجمة: فرج الترهوني، و«القنبلة الهيدروجينية» بقلم بربارا موران، ترجمة: مالك عساف.

ومن موضوعات العدد الأخرى: «ألغاز الفاشية» لديلان رايلي، ترجمة: شاهر عبيد، و«موجات التسونامي وكوارثها» للدكتور غالو مارديروسيان، ترجمة: الدكتور عبدالله الصوفي، و«اضطراب ثنائي القطب» بقلم جوناثان رواخ، ترجمة: معصومة حبيب، و«العلامات التجارية الكونية» بقلم دغولاس بي. هولت، ترجمة: محمد مجدالدين باكير، و«الآن ما العمل؟» لفرجينيا موريل، ترجمة: الدكتور عدنان جرجس.

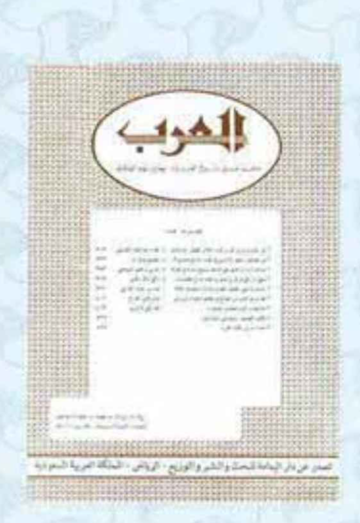
العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي: ١٣١٠٠ - دولة الكويت.

هاتف: ٢٤٣١٨٦٩ - ٢٤٢١٥٧٣ - ٢٤٢١٢٥٧ - ٢٤٢٠٨٤٨

ناسوخ: ٢٤٣١٢٢٩

البريد الإلكتروني: thaqafa@nccal.gov.kw



العرب (س٤١، ج٥ و ٦، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٦هـ/ ديسمبر ٢٠٠٥م - يناير ٢٠٠٦م)
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري، وتصدر عن دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع في الرياض.

جاء في هذا العدد من المجلة عدد من الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وتراثهم الفكري، بدأت بموضوع الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي بعنوان «الزراعة والري في كورة الأنبار خلال العصور

الإسلامية»، وأورد الدكتور بنعيسى بويوزان عددًا «من خصائص الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري»، وناقشت الدكتورة صباح إبراهيم الشيخلي «إشراف الدولة ورقابتها على صناعة النسيج وتجارته في العراق»، وفصّل الدكتور زكي ذاكر العاني «منهج المرزوقي في شرح الشعر في كتابه «شرح المفضليات».

وفي مجال المعاجم، تحدث الأستاذ عايد بن رشود الحازمي عن «المستدرك على المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ـ شمالاً»، وألقى الأستاذ عباس هاني الجراخ «نظرات في كتاب من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني»، وأبدى الأستاذ أحمد زكي الأنباري بعض الملاحظات حول معجمين للشعراء هما: «معجم الشعراء الجاهليين»، و«معجم الشعراء المخضرمين والأمويين».

وجاء في «مكتبة العرب» ملخص للجزء الأول من كتاب الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر بعنوان «وسم على أديم الزمن»، وختم العدد باستعراض لعناوين الكتب التي أهديت إلى مكتبة العرب.

العنوان:

ص.ب ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦ ـ المملكة العربية السعودية.

شارع التحلية، عمارة التوفيق.

هاتف: ٢١٩٢١٩٤

الصفحة الإلكترونية: WWW. hamadaljasser.com

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س ٣١،ع١١٩، رمضان ١٤٢٦هـ/أكتوبر ٢٠٠٥م)

مجلة فصلية محكّمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت.

حفل هذا العدد من المجلة بعدد كبير من البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف مجالات البحث والدراسة باللغتين العربية والإنجليزية، بدأت بكلمة للدكتورة فاطمة حسين يوسف العبدالرزاق.

وجاءت البحوث والدراسات كالآتي: «المعوقات التي تواجه أعضاء هيئة

التدريس بالكليات النظرية بجامعة الكويت في المشروعات الممولة للبحث العلمي» للدكتورة سعاد عبدالعزيز الفريح، والدكتور عبدالرزاق خليفة الشايجي، و«مواجهة ظاهرة التدخين في التشريع الكويتي والاتفاقية الدولية لمكافحة التبغ: دراسة مقارنة» للدكتورة ندى يوسف الدعيج، والدكتور عيسى حميد العنزي، و«جودة الخدمات والرعاية الصحية في ظل محاور جائزة مالكولم بالدريج للجودة: دراسة ميدانية عن مستشفيات دولة الإمارات العربية المتحدة» للدكاترة مسعود عبدالله بدري، ومحمد حسين عبدالله، ومفير خميس الخيلي، و«الأمن والأمان في الحيّ السكني» للدكتور خالد بن سكيت السكيت، و«الأسلوب الجغرافي التطبيقي في التخطيط الحضري» للدكتور عبدالله بن سعد بن محمد الخالدي.

وفي مجال عرض الكتب ومراجعتها جاء كتاب «العلاقات التجارية بين مجلس التعاون لدول الخليج العربية والاتحاد الأوربي: التحديات والفرص» من تأليف: رودني ويلسون، عرض ومراجعة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، كما أعدت سهيلة فهد المالك الصباح الببليوجرافية العربية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية.

وجاءت البحوث الإنجليزية كالآتي: «اكتشاف ومراقبة عمليات التصحر غرب منطقة تبوك «المملكة العربية السعودية» باستخدام تقنية الاستشعار عن بعد والبيانات المساندة» للدكتور خالد مسلم الرحيلي الحربي، و«التأثيرات الناجمة عن مشاهدة ألعاب الفيديو العنيفة على العراك الجسدي، والجدال مع المدرسين، والهياج الغضبي، بالإضافة إلى الإنجاز والتحصيل العلمي بين الطلاب في المرحلة الثانوية بدولة الكويت: دراسة تجريبية ومسحية» للدكتور عامر علي الصالح.

وجاءت في المجلة أيضًا ملخصات باللغة العربية للبحوث المنشورة باللغة الإنجليزية، وكذلك ملخصات باللغة الإنجليزية للبحوث المنشورة باللغة العربية.



العنوان:

ص.ب: ١٧٠٧٣ . الخالدية

الرمز البريدي ٧٢٤٥١ الكويت

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥ / ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥





«معجز أحمد» .. متى نمزق أقنعة العناوين؟

صلاح بن عبدالله بن هندي
الأحساء – السعودية

إذا كنا نقرأ كتب تراثنا الأدبي بأعيننا التي في رؤوسنا، فهذا يتطلب منا أيضًا أن نفكر فيها بعقولنا التي في رؤوسنا، وإلا يدفعنا شَرَهُنا المعرفي إلى التهام ما أمامنا من نصوص دون النظر إلى ما يعلق بها من شوائب، بل لا بد أن تكون قراءتنا مجهرًا عصريًا نرى من تحته ما لم يطف على السطح، وأن نسبر أغوار النصوص، ونحفر في تربتها بآليات نقدية واعية، دون الوقوع في أسر التأويل السابق للنصوص من قبل الكُتّاب السابقين، وبهذا الفهم نظفر بالجديد، وننطق من النصوص ما مكث صامتًا، وسكت الدهر عن تأويله.

إن التراث الأدبي لا يزال بكرًا ـ على رغم ما درس ـ ولا تزال آلاف المخطوطات قابعة في المتاحف والمكتبات الخاصة، فهو كنز لم يكشف عن جزء يسير منه، وإن كان سقراط، وأرسطو، وأفلاطون قد تركوا للبشر نتاجًا فلسفيًا، فقد جاء فلاسفة هذا العصر ليحللوا ما تركه أسلافهم، ولذلك كان علينا ـ نحن المعاصرين ـ أن نحلل، وأن نطرح الأسئلة، ونحاور النصوص، لا أن نجعل من أنفسنا سماسرة لأفكار الآباء والأجداد وآرائهم، وقنطرة يعبر ذلك الفكر من خلالها إلى الأحفاد والأبناء دون غربلة وتمحيص، ولا يفهم القارئ الكريم أن هذه دعوة لمقاطعة الآراء التراثية، بل لابد أن نعرف أن الأحكام الجاهزة المقولبة، التي وصلتنا من أسلافنا النقاد ما كانت لتكون ـ الآن ـ «بُعبُعًا» نتهيب الاقتراب منه، والكشف عن ما هيته لو أننا أحسنا التعامل معها فأخذناها نصًا بشريًا قابلاً للتشريح، وإعادة تفسيرها من جديد، وليت أن أساتذة المدارس والجامعات ما غرسوا في نفوس التلاميذ تقديس بعض الشعراء والأدباء، وليت أنا لم نجعل للشعر إمارة، وللنثر ملِكًا؛ لأن مثل هذه المناصب/ الألقاب المنتزعة انتزاعًا مما أنهك ثقافتنا العربية، وقُيدت قامات ومواهب بسبب ذلك، حتى تنكرنا لذائقتنا! وأصبحنا نتذوق الإبداع ـ بأجناسه ـ بأذواق الأسلاف، والويل كل الويل لمن حاد عن الطريق، وجاء بشيء من عنده.

ومن الأحكام التي توارثها التراث النقدي، وأصبحت من المسلمات التي لا تقبل النقاش ما مفاده أن أبا العلاء المعري (ت: ٤٤٩هـ) كان متعصبًا لشعر المتنبي، وقد أوهمنا أسلافنا ـ من رواة الأدب وشيوخه ـ أن أبا العلاء كان مستميتًا في الدفاع عن شعر المتنبي إلى حدّ تحمل الأذى من أجله، ويستدلون على ذلك بقصة أبي العلاء مع الشريف المرتضى عندما ذبّ الأول عن شعر المتنبي فأمر الشريف به فسحب من رجله، وألقى خارج المجلس! والقصة إذا رجعنا إلى مصدرها فإننا لا نجدها عند من ترجم لأبي العلاء المعري من معاصريه، وإنما نجدها عند ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ومن جاء بعده، فهل هي من وضع ياقوت؟ أم من النساخ؟ أم أنها خفيت على المتقدمين؟

ومع أن المعري شرح شعر المتنبي في كتابه «معجز

أحمد»، إلا أن هذا ليس دليلاً على تعصبه وحبه؛ لأنه شرح شعر أبي تمام والبحتري أيضًا، ولو رجعنا إلى معجز أحمد لم نجد ذلك الاحتفاء من أبي العلاء بشعر المتنبي، وإنما هو يكتفي بذكر البيت وشرحه دون إبداء إعجاب، أو رفع منزلة للقائل/المتنبي، بل ربما عرّض بسرقات المتنبي، وتحدث عنها بذكر أبيات لشعراء تقدموا المتنبي - زمنيًا - تتناص معاني اشعارهم مع أبيات المتنبي.

ولو رجعنا إلى عنوان الكتاب «معجز أحمد» لانتابتنا الحيرة؛ إذ نحن أمام عنوان فضفاض، وحمّال أوجه، ونحن غير متأكدين - فعلاً - إن كان أبو العلاء المعري يقصد بهذا المعجز أحمد بن الحسين الجعفي «المتنبي»، أم يقصد به أحمد بن عبدالله بن سليمان «المعري»؟ فالعنوان يحتمل الأمرين، لكن أسلافنا لما حقنونا بتلك الحقيقة المطلقة، لم نكلف أنفسنا العناء بأن نحرك عقولنا، ونحقق في هذه المسألة لانشغالنا بصناعة الفحل الشعري/ المتنبي!

ومن يقرأ كتب أبي العلاء ورسائله يجده ولوعًا بالتورية واللف والدوران، يقول الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه «المعري ذلك المجهول»: «.. وتأمل دقة تعبيره في جملة الدعاء التي لم يستعمل فيها إلا كلمات الأضداد والملاحن، فهو يعبّر عن الدعاء بمولاي الذي يعني يريد السيد والعبد، والشيخ بمعنى ذي الفضل والخرق، والجليل بمعنى العظيم والحقير والفضل بمعنى الفضيلة والفُضْلة» اهـ.

وإذا سلمنا - جدلاً - أن أبا العلاء ما أراد بمعجز أحمد إلا نفسه، فما الذي جعله يتقنع بهذا القناع؟

هل كان المعري يظهر للناس بخلاف ما يبطن؟ بمعنى هل المعري عندما رأى الناس يُجلّون المتنبي، ويحفظون شعره، ويستدلون به فعل فعلهم مجاملة، ومسايرة للواقع، وكتم في صدره ما يراه لنفسه من مكانة وعلو منزلة؟ إذ هل يعقل أن شاعرًا أديبًا بقامة أبي العلاء يرضى لنفسه موقع الظل؟ فيكون شارحًا وناقلاً لأشعار المتنبي وأخباره؟ وهو القائل:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ
لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

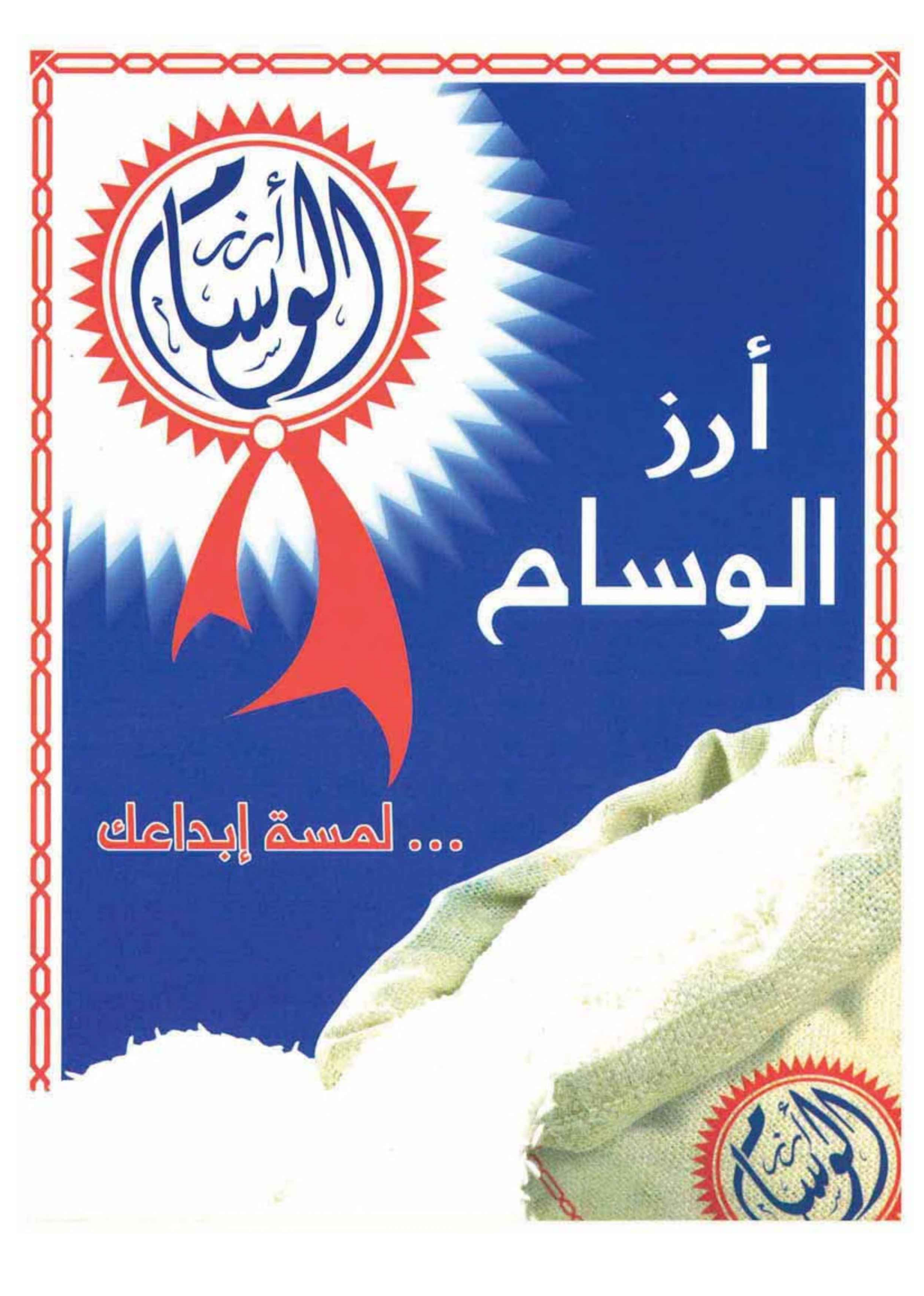
ثم لماذا نرى أبا العلاء المعري في مرحلة متأخرة من حياته يرفض الشعر، ويقبل على النثر، شارحًا لدواوين الشعراء، ومراسلاً لعلية القوم من وزراء وأعيان؟ وهذا نصّ رفضه للشعر نقلته من مقدمته لسقط الزائد «... وقد كنتُ في ريّان الحداثة، وجن النشاط، مائلاً في صغو القريض أعتدّه بعض مآثر الأديب، ومن أشرف مراتب البليغ، ثم رفضته رفض السقب غرسه، والرأل شريكته، رغبة عن أدب، معظم جيده كذب. ورديئه ينقص ويجدب» اهـ.

وأقول: هل جاء هذا الرفض بعد أن أيقن المعري أن سدة الشعر للمتنبي، وعلى هذا اتفق الناس وتعاقدوا؟ فلما رأى المعري هذا الجهل فاشيًا تجاهل مع من تجاهل فظن الناس أنه منهم؟ أي معجب ومحب لشعر أبي الطيب المتنبي؟ ثم راح بعد ذلك يمني نفسه ويؤملها بالحصول على سدة النثر، وإلا فبم نفسر قول ابن أخيه سليمان بن علي المعري (أبو المرشد) حين قال في كتابه «تفسير أبيات المعاني»:

«.. وإن كان شيخنا أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان - رحمه الله ورضي عنه - قد أورد في كتابه المعروف بـ: «اللامع العزيزي» ما لا فائدة فيما عداه، ولا حاجة إلى ما سواه، إلا أنه - رحمه الله - قلد ظرف الكلام فضل عنانه، وأرسله سابقًا يفتنّ في ميدانه، فلم يدع فضلة علم إلا رفع منارها، ولا دفينة معنى إلا كشفها وأثارها، فطال الكتاب بما استودع من صنوف الآداب». اهـ. وبعد ذلك: هل أراد المعري بشروحاته على أشعار أبي تمام والبحتري والمتنبي - خاصة - أن يطفئ نورها بما يورده من أخطاء نحوية، وشواهد شعرية بعد كل بيت، ليقول للناس ما أتى هؤلاء بجديد؟ أم أن الشعر لا يخدم عقله المنطقي، وفكره الفلسفي، ووجد ضالته في النثر؟

وأنا أردت من خلال هذه التطوافة أن أطرح هذه الإشكالية، لعلها تجد من يقف معها.


تعاني من هذه المشاكل
لدينا
الحـــل ...
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE


أرز الوسام
أرز الوسام
... لمسة إبداعك
أرز الوسام